٢٠ درس

عقيدة أهل السنة والجماعة على ضوء الكتاب والسنة

تأليف
الدكتور سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني
محاضر في العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى

تقديم
فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي
أستاذ العقيدة بالدراسات العليا
كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى - مكة المكرمة

دار طيبة الخضراء
مكة المكرمة

عقيدة

أهل السنة والجماعة

على

ضوء الكتاب والسنة

فسحت لهذا الكتاب إدارة المطبوعات بمكة المكرمة
تحت رقم ١٣٧٥/٢/م
بتاريخ ٢١/٩/١٤٢١هـ

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

دار طيبة الخضراء

مكة المكرمة - العزيزية - بجوار الجامعة - ت: ٥٥٨٩٠٢٧ - ٥٥٨٩٧٨٠ - فاكس: ٥٥٦٢٩٨٦

عقيدة أهل السنة والجماعة على ضوء الكتاب والسنة

تأليف
الدكتور سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني
دكتوراه في العقيدة من كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى

تقديم
فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي
أستاذ العقيدة بالدراسات العليا
كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى - مكة المكرمة

دار طيبة الخضراء
مكة المكرمة



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقريظ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وبعد:

فإن «العقيدة» هي القاعدة التي يقوم عليها بناء الإسلام، فإذا كانت القاعدة صحيحة سليمة، فإن البناء يكون صحيحًا سليمًا، ولم يحدث الخلل في المجتمع الإسلامي إلاَّ بسبب ضعف العقيدة لدى كثير من المسلمين.

ولهذا فقد عُني العلماء في كل عصرٍ بدراسة العقيدة وبيانها والدفاع عنها.

فقد أُلِّفَت عشرات بل مئات الكتب لبيان العقيدة وتوضيحها والرد على المخالفين والمبتدعين الذين أضافوا عقائد باطلة أو فَهِمُوا عقائد خاطئة.

وقد تعددت المناهج في عرض العقيدة وتنوعت أساليب العرض، وذلك بحسب منهاج الباحثين وتصوراتهم عن العقيدة.

ويبقى المنهج السلفي هو الواحة التي يأوي إليها الباحثون عن الحق الراغبون في النجاة.

وقد أراد فضيلة الشيخ الدكتور/ سعيد بن مسفر القحطاني أن يسهم في هذا الباب ويجمع شتات ما تفرق في كثير من الكتب، ويعرض بأسلوب سهل يتناسب مع كل المستويات، فجمع في كتابٍ واحدٍ جُل ما يحتاج المسلم مستدلاً بأدلة من الكتاب والسنة وأقوالٍ

الأئمة مع مراعاة الاختصار والإيجاز، وتطعيم ذلك ببعض مواقفه الشخصية ومناظراته العلمية مع بعض من خالف السلف في المنهج والمعتقد.

وقد حرص ـ وفَّقه الله ـ على أن يلتزم منهج السلف في تقرير المسائل والرد على المخالفين، إذ المنهج السلفي الذي كان عليه سلف الأئمة وسار عليه من جاء بعدهم من علماء الأمة ومحققيها هو المنهج الصحيح الذي يجب اتباعه ونشره والدفاع عنه لاعتماده على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ بما صلح به أولها، ولم يحدث في الأمة الانحراف والافتراق إلاَّ بسبب مخالفة هذا المنهج.

وحريٌّ بكل داعية ومؤلف أن يركِّز عليه في محاضراته وكتاباته ودروسه وندواته لرفع هذا الخلاف في الأمة وجمع كلمتها واتحاد جماعتها.

ولن تستطيع الأمة أن تواجه خصومها وتقوم بواجباتها في ظل النزاع والخلاف.

ولن يجمعها ويوحد موقفها إلاَّ اتباع السلف الصالح والسير على منهاجهم.

ولكن لا ينبغي أن يفهم من هذا الكلام أنه لا اجتهاد في اتخاذ المواقف فيما جد في حياة الناس من قضايا وأحداث مما لم يكن معروفًا في عهد السلف.

بل يجب على علماء الأمة ودعاتها أن يجتهدوا في بيان أحكام الجديد وتحديد المواقف الصحيحة على ضوء الأدلة الشرعية التي

هي مصدر الدين عقيدة وشريعة وذلك في ظل المنهج السلفي الذي يحرص على استلهام النص واستنباط الحكم من دلالته. ثم لو أخطأ المجتهد في النتيجة فلا يحرج عليه ولا يشنع وإنما يناظر في ظل الأخوة الإسلامية والمحبة الإيمانية حرصًا على وحدة الأمة وقوة كلمتها.

هذا وأسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا الكتاب وأن يكتب لمؤلفه الأجر والثواب إنه سميع مجيب وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

أ.د. أحمد سعد حمدان الغامدي
أستاذ العقيدة بالدراسات العليا
جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة
٢١/٧/١٤٢١هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واتبع شريعته ودعا إلى ملته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنَّ قضايا العقيدة وأصول دين الإسلام من المسائل الهامة التي عني علماء أهل السنة والجماعة بتقريرها وتأصيلها، وتحقيقها وتوضيحها كي لا يلتبس على الناس أمرها، فيقعوا في الضلالات والأهواء التي خدع بها الكثير من الناس حينما جانبوا الصواب في طرق الاستدلال على مسائل العقيدة والتي تعتمد على الكتاب والسنة بجميع نصوصهما، ورد التنازع إليهما ورد التعارض بين تلك النصوص، واعتبار ظواهرها مطابقة لمراد الشرع على فهم السلف الصالح.

هذه القواعد أوجدت الحماية لأهل السنة والجماعة، من الوقوع في الضلالات فدافعوا عن العقيدة وذادوا عن حياضها وحملوا رايتها وحفظوا للأمة دينها، وقاوموا تلك الانحرافات الشاذة التي أطلَّت برأسها لتصبح فِرَقًا ونِحَلاً، تخالف ما اجتمعت عليه جماعة المسلمين مثل: الخوارج والرافضة، والقدرية والمرجئة، ثم ازداد هذا الانقسام بين تلك الفرق ووقع الخلاف وظهرت الفرقة بسبب الاستبداد في الرأي والاعتماد على العقل ومعارضة النصوص

حتى وقع ما أخبر به النبي ﷺ من افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلاَّ واحدة قيل: من هي يارسول الله قال: «**من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[١]

وهذه الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة والذين تكفل الله بظهور أمرهم في قوله ﷺ: «**لايزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لايضرهم من كذبهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**»[٢].

وأهل السنة والجماعة لهم عقيدتهم الصافية ومنهلهم العذب الذي حاولت جمعه وتقريره في هذا الكتاب بأسهل عبارة وأبسط أسلوب، لعله يحقق الغرض والغاية التي كتبته من أجله، وهو نفع كافة الناس بمختلف مستوياتهم وتباين ثقافتهم، وقد أدركت مدى الحاجة إليه حين طُلِبَ مني في صيف عام (١٤١٩هـ)، أن أشارك في الدورة العلمية التي عقدت بمدينة أبها، وذلك بتدريس مادة العقيدة، وقد طلب الدارسون أنَّ أقرر عليهم كتابًا جامعًا لمسائل وقضايا العقيدة بشكل مختصر، ومدعم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، فقمت بوضع أساس هذا الكتاب ثم عزمت على تطويره ليشمل معظم القضايا العقدية على المنهج الذي ذكرته في تعريفي لعنوان هذا الكتاب والذي رأيت أن أسميه بـ «عقيدة أهل السنة والجماعة على ضوء الكتاب والسنة»، ويتكون هذا الكتاب من

---

(١) رواه أبوداود: (٤٥٩٦) وقال عنه الألباني حسن صحيح: (٣٨٤٢)، رواه ابن ماجة: (٣٩٩١).

(٢) رواه البخاري: (٧٤٦٠).

مقدمة وتعريف وثلاثة عشر بابًا تحت كل باب عدة مباحث.

أرجو الله أن يتقبل هذا العمل مني وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفعني بما كتبت يوم فقري وحاجتي، وأن يعفو عن زللي ويغفر لي خطئي إنه سميع مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

د/ سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني
مكة المكرمة في ٨/ ٧/ ١٤٢١هـ
دكتوراه في العقيدة من كلية الدعوة وأصول الدين
بجامعة أم القرى

تمهـــيد
تعريف عنوان الكتاب
عقيدة أهل السنة والجماعة على ضوء الكتاب والسنة

يتضمن عنوان الكتاب ثلاث مسائل رئيسة:

الأولى: تعريف كلمة «عقيدة».

الثانية: تعريف «أهل السنة والجماعة».

تعريف «معنى على ضوء الكتاب والسنة».

أولاً: كلمة العقيدة رغم عدم ورودها في كتاب الله عزَّوجل أو في سنة رسوله ﷺ بالمدلول الشائع إلاَّ أنها من المصطلحات الجديدة التي استعملت للدلالة على مسائل الدين المتعلقة بالقلب دون العمل كالإيمان بوجودالله سبحانه ووجوب توحيده والإيمان بالرسل، وبالبعث بعد الموت وغير ذلك من مسائل الاعتقاد، وقد أُخِذَ استعمالها من مدلولها اللغوي.

فهي من العقد والتوثيق والربط على الشيء بشدة تقول العرب: «اعتقد الشيء صلب واشتد»[١] ومن قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾[٢].

أما تعريفها في الاصطلاح: فهي الإيمان الجازم الذي ينبعث من أعماق النفس البشرية ولا يخالطه أو يتطرق إليه أدنى شك بالله عزَّ

(١) لسان العرب لابن منظور، باب عقد.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨٩.

وجل وما يجب له من التوحيد والطاعة وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وجميع ما ورد من أمور الغيب مع معرفة ما يضاد ذلك من الأديان المحرفة، والفرق الضالة، ولا اعتبار للعقيدة بهذا المفهوم مالم يظهر أثرها، بشكل عملي على الجوارح بالخضوع والالتزام بمقتضيات ذلك الاعتقاد.

ثانيًا: أهل النسة والجماعة: هم الذين على هدى الرسول ﷺ وأصحابه علمًا واعتقادًا وقولاً وعملاً، وأدبًا وسلوكًا، وهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وهم الذين اجتمعوا على الكتاب والسنة، واستقاموا على الاتباع وجانبوا الفُرقة والابتداع ويطلق عليهم السلف الصالح، والفِرقة الناجية والطائفة المنصورة وإنما اشتهرت التسمية به عندما ظهر الابتداع فأطلقت السنة مقابل البدعة والجماعة مقابل الافتراق.

وقد سموا بأهل السنة لاتباعهم لسنة النبي ﷺ وسموا بالجماعة لاجتماعهم على الحق و اتباعهم لمنهج أئمته.

ثالثًا: على ضوء الكتاب والسنة: من أصول أهل السنة والجماعة وقواعدهم في التلقي والاستدلال اعتمادهم على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، على فهم السلف الصالح، وقبول ذلك، والتسليم له، ظاهرًا وباطنًا، وعدم معارضته بقياس، أو ذوق، أو كشف، أو منام، أو غير ذلك، وفي عرضي لمسائل العقيدة في هذا الكتاب التزمت بالاستدلال على تلك المسائل بصريح الكتاب العزيز وبصحيح السنة المطهرة، حيث أورد المسألة، ثم أنقل كلام الأئمة، حسب ترتيبهم الزمني، مكتفيًا في الغالب بالنقل عن ثلاثة علماء.

بعد ذلك أورد الأدلة وأبدأ بأدلة القرآن الكريم، في حدود ثلاث آيات ثم أدلة السنة في حدود ثلاثة أحاديث، وذلك لئلا يطول الكتاب، وقد حرصت على ألاَّ أورد إلاَّ حديثاً صحيحًا اتفق عليه الإمامان البخاري ومسلم، أو رواه أحدهما أو ثبتت صحته عند غيرهما حسب قواعد المحدثين في التصحيح.

الباب الأول
مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: **أصول عقيدة أهل السنة والجماعة.**

المبحث الثاني: **خصائص وسمات منهج أهل السنة والجماعة.**

المبحث الأول
أصول عقيدة أهل السنة والجماعة

١ـ مصدر العقيدة هو كتاب الله عزَّوجل وسنة رسوله ﷺ وإجماع السلف الصالح.

٢ـ كل ماورد في القرآن الكريم وصح وثبت من سنة الرسول ﷺ فهو شرع للمسلمين يجب قبوله وإن كان آحادًا

٣ـ المرجع في فهم الكتاب والسنة هو النصوص التي تبينها وفهم السلف الصالح ومن سار على منهجهم من أئمة الهدى

٤ ـ لقد أتم الله النعمة على الأمة بإكمال دينها، فليس لأحد تحت أي ستار أن يحدث شيئًا في دين الله زاعمًا أنه منه

٥ ـ يجب التسليم لله ولرسوله ﷺ ظاهرًا وباطنًا، فلا يُعَارَضُ شيء من الكتاب والسنة الصحيحة بقياس أو ذوق أو كشف أو منام أو قول شيخ أو إمام.

٦ـ العقل الصريح موافق للنقل الصحيح ولا تعارض قطعيًا بينهما وعند توهم التعارض يقدم النقل على العقل.

٧ ـ يجب الالتزام بالألفاظ الشرعية في العقيدة وتجنب الألفاظ البدعية، لأنَّ دلالات الألفاظ واسعة.

٨ـ العصمة ثابتة لرسول الله ﷺ فيما أمره الله بتبليغه للناس وكذلك الأمة معصومة من الاجتماع على ضلالة أما في أفرادها فلا عصمة لأحد منهم بل كلٌّ يؤخذ من قوله ويرد إلاَّ النبي ﷺ فيما يبلغه للناس من دين الله.

٩ - المرجع عند الخلاف يكون للكتاب والسنة مع الاعتذار للمخطيء من مجتهدي الأمة وسؤال الله له بالمغفرة.

١٠- الرؤيا الصالحة حق وهي جزء من النبوة والفراسة حق بشرط موافقتها للشرع غير أنها ليست مصدرًا للعقيدة ولا للتشريع.

١١- المِرَاءُ في الدين مذمومٌ، والمجادلة بالحسنى للبحث عن الحق مشروعة، ويجب الكف عما صح النهي عن الخوض فيه.

١٢- يجب الالتزام بمنهج الوحي في الرد فلا ترد البدعة ببدعة ولا يقابل الغلو بالتفريط.

١٣- كل محدثة في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

١٤- الأصل في أسماء الله وصفاته إثبات ما أثبته تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل ونفي مانفاه الله تعالى عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل بل نؤمن بأنه سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ مع الإيمان بمعاني ألفاظ النصوص وما دلت عليه، وعدم تكييفها أو تعطيلها عن معناها.

١٥- الإيمان بالملائكة الكرام إجمالاً وأما على التفصيل فبما صح به الدليل من أسمائهم وصفاتهم وأعمالهم.

١٦- الإيمان بالكتب المنزلة وأنَّ القرآن الكريم ناسخًا لها وأنَّ ما قبله من الكتب طرأ عليه التحريف.

١٧- الإيمان بالأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وأنهم

أفضل ممن سواهم من البشر.

١٨ـ الإيمان بانقطاع الوحي بعد محمد ﷺ، وأنه خاتم النبيين والمرسلين.

١٩ـ الإيمان باليوم الآخر وما يتقدمه من العلامات والأشراط.

٢٠ـ الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى، وذلك بالإيمان بأنَّ الله تعالى علم ما يكون قبل أن يكون وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون إلاَّ ما يشاء، وأنه على كل شيء قدير فهو خالق كل شيء وفعال لما يريد.

٢١ـ التصديق والإيمان بما صح به الدليل من المغيبات كالعرش والكرسي والجنة والنار ونعيم القبر وعذابه والصراط والحوض والميزان وغيرها دون تأويل شيء من ذلك.

٢٢ـ الإيمان بشفاعة النبي ﷺ وشفاعة الأنبياء والملائكة والصالحين وغيرهم يوم القيامة لمن ـ رضي الله عنهم ـ وأَذِنَ في الشفاعة لهم على التفصيل الذي وردت به الأدلة.

٢٣ـ رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة حق، ومن أنكرها أو أوَّلها فهو زائغ ضال.

٢٤ـ كرامات الأولياء حق وليس كل أمر خارق للعادة كرامة بل قد يكون استدراجًا وقد يكون من تأثير الشياطين والضابط في ذلك موافقة الكتاب والسنة أو عدمها.

٢٥ـ لا يجوز صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عزَّ وجل فهو وحده المستحق للعبادة فلا شريك له في ربوبيته وألوهيته

وأسمائه وصفاته فمن صرف شيئًا من أنواع العبادة كالدعاء والاستغاثة والاستعانة والنذر والذبح والتوكل والخوف والرجاء ونحوها لغير الله فقد أشرك.

٢٦ـ من أصول العبادة أنَّ الله يعبد بالحب والخوف والرجاء جميعًا فمن عبده بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجيء.

٢٧ـ يجب التسليم والرضا والقبول والطاعة المطلقة لله عزَّوجل ولرسوله ﷺ في جميع الأحكام واعتقاد أنَّ التحاكم إلى الطاغوت وتشريع مالم يأذن الله به وإتباع غير شريعة الإسلام، أو تبديل شيء منها كفر.

٢٨ـ تقسيم الدين إلى حقيقة يتميز بها الخاصة وشريعة تلزم العامة دون الخاصة وفصل السياسة أو غيرها عن الدين باطل.

٢٩ـ لا يعلم الغيب إلاَّ الله وحده وقد يُطْلِعُ الله بعض رسله على شيء من الغيب واعتقاد أنَّ أحدًا غير الله يعلم الغيب كفر

٣٠ ـ اعتقاد صدق الكهنة والمنجمين كفر والذهاب إليهم كبيرة.

٣١ـ الوسائل لها حكم المقاصد وكل ذريعة إلى الشرك في عبادة الله أو الابتداع في الدين يجب سدها والمنع منها.

٣٢ـ لايجوز القطع لمعين من أهل القبلة بالجنة أو النار إلاَّ من ثبت النص في حقه.

٣٣ـ التكفير من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة فلا يجوز تكفير مسلم بقول أو فعل مالم يدل دليل شرعي على ذلك ولا يلزم من إطلاق حكم الكفر على قول أو فعل ثبوت

موجبه في حق المعين إلاَّ إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع، لأنَّ التكفير من أخطر الأحكام فيجب التثبت والحذر من تكفيرالمسلم.

٣٤ـ القرآن الكريم هو كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وهو معجز ومحفوظ إلى يوم القيامة.

٣٥ـ الهداية والضلال بيد الله تعالى فمن هداه الله فبفضله ومن أضله فبِعَدْلِه.

٣٦ـ العباد وأفعالهم من مخلوقات الله، فالله خالق لأفعال العباد وهم فاعلون لها على الحقيقة.

٣٧ـ لا يجوز التفرق في الدين ولا زرع الفتنة بين المسلمين وما اختلف فيه المسلمون فعليهم رده إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه السلف الصالح.

٣٨ـ من خرج على الجماعة وجب نصحه ودعوته ومحاورته بالتي هي أحسن وإقامة الحجة عليه فإن تاب ورجع وإلَّا عوقب بما يستحق شرعًا.

٣٩ـ الإمامة تثبت بإجماع الأمة، أو بيعة ذوي الحل والعقد منهم ومن تغلَّب واجتمعت عليه الكلمة وجبت طاعته في المعروف وحرم الخروج عليه إلاَّ إذا أظهر كفرًا بواحًا فيه من الله برهان.

٤٠ـ الصحابة الكرام كلهم عدول وهم أفضل هذه الأمة ومحبتهم دين وإيمان، وبغضهم كفر ونفاق مع الكف عماشجر بينهم، وأفضلهم أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وهم الخلفاء الراشدون.

٤١ـ من الدين محبة آل بيت النبي ﷺ وتوليهم وتعظيم قدر أزواجه أمهات المؤمنين ومعرفة فضلهن ومحبة أئمة السلف وعلماء الأمة، ومجانبةً وبغض أهل البدع والأهواء.

٤٢ـ الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام وهو ماض إلى يوم القيامة.

٤٣ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم شعائر الإسلام وأسباب حفظ حرماته وهما واجبان بحسب الطاقة والضوابط الشرعية مع اعتبار المصلحة في ذلك.

٤٤ـ الأصل في المسلم السلامة حتى يظهر خلاف ذلك ولا يجوز امتحان عامة المسلمين في الأمور الدقيقة والمعاني العميقة، وإنما يحملون على الجمل الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع[١].

---

(١) انظر: أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة للدكتور: ناصر العقل، أهل السنة والجماعة معالم الإنطلاق الكبرى لمحمد عبد الهادي المصري، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة للدكتور مانع الجهني.

المبحث الثاني
خصائص وسمات منهج أهل السنة والجماعة

لقد تميَّز أهل السنة بخصائص وسمات يعرفون بها دون غيرهم من أهمها:

١ـ الاهتمام بكتاب الله تعالى حفظًا وتلاوة وتدبرًا وتفسيرًا وعملاً وتطبيقًا والاهتمام بالحديث النبوي الشريف ومعرفة صحيحه من سقيمه مع فهمه وإدراك معانيه ثم اتباع العلم بالعمل.

٢ـ الدخول في الدين كله والإيمان بالكتاب كله وعدم تشطير الدين أو تجزئته وتشليحه والانتقاء منه لما يوافق الهوى.

٣ـ الاتباع وترك الابتداع والاجتماع ونبذ الاختلاف.

٤ـ الاقتداء بالسلف الصالح وأئمة الهدى من الصحابة ومن سار على نهجهم.

٥ـ التوسط في الاعتقاد بين فرق الغلو وفرق التفريط، وفي الأعمال والسلوك بين المُفْرطين والمفرِّطين.

٦ـ الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق ومحاربة كل أسباب الفرقة والاختلاف.

٧ـ القيام بالدعوة الشاملة إلى دين الله عقيدة وشريعة وعبادة وسلوكًا وأخلاقًا.

٨ ـ الإنصاف والعدل ومراعاة حق الله لا حقَّ النفس أو الحزب أو الطائفة ولهذا لا يغلون في مُوالٍ ولا يجورون على مُعادٍ ولا يغمطون ذا فضل فضله ولا يقدسون الأئمة بل كل يُؤخذ من

قوله ويُرد إلاَّ النبي ﷺ.

٩- يقبلون تعدد الاجتهادات فيما بينهم في مسائل الخلاف مع مراعاة الآداب التي أرشدهم إليها ربهم عزَّوجل ورسولهم ﷺ.

١٠- يراعون المصالح والمفاسد ويعلمون أنَّ الشريعة إنما جاءت بتحصيل المصالح وتعطيل المفاسد حيث درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

١١- يرون أنَّ أصحاب البدع متفاوتون في بدعهم بحسب بُعدهم وقربهم من السنة ويعاملون كلاًّ بما يستحق.

١٢- يفرقون بين الحكم المطلق على أصحاب البدع عامة بالمعصية أو الفسق أو الكفر، وبين الحكم على المعين حتى يتبين موقفه وإقامة الحجة عليه.

١٣- لا يرون تفسيق أو تكفير أو تأثيم أحد من علماء المسلمين لاجتهاد خاطيء أو تأويل بعيد خصوصًا في المسائل المختلف فيها.

١٤- يقومون ببيان حال أهل البدع والنصح لهم والتحذير منهم وإظهار السنة.

١٥- فِرَق أهل القبلة المخالفة للسنة متوعدون بالهلاك والنار، وحكمهم حكم عامة أهل الوعيد، إلاَّ من كان منهم كافرًا في الباطن.

١٦- من سماتهم التوافق في الأفهام والتشابه في المواقف رغم تباعد الأمصار والأعصار وذلك لاتحاد مصدر التلقي[١].

---

(١) انظر: مجمل أصول أهل السنة والجماعة للدكتور ناصر العقل، ومنهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجل لأحمد الصويان، الموسوعة الميسرة للدكتور مانع الجهني.

الباب الثاني
الإيمـــان

وتحته مباحث :

المبحث الأول: **تعريف الإيمان.**

المبحث الثاني: **زيادة الإيمان ونقصانه.**

المبحث الثالث: **الفَرْق بين الإيمان والإسلام.**

المبحث الرابع: **الاستثناء في الإيمان.**

المبحث الخامس: **حكم مرتكب الكبيرة.**

المبحث السادس: **شعب الإيمان.**

المبحث الأول
تعريف الإيمان

الإيمان في اللغة: مصدر من آمن يؤمن إيمانًا فهو مؤمن.

قال الجوهري: الإيمان هو التصديق[١].

وقال ابن منظور: الإيمان معناه التصديق [٢].

وقال الرازي: الإيمان: التصديق [٣]، ويقول أخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [٤] أي بمصدق لنا.

وقد انتقد شيخ الإسلام ابن تيمية من جعل الإيمان بمعنى التصديق، وردَّ عليهم من وجوهٍ كثيرة، ويرى أنَّ أقرب لفظ له هو الإقرار[٥].

الإيمان في الاصطلاح: اتفق أهل السنة والجماعة على أنَّ الإيمان يتكون من ثلاث حقائق أساسية لابدَّ من توفرها حتى يصير الإيمان حقيقيًّا.

الأولى: حقيقة قولية وهي النطق بالشهادتين وإشهار ذلك وإعلانه.

الثانية: حقيقة قلبية وهي اعتقاد صدق ما نطق به اللسان،

---

(١) الصحاح للجوهري: (٥/ ٢٠٧١).

(٢) لسان العرب لابن منظور: (١٣/ ٢٣).

(٣) مختار الصحاح للرازي: (١١).

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٧.

(٥) شرح أصول أهل السنة والجماعة لللالكائي: (١٥٩٠).

والإخلاص في ذلك والانقياد له.

الثالثة: حقيقة عملية: وهي ترجمة ما نطق به اللسان، واعتقده القلب، وإظهاره إلى الواقع العملي بخضوع الجوارح وانقيادها لأداء ما أمر الله، وترك ما حرَّم الله.

يقول الإمام أبوثور: الإيمان التصديق بالقلب والقول باللسان والعمل بالجوارح[١] وقد عقد الإمام الآجري بابًا في كتابه الشريعة فقال: «باب القول بأنَّ الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل الجوارح ولايكون مؤمنًا إلاَّ أن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث»[٢].

(١) شرح أصول أهل السنة والجماعة للالكائي: (١٥٩٠).

(٢) الشريعة للآجري: (١١٩).

المبحث الثاني
زيادة الإيمان ونقصانه

من المسائل المتعلقة بتعريف الإيمان مسألة زيادته ونقصانه ومذهب أهل السنة والجماعة أنَّ الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وقد أورد الإمام اللالكائي ـ رحمه الله ـ أسماء جماعة من الصحابة والتابعين والأئمة ممن قال بهذا القول تحت عنوان: «سياق ما دلَّ أو فُسِّر من الآيات من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما روى عن الصحابة والتابعين من علماء أئمة الدين أنَّ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ثم ذكر من قال هذا من الصحابة، ومنهم عمر بن الخطاب وعبدالله بن عباس وعبدالله بن مسعود وغيرهم.

ومن التابعين: سفيان الثوري، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وغيرهم.

ومن الفقهاء: الإمام مالك وجرير بن عبدالحميد وأحمد بن حنبل وغيرهم.

وقد استدل أهل السنة والجماعة على القول بزيادة الإيمان ونقصانه بما يلي:

أولاً: من القرآن الكريم:

١ـ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[(١)].

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾[(٢)].

٣ـ قوله تعالى: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا وَلَا

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٢.

يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾[١]، ووجه الدلالة في الآيات واضح في أنَّ الإيمان يزيد وما جاز عليه الزيادة جاز عليه النقصان.

ثانيًا: من السنة المطهرة:

١ـ قوله ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شعبة أفضلها قول لاإلٰه إلَّا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»[٢].

٢ـ قوله ﷺ: «**يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فيقول الله عزَّوجل: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا، فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ألم تر أنَّها تخرج صفراء ملتوية**»[٣].

٣ـ بوَّب البخاري بابًا في صحيحه لبيان زيادة الإيمان ونقصانه فقال: «باب زيادة الإيمان ونقصانه ثم ساق الآيات السابقة وغيرها كما أورد حديث النبي ﷺ: «**يخرج من النار من قال لاإلٰه إلَّا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لاإلٰه إلَّا الله وفي قلبه وزن بُرَّةٍ من خير ويخرج من النار من قال لاإلٰه إلَّا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير**»[٤]ووجه الاستدلال في هذه الأحاديث واضح ولله الحمد والمنَّة.

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٣١.

(٢) رواه البخاري حديث: (٩) ومسلم: (٣٥).

(٣) رواه البخاري: (٢٢)، ومسلم حديث: (١٨٣).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ص١٢٧، باب رقم٣٣.

المبحث الثالث
الفرق بين الإيمان والإسلام

هل الإيمان والإسلام بمعنى واحد أم أنَّ بينهما فرقًا ولكل واحد منهما معنى يخالف الآخر، هذه المسألة مما اختلفت فيها أقوال أهل السنة والجماعة إلى قولين مشهورين:

القول الأول: «أنَّ الإسلام والإيمان متغايران وأنَّ بينهما فرقًا وإلى هذا ذهب جماعة من العلماء منهم:

١ـ الإمام الزهري حيث يرى: أنَّ الإسلام الكلمة والإيمان العمل»[١].

٢ـ الإمام أحمد نقل عنه عبدالملك الميموني قال: «قلت لأبي عبدالله تفرق بين الإيمان والإسلام قال نعم»[٢].

٣ـ الإمام محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب حيث نقل عنه الإمام أحمد قوله: «الإسلام القول والإيمان العمل»[٣]، وأشار إلى هذا الإمام ابن عبدالبر في التمهيد[٤] والأصبهاني في الحجة في بيان المحجة[٥].

القول الثاني: أنه لافرق بين الإسلام والإيمان وإنهما بمعنى

---

(١) انظر: كتاب ا لإيمان لابن منده: (١/ ٣١١).

(٢) انظر: كتاب السنة للخلال: (٣/ ٦٠٤).

(٣) المصدر السابق: (٣/ ٦٤٠).

(٤) التمهيد لابن عبد البر: (٩/ ٢٤٩).

(٥) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني: (١/ ٤٠٦).

واحد، وممن قال بذلك من العلماء:

١ـ الإمام محمد بن نصر المروزي حيث يقول: «وقالت طائفة وهم الجمهور الأعظم من أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث: الإيمان الذي دعا الله العباد إليه، وافترضه عليهم هو الإسلام الذي جعله دينًا وارتضاه لعباده ودعاهم إليه»[(١)].

٢ـ الإمام ابن عبدالبر حيث يقول: «الذي عليه جماعة أهل الفقه والنظر أنَّ الإيمان والإسلام سواء»[(٢)].

٣ـ الإمام ابن منده الذي عقد بابًا لذلك فقال: «ذكر الإخبار الدالة والبيان الواضح أنَّ الإيمان والإسلام اسمان لمعنى واحد»[(٣)]، والذي يظهر لي أنَّ الخلاف بين علماء أهل السنة والجماعة في هذه المسألة له احتمالان:

الأول: أن يكون القائلون بأنهما شيء واحد أرادوا بذلك إذا وردا منفردين فلا شك أنَّ هذا صحيح وأنَّ الإسلام إذا جاء ذكره لوحده في دليل دخل فيه الإيمان وكذلك العكس إذا جاء الإيمان لوحده دخل فيه الإسلام فلا خلاف حينئذٍ بين القولين.

الثاني: أنهم أرادوا أنَّ مسمى كل واحد هو مسمى الآخر وإن اجتمعا فلا شك أنَّ هذا مرجوح للأدلة الكثيرة التي فرقت بينهما ومن أشهرها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزي: (٢/٥٢٩).

(٢) التمهيد لابن عبدالبر: (٩/٢٥٠).

(٣) الإيمان لابن منده: (١/٣٢١).

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

﴿وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [(١)] فقد عطف الإيمان على الإسلام: والشيء لا يعطف على نفسه فعلم أنَّ الإيمان معنى يختلف عن الإسلام، وكذلك حديث جبريل المتفق على صحته حين سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان فأجابه النبي ﷺ بإجابتين مختلفتين ولو كانا شيئًا واحدًا لكانت الإجابة واحدة.

وقد حاول الإمام ابن رجب أن يجمع بين النصوص بتقرير أصل هو: «أنَّ من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده واطلاقه فإذا قرن ذلك الإسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات والإسم المقرون به دال على باقيها وهذا كاسم الفقير والمسكين فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج فإذا قرن أحدهما بالآخر دلَّ أحد الإسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات ودلَّ الآخر على باقيها، وهكذا إسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ودلَّ بانفراده على مايدل عليه الآخر بانفراده فإذا قرن بينهما دلَّ أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ودلَّ الآخر على الباقي»[(٢)].

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب: (٣٤).

المبحث الرابع
الاستثناء في الإيمان

هذه المسألة معروفة عند العلماء باسم الاستثناء في الإيمان وهي أن يقول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله.

وقد تعددت أقوال الناس في الاستثناء في الإيمان إلى ثلاثة أقوال ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ طرفان ووسط.

القول الأول: تحريم الاستثناء وهوقول المرجئة[١] والجهمية[٢] ونحوهم ممن يجعل الإيمان شيئًا واحدًا يعلمه الإنسان من نفسه، كالتصديق بالرب ونحو ذلك مما في قلبه فيقول أحدهم: «أنا أعلم أني مؤمن كما أعلم أني تكلمت بالشهادتين وكما أعلم أنني قرأت الفاتحة وكما أعلم أني أحب رسول الله ﷺ وأني أبغض اليهود

---

(١) المرجئة: من الفرق التي احتلت مكانًا كبيرًا من اهتمام العلماء لبيان معتقداتهم التي تتلخص في بعض المسائل الهامة كتعريف الإيمان بأنه التصديق أو المعرفة بالقلب، وأنَّ العمل ليس داخلاً في حقيقة الإيمان وأنَّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص وأنَّ أصحاب المعاصي مؤمنون كاملوا الإيمان، وقد وجد الفساق في هذ المذهب بابًا لكل مفسدة ولهذا قال زيد بن علي: «أبرأ إلى الله من المرجئة الذين أطمعوا الفساق في عفو الله» انظر: الملل والنحل: (١٣٩).

(٢) الجهمية: إحدى الفرق الضالة ذات الآراء الخاطئة في مفهوم الإيمان وصفات الباري سبحانه وأسمائه وتنسب إلى جهم بن صفوان الذي دعا إلى كثيرمن الكفريات والبدع والضلالات وإطلاق لفظ الجهمية له معنيان عند العلماء معنى خاص يُقصد به من قال بأقوال جهم كنفي الصفات والقول بالجبر والقول بفناء الجنة والنار، ومعنى عام يقصد به نفاه الصفات عامة: انظر: سير أعلام النبلاء: (٦/ ٢٦)، والفرق بين الفرق: (٢١١).

والنصارى فقَولي: أنا مؤمن كقَولي: أنا مسلم وكقَولي: تكلمت بالشهادتين وقرأت الفاتحة وكقولي: أنا أبغض اليهود والنصارى ونحو ذلك من الأمور التي أنا أعلمها وأقطع بها وكما أنه لا يجوز أن يقال: أنا قرأت الفاتحة إن شاء الله كذلك لا يقول أنا مؤمن إن شاء الله، لكن إذا كان يشك في ذلك فيقول: فعلته إن شاء الله قالوا: فمن استثنى في إيمانه فهو شاك فيه وسموهم الشكاكة.

القول الثاني: إيجاب القول بالاستثناء وأنه يجب على المسلم أن يستثنى و لايجزم بأنه مؤمن وهو قول القاضي أبي يعلى[١] وغيره، وقد استدلوا على هذا القول بأمور:

١ـ إنه لو جاز القطع على أننا مؤمنون لكان ذلك قطعًا على أننا في الجنة لأنَّ الله وعد المؤمنين بالجنة ولا يجوز القطع على الوعد بالجنة لأنَّ من شرط ذلك الموافاة بالإيمان ولا يعلم ذلك إلاَّ الله وكذلك الإيمان إنما يحصل بالموافاة ولا يُعلم ذلك ولهذا قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ هلا وكَلَ الأولى كما وكَلَ الآخرة يريد بذلك ما استدل به من أنَّ رجلاً قال عنده: إني مؤمن فقيل لابن مسعود: هذا يزعم أنه مؤمن قال: فسلوه أفي الجنة هو أو في النار فسألوه فقال: الله أعلم فقال عبدالله بن مسعود: «فهلا وَكلت الأولى كما وَكَلْت الثانية».

---

(١) شيخ الحنابلة القاضي محمد بن الحسن المشهور بأبي يعلى قال عنه الذهبي: كان إمامًا لا يدرك قراره ولا يشك غباره وجميع الطائفة معترفون بفضله ومغترفون من بحره له بعض الأخطاء الكلامية توفي سنة: (٤٥٨)، سير أعلام النبلاء: (١٨/ ٨٩)، وشذرات الذهب: (٣/ ٣٠٦).

٢ـ أن الاسم عند الإطلاق يقتضي الكمال، وهذا غير معلوم للمتكلم كما قال أبوالعالية: أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه لا يقول إيماني كإيمان جبريل، فإخبار الرجل عن نفسه أنه كامل الإيمان خبر بما لا يعلمه.

٣ـ إنَّ ذلك تزكية للنفس وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[(١)]

القول الثالث: جواز الاستثناء دون إيجابه وهذا أصح الأقوال وهو مذهب أصحاب الحديث كابن مسعود وأصحابه والثوري وأكثر علماء الكوفة ويحيى بن سعيد القطان، وأحمد بن حنبل وغيره من أئمة الدين، فإنهم كانوا يستثنون وهذا متواتر عنهم ولكن ليس في هؤلاء من قال: «أنا أستثنى لأجل الموافاة وأنَّ الإيمان إنما هو إسم لما يوافي به العبد ربه بل صرح هؤلاء بأنَّ الإستثناء إنما لأنَّ الإيمان يتضمن فعل الواجبات فلا يشهدون لأنفسهم بذلك كما لايشهدون لها بالبر والتقوى فإنَّ ذلك مما لا يعلمونه وهو تزكية لأنفسهم بلا علم»[(٢)].

لكن الروايات التي ساقها الخلاَّل في كتاب السنة عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ توحي بتأكيده وتأييده الشديد للاستثناء واستحبابه وعدم تركه لا على أساس أصل الإيمان وإنما على أساس العمل ولذا قال للرجل الذي يعيب عليه الاستثناء: أليس الإيمان قولاً

(١) سورة النجم، الآية: ٣٢.

(٢) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٤٢٩،٧ ـ ٤٦٠، ٦٦٦، ٦٦٩).

وعملاً فقال الرجل: بلى، قال: فجئنا بالقول قال: نعم، قال فجئنا بالعمل قال: لا قال: فكيف تعيب أن نقول إن شاء الله ونستثنى[١].

وعلى هذا يكون القول بالاستحباب قولاً رابعًا لأنَّ الاستحباب وسط بين الإيجاب والجواز، وهو مايفهم من كلام الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ.

(١) السنة للخلال: (٣/ ٥٩٧).

المبحث الخامس
حكم مرتكب الكبيرة

أحكام مرتكب الكبيرة من مسائل العقيدة التي تباينت فيها آراء الناس وذهبوا فيها إلى أربعة أقوال:

القول الأول: أنَّ مرتكب الكبيرة كافر في الدنيا مخلد في النار في الآخرة وهذا قول الخوارج[(١)]، وهو من أصولهم المعتمدة الذي رتبوا عليه استحلال دماء المسلمين والقول بوجوب الخروج على أئمة الجور؛ لأنهم في نظرهم كفار.

القول الثاني: أنَّ مرتكب الكبيرة ليس مؤمنًا ولا كافرًا ولكنه في منزلة بين المنزلتين، هذه حاله في الدنيا، أما في الآخرة فلا

(١) الخوارج من أوائل الفرق التي ظهرت في تاريخ الإسلام وقد انقسموا إلى أكثر من عشرين فرقة أشهرها المحكمة الأولى والأزارقة والنجدات والعجاردة والإباضية والصفرية، ومن مبادئهم الأساسية وجوب الخروج على الأئمة لارتكابهم الفسق والظلم وانكار الشفاعة وتكفير بعض الصحابة ومنهم علي بن أبي طالب وعمرو بن العاص وأبوموسى الأشعري، وكل من رضي بالتحكيم والحكم بالكفر على مرتكب الكبيرة وذلك بسبب وضعهم للأدلة في غير موضعها واستدلالهم بها دون فهمها.

يقول عنهم عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ذهبوا إلى الآيات التي أنزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين. انظر: الملل والنحل للشهرستاني: (١/ ١٢٤)، ومقالات الإسلاميين: (٨٦).

يدخل الجنة، بل هو خالد مخلد في النار، وهذا قول المعتزلة[١].

القول الثالث: أنَّه مؤمن كامل الإيمان وهو قول المرجئة المبنى على معتقدهم بأنه لا يضرمع الإيمان معصية ولا مع الكفر طاعة[٢].

القول الرابع: أنَّ صاحب الكبيرة لا يسلب اسم الإيمان على الإطلاق، ولا يُعطى له على الإطلاق، وإنما هو مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته، تحت مشيئة الله في الدار الآخرة، إن شاء الله عذبه، وإن شاء غفر له. وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، وإليك بعض أقوالهم:

---

(١) المعتزلة: فرقة نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت في فهم العقيدة على العقل المجرد لتأثرها بالفلسفة اليونانية مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة وتقوم هذه الفرقة على خمسة أصول: التوحيد: ويقصدون به نفي الصفات والقول بخلق القرآن. العدل: ومعناه سلب قدرة الله في خلق أفعال العباد وأنَّ العبد يخلق فعله لخلطهم بين الإرادة الكونية والشرعية. الوعد والوعيد: ومعناه عندهم عدم الغفران لمرتكب الكبيرة. المنزلة بين المنزلتين: وتعني أنَّ مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ولكنه في منزلة بينهما. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ويقصدون بذلك وجوب الخروج على الحاكم الجائر. وقد حاول بعض المفكرين في العصر الحاضر، إحياء فكر الاعتزال بعد أن عفى عليه الزمن فنادوا بالعقلانية والتنوير والتجديد وإعادة النظر في كثير من الأحكام الشرعية الثابتة بالنصوص وتحكيم العقل فيها: انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية لابن زهرة: (١٢٤)، وشرح الأصول الخمسة للقاضي علي الجبار: (٦٩٧).

(٢) انظر: الملل والنحل للشهرستاني: (١/ ١٣٩).

١ـ قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ «ومن لقيه مصرًا غير تائب من الذنوب التي قد استوجب بها العقوبة فأمره إلى الله إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له»[١].

٢ـ قال الإمام ابن عبدالبر: «فإن مات صاحب الكبيرة فمصيره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذَّبه، فإن عذَّبه فبجرمه، وإن عاقبه فهو أهل العفو وأهل المغفرة»[٢].

أدلة أهل السنة والجماعة على عقيدتهم في صاحب الكبيرة

أولًا: القرآن الكريم:

١ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾[٣].

ووجه الدلالة في الآية: «أنَّ الله خاطب القاتل وناداه بنداء الإيمان مع ارتكابه لكبيرة القتل، وأيضًا فقد سمَّى الله القاتل أخًا للمقتول والأُخوة المقصودة هنا أخوة الدين»[٤].

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[٥] فقد سمَّاهم الله مؤمنين وجعلهم إخوة رغم الاقتتال وبغي بعضهم على بعض.

---

(١) انظر: رسالة عبدوس بن مالك في طبقات الحنابلة: (١/ ٢٤٣).

(٢) التمهيد لابن عبدالبر: (٤/ ٤٩).

(٣) سورة البقرة، الآية: (١٧٨).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٢/ ٢٤٥).

(٥) سورة الحجرات، الآية: ٩.

ثانيًا من السنة المطهرة:

قوله ﷺ: «**تعالوا بايعوني على ألَّا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف، فمن وفَّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه. قال: فبايعناه على ذلك**»[(١)].

ثانيًا: أنَّ حدود الزنا والسرقة وشرب الخمر قد أقيمت في عهد رسول الله ﷺ ولم يحكم فيهم حكم من كفر ولم يقطع الموالاة بينهم وبين المسلمين.

وهذا الموقف الموفق لأهل السنة والجماعة يتناسب مع مبدأ الوسطية الذي تميزوا به في كل شئون الدين وهم في هذه المسألة كانوا وسطًا بين الخوارج والمعتزلة من جهة، والمرجئة من جهة أخرى، فلم يصفوا الفاسق والعاصي بالإيمان المطلق كما تقول المرجئة، ولم يسلبوه منه بالكلية كما تزعم الخوارج والمعتزلة وإنما قالوا هو مؤمن ناقص الإيمان في الدنيا أما في الآخرة فقد جعلوه تحت مشيئة الله إن شاء غفر له ابتداءً وإن شاء عذَّبه بقدر ذنوبه ثم يخرجه من النار ويدخله الجنة.

(١) رواه البخاري حديث: (١٨) ومسلم حديث: (١٧٠٩).

المبحث السادس
شعب الإيمان

للإيمان شعب كثيرة حددها الرسول ﷺ على سبيل الإجمال في الحديث المتفق عليه، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لاإله إلَّا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»[(١)]. وهذا الحديث من دلائل النبوة ومعجزات الرسالة فقد تضمن الإشارة إلى أعلى شعب الإيمان وأساس الدين ومفتاح الجنة وهي كلمة التوحيد ثم أشار إلى أدنى شعب الإيمان وهي إماطة الأذى عن الطريق وذلك للدلالة على شمولية هذا الدين واهتمامه بجميع أمور الدنيا والآخرة.

أما تفاصيل هذه الشعب فقد استنبطها العلماء من الكتاب والسنة وذكرها بعضهم، منهم الإمام: أبوبكر البيهقي الذي حددها بسبع وسبعين شعبة شرحها في سبعة مجلدات شرحًا وافيًا.

كما نقل الإمام ابن حجر عن القاضي عياض، قوله: «تكلف جماعة حصر هذه الشعب بطريق الاجتهاد، وفي الحكم بكون ذلك هو المراد صعوبة ولا يقدح عدم معرفة حصر ذلك على التفصيل في الإيمان».

ثم قال ابن حجر: ولم يتفق من عدَّ الشعب على نمط واحد

(١) رواه البخاري: (٩)، ومسلم: (٣٥).

وأقربها إلى الصواب طريقة ابن حبان، لكن لم نقف على بيانها من كلامه، وقد لخصتُ ـ والكلام لابن حجر ـ مما أورده ما أذكره وهو أن: هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن فأعمال القلب هي المعتقدات والنيات وتشتمل على أربع وعشرين خصلة هي:

١ـ الإيمان بالله عزَّوجل ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأنه ليس كمثله شيء.

٢ـ الإيمان بملائكته.

٣ـ الإيمان بالكتب المنزلة.

٤ـ الإيمان بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

٥ـ الإيمان بالقدر خيره وشره.

٦ـ الإيمان باليوم الآخر ويدخل فيه السؤال في القبر والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط والجنة والنار.

٧ـ محبة الله عزَّوجل.

٨ـ الحب والبغض فيه سبحانه.

٩ـ محبة النبي ﷺ واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه الصلاة عليه وإتباع سنته صلوات الله وسلامه عليه.

١٠ـ الإخلاص ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق.

١١ـ التوبة.

١٢ـ الخوف

١٣ـ الرجاء.

١٤ـ الشكر.

١٥ـ الوفاء.
١٦ـ الصبر
١٧ـ الرضا بالقضاء.
١٨ـ التوكل.
١٩ـ الرحمة.
٢٠ـ التواضع ويدخل فيه توقير الكبير ورحمة الصغير.
٢١ـ ترك الكبر والعجب.
٢٢ـ ترك الحسد.
٢٣ـ ترك الحقد.
٢٤ـ ترك الغضب.

أما أعمال اللسان فتشتمل على سبع خصال وهي:
١ـ التلفظ بالتوحيد: «لاإلـٰه إلاَّ الله».
٢ـ تلاوة القرآن الكريم.
٣ـ تعلم العلم.
٤ـ تعليم الناس الخير.
٥ـ الدعاء.
٦ـ الذكر ويدخل فيه الاستغفار.
٧ـ اجتناب اللغو.

أما أعمال البدن فتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة منها ما يختص بالأعيان وهي خمس عشرة خصلة:
١ـ التطهر حسًا وحكمًا ويدخل فيه اجتناب النجاسات وستر العورة.
٢ـ الصلاة فرضًا ونفلاً.

٣ـ الزكاة فرضًا والإنفاق نفلاً.
٤ـ فك الرقاب.
٥ـ الجود ويدخل فيه إطعام الطعام وإكرام الضيف.
٦ـ الصيام فرضًا ونفلاً.
٧ـ الحج فرضًا ونفلاً.
٨ـ العمرة.
٩ـ الطواف.
١٠ـ الاعتكاف.
١١ـ التماس ليلة القدر.
١٢ـ الفرار بالدين ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك.
١٣ـ الوفاء بالنذر.
١٤ـ التحري في الإيمان.
١٥ـ أداء الكفارات.

ومن الشعب المتعلقة بالبدن ما يختص بالاتْباع وهي ست خصال:

١٦ـ التعفف بالنكاح.
١٧ـ القيام بحقوق العيال.
١٨ـ بر الوالدين ويدخل فيه اجتناب العقوق.
١٩ـ تربية الأولاد.
٢٠ـ صلة الرحم.
٢١ـ طاعة السادة أي إذا كان الإنسان مملوكًا ويدخل فيه الرفق بالعبيد.

ومن الشعب المتعلقة بالبدن ما يتعلق بالعامة وهي سبع عشرة خصلة:

٢٢ـ القيام بالإمرة مع العدل.
٢٣ـ متابعة الجماعة.
٢٤ـ طاعة أولي الأمر.
٢٥ـ الإصلاح بين الناس ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة.
٢٦ـ المعاونة على البر ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٢٧ـ إقامة الحدود.
٢٨ـ الجهاد في سبيل الله ويدخل فيه المرابطة.
٢٩ـ أداء الأمانة ويدخل فيه أداء الخمس.
٣٠ـ القرض مع الوفاء.
٣١ـ إكرام الجار.
٣٢ـ حسن المعاملة.
٣٣ـ جمع المال من حله وإنفاقه في حقه، ويدخل فيه ترك التبذير والإسراف.
٣٤ـ رد السلام.
٣٥ـ تشميت العاطس.
٣٦ـ كف الأذى عن الناس.
٣٧ـ احتناب اللهو.
٣٨ـ إماطة الأذى عن الطريق.

وبهذا يصبح عدد الشعب المتعلقة بالقلب واللسان والبدن تسع وستون شعبة ويمكن عدها تسعًا وسبعون خصلة باعتبار إفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر، والله أعلم[١].

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر: (١/٦٨).

الباب الثالث

ما يناقض الإيمان

وتحته مباحث :

المبحث الأول: **الكفر.**

المبحث الثاني: **الحكم بغير ما أنزل الله.**

المبحث الثالث: **إطلاق حكم الكفر.**

المبحث الرابع: **أصول المكفرات.**

المبحث الخامس: **آثار الكفر وأضراره.**

المبحث السادس: **مما يناقض الإيمان ـ النفاق ـ.**

المبحث السابع: **صفات المنافقين.**

المبحث الثامن: **آثار النفاق.**

المبحث الأول
الكفـــر

يعرفه أهل اللغة بأنه ستر الشيء وهو ضد الإيمان: سُمِّي بذلك لأنه تغطيه للحق وكذا كفران النعمة جحودها وسترها.

أما في الاصطلاح: فهو الإنكار المتعمد لما جاء به محمد ﷺ أو بعض ما جاء به محمد ﷺ مما علم من دينه بالضرورة.

وكما أنَّ الإيمان ذو شعب دل عليها حديث النبي ﷺ المتفق عليه: «**أعلاها شهادة أن لاإله إلَّا الله وأنَّ محمد رسول الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»[١]

فكذلك الكفر له شعب أيضًا:

يقول الإمام ابن القيم: «الكفر ذو أصل وشعب فكما أنَّ شعب الإيمان إيمان فشعب الكفر كفر»[٢] وأيضًا فإنَّ الكفر يكون أحيانًا بالقلب كالجحود والتكذيب والبغض لما جاء عن الله عزَّوجل وعن رسوله ﷺ، ويكن أحيانًا باللسان كسبِّ الله ورسوله أو الاستهزاء بالله ورسوله، ويكون أحيانًا بترك بعض الأعمال التي ورد الشرع بأن تركها كفر مثل: الصلاة.

أقسام الكفر:

يرى علماء أهل السنة والجماعة بعد استقراء النصوص أنَّ

---

(١) رواه البخاري: (٩) ومسلم: (٣٥).

(٢) الصلاة لابن القيم: (٣٥).

الكفر ينقسم إلى قسمين:

الأول: كفر أكبر يناقض الإيمان ويوجب الخروج من الملة والخلود في النار وهو على خمسة أنواع:

١ـ كفر التكذيب وهو اعتقاد كذب الرسل وهذا قليل جدًا لأنَّ الله أيَّد رسله بالآيات وأعطاهم من المعجزات ما يقوم دليلاً على صدقهم وقيام الحجة على أممهم قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾(١) وقال لرسوله ﷺ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾(٢) وإنما يلجأ بعض الكفار إلى التكذيب بالرسل من ألسنتهم فقط وليس من قلوبهم.

٢ـ كفر الإباء واستكبار والمسمى بالكفر الإبليسي فإنه إنما جحد أمر الله وأنكره عنادًا واستكبارًا وهذا النوع يقع من معظم الكفار حيث يقولون: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾(٣) وكما يقول قوم فرعون: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾(٤).

٣ـ كفر الإعراض وذلك بأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي له ولا إلى ماجاء به البتة.

---

(١) سورة النمل، الآية: ١٤
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٣.
(٣) سورة يس، الآية: ١٥
(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٤٧

٤ـ كفر الشك بأن لايجزم بصدق النبي ﷺ ولا يكذبه وإنما يشك في ذلك.

٥ـ كفر النفاق وهو إظهار الإيمان باللسان وإخفاء الكفر والتكذيب في القلب وهو النفاق الأكبر الذي سوف نتحدث عنه فيما بعد ـ إن شاء الله ـ.

الثاني: كفر أصغر:

وهذا لاينافي أصل الإيمان ولا يذهب به بالكلية وإنما ينقص كماله ويصبح الموصوف به مذمومًا شرعًا وإن بقيت أحكام الإسلام تجري عليه لبقاء أصل الإيمان معه.

وهذا القسم يوجب استحقاق الوعيد دون الخلود في النار ويتناول جميع أنواع المعاصي لأنها من خصال الكفر، مثال ذلك: قوله ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»(١) فإنَّ الكفر هنا معناه الكفر الأصغر الذي لا يخرج من الملة بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾(٢) فقد سماهم الله مؤمنين مع اقتتالهم وهكذا مع بقية المعاصي التي لم يشرع لها حد الردة.

---

(١) رواه البخاري: ح(٦٠٤٤).

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٩.

المبحث الثاني
الحكم بغير ماأنزل الله

يقرر الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية سابقًا ـ عليه رحمة الله ـ بأنَّ من الممتنع أن يسمى الله سبحانه الحاكم بغير ماأنزل الله كافرًا ولا يكون كافرًا بل هو كافر مطلقًا إما كفر عمل وإما كفر اعتقاد وما جاء عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1] من رواية طاووس وغيره يدل على أنَّ الحاكم بغير ما أنزل الله كافر إما كفر اعتقاد ناقل عن الملة، وإما كفر عمل لا ينقل عن الملة.

أما القسم الأول: وهو كفر الإعتقاد فهو أنواع:

النوع الأول: أن يجحد الحاكم بغير ماأنزل الله أحقية حكم الله ورسوله وهو معنى ما روى عن ابن عباس واختاره بن جرير أنَّ ذلك هو جحود ما أنزل الله من الحكم الشرعي وهذا لا نزاع فيه بين أهل العلم.

النوع الثاني: أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقًا لكن اعتقد أنَّ حكم غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع إما مطلقًا أو بالنسبة إلى ما استجد من الحوادث التي نشأت عن تطور الزمان وتغير الأحوال وهذا أيضًا لاريب أنه كفر لتفضيله أحكام

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان وصرف حثالة الأفكار على حكم الحكيم الحميد.

النوع الثالث: أن لايعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله لكن اعتقد أنه مثله فهذا كالنوعين اللذين قبله في كونه كافرًا الكفر الناقل عن الملة لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق والمناقضة والمعاندة لقوله عزَّوجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[١].

النوع الرابع: أن لايعتقد كون الحكم بغير ماأنزل الله مماثلاً لحكم الله ورسوله فضلاً عن أن يعتقد كونه أحسن منه لكن اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله فهذا كالذي قبله يصدق عليه ما يصدق عليه لاعتقاده جواز ما علم بالنصوص الصحيحة الصريحة القاطعة تحريمه.

النوع الخامس: وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه ومشاقة لله ولرسوله وتشكيلاً وتنويعًا وحكمًا وإلزامًا ومراجع ومستندات فكما أنَّ للمحاكم الشرعية مراجع ومستندات مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلهذه المحاكم مراجع هي القانون الملفق من شرائع شتى وقوانين كثيرة.

النوع السادس: ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البوادي ونحوهم من حكايات آبائهم وأجدادهم وعاداتهم التي يسمونها: «سلومهم» يتوارثون ذلك منهم ويحكمون به ويحملون على التحاكم إليه عند النزاع إبقاءً على أحكام الجاهلية وإعراضًا

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

ورغبة عن حكم الله ورسوله فلا حول ولا قوة إلاَّ بالله.

أما القسم الثاني من قسمي الحكم بغير ما أنزل الله: فهو مروي عن ابن عباس وذلك في قوله ـ رضي الله عنهما ـ في الآية: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1]، كفر دون كفروقوله أيضًا: «ليس بالكفر الذي تذهبون» وذلك أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغيرها ومجانبة الهدى وهذا وإن لم يخرجه كفره عن الملة فإنه معصية عظمى أكبر من الكبائر كالزنا وشرب الخمر والسرقة واليمين الغموس، وغيرها فإنَّ معصية سماها الله في كتابه كفرًا أعظم من معصية لم يسمها كفرًا نسأل الله أن يجمع المسلمين على التحاكم إلى كتابه إنقيادًا ورضاءً إنه ولي ذلك والقادر عليه[2].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٢) رسالة تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: (١٩-٢٢).

المبحث الثالث
إطلاق حكم الكفر

التكفير من المسائل الخطيرة التي ينبغي التحرز منها في حق المعين إذ ليس كل من عمل عملاً أو قال قولاً كفريًا يكون كافرًا إلاَّ إذا وجدت الشروط في حق ذلك المعين، وانتفت الموانع التي تمنع من استحقاقه لذلك الحكم، فقد يقول الإنسان الكفر أو يعمله باجتهاد أو خطأٍ ولا يكفر به، وذلك لما يترتب على ذلك من الأحكام الشرعية كإهدار دمه وزوال عصمة ماله وأولاده وتحريم زوجته عليه وعدم حل ذبيحته وعدم جواز تغسيله والصلاة عليه، ودفنه في مقابر المسلمين وعدم جواز الاستغفار له بعد موته. ولورود الوعيد الشديد على من أطلق كلمة الكفر على مسلم ولم يكن كذلك ففي الحديث: «**من قال لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما**»(١).

ولذا فإنَّ التكفير حكم شرعي لا يثبت إلاَّ بنص صريح أو قياس على نص صحيح بشرط توافر الشروط وانتفاء الموانع إذ لايتحقق الحكم بالتكفير إلاَّ بشرطين:

١ـ أن يقوم الدليل على أنَّ هذا الشيء مما يكفر فاعله كفرًا مخرجًا عن الملة.

٢ـ أن ينطبق الحكم على من فعل ذلك الفعل بعينه.

---

(١) رواه البخاري: (٦١٠٣).

ولا يتحقق أيضًا إلاَّ بانتفاء الموانع وهي:

١ـ أن يكون عالمًا بذلك فإن كان جاهلاً أو متأولاً لم يكفر بذلك.

٢ـ أن يكون مختارًا فإن كان مكرهًا لم يكفر

٢ـ أن يكون عامدًا فإن كان مخطئًا لم يكفر

والقاعدة في ذلك أنَّ من دخل في الإسلام بيقين فلا يخرج منه إلاَّ بيقين.

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ «إنَّ التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين وإنَّ تكفير المطلق لايستلزم تكفير المعين إلاَّ إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع يبين هذا أنَّ الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه»[١].

ويقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ «ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة إذا قال قولاً يكون القول به كفرًا فيقال من قال بهذا القول فهو كافر ولكن الشخص المعين إذا قال ذلك لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها»[٢]

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: (١٢/ ٤٨٧).

(٢) الدرر السنية: (٨/ ٢٤٤).

المبحث الرابع
أصول المكفرات

أولاً: الكفار نوعان:

النوع الأول: الكفار الذين لم يدخلوا في دين الإسلام أصلاً من اليهود والنصارى والمجوس والهندوس والبوذيين والدهريين وغيرهم من أصناف الكفار فهؤلاء دل الكتاب والسنة وإجماع المسلمين على كفرهم وخلودهم في النار وتحريم الجنة عليهم.

النوع الثاني: «الذين ينتسبون لدين الإسلام ويزعمون أنهم مؤمنون بمحمد ﷺ ثم يصدر منهم ما يناقض ذلك ويزعمون بقاءهم على دين الإسلام وأنهم من أهله.

فهؤلاء لتكفيرهم أسباب متعددة ترجع كلها إلى تكذيب الله ورسوله وعدم التزام دينه ولوازم ذلك»[١].

ثانيًا: جميع المكفرات تدخل تحت نواقض أربعة: القول أو الفعل أو الاعتقاد أو الشك.

يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية السابق ـ عليه رحمة الله ـ

العقيدة الإسلامية لها قوادح، وهذه القوادح قسمان: قسم ينقض هذه العقيدة ويبطلها ويكون صاحبه كافرًا نعوذ بالله، وقسم يُنقص هذه العقيدة ويُضعفها:

---

(١) انظر: إرشاد أولي البصائر والألباب للسعدي: (١٩١).

القسم الأول: القوادح المكفرة:

نواقض الإسلام هي الموجبة للردة هذه تسمى نواقض والناقض يكون قولاً، ويكون عملاً ويكون اعتقادًا ويكون شكًا، فقد يرتد الإنسان بقول يقوله، أو بعمل يعمله، أو باعتقاد يعتقده، أو بشك يطرأ عليه، وهذه الأمور الأربعة كلها يأتي منها الناقض الذي يقدح في العقيدة ويبطلها وقد ذكرها أهل العلم في كتبهم وسمَّو بابها باب حكم المرتد فكل مذهب من المذاهب وكل فقيه من الفقهاء ألَّف كتبًا في الغالب عندما يذكر الحدود يذكر باب حكم المرتد، وهو الذي يكفر بعد الإسلام وهذا مرتد يعني إنه رجع عن دين الله وارتد عنه قال فيه النبي ﷺ: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**»(١) وفي الصحيحين أنَّ النبي ﷺ بعث أبا موسى الأشعري إلى اليمن ثم اتبعه معاذ بن جبل فلما قدم عليه قال: أنزل وألقى له وسادة وإذا رجل عنده موثق قال: ماهذا قال: هذا كان يهوديًا فأسلم ثم راجع دينه دين السوء فتهوَّد قال: لاأجلس حتى يقتل قضاء الله ورسوله فقال: اجلس نعم قال: لاأجلس حتى يقتل قضاء الله ورسوله ثلاث مرات فأمر به فقتل»(٢).

فدلَّ ذلك على أنَّ المرتد عن الإسلام يقتل إذا لم يتب يستتاب فإن تاب ورجع فالحمدلله وإنْ لم يرجع وأصر على كفره وضلاله يقتل ويعجل به إلى النار لقوله ﷺ: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**».

---

(١) رواه البخاري : (٣٠١٧)

(٢) رواه البخاري: ح(٦٩٢٣)، ومسلم ح: (١٧٣٣).

١ـ الردة بالقول:

النواقض التي تنقض الإسلام بالقول كثيرة منها: سب الله عزَّوجل وسب الرسول ﷺ أو بقول: إنَّ الله ظالم أو إنَّ الله بخيل أو إنَّ الله فقير أو إنَّ الله لا يعلم بعض الأمور أو لايقدر على بعض الأمور فهذه الأقوال كلها ردة عن الإسلام، أو قال مثلاً: إنَّ الله لم يوجب علينا الصلاة، فهو مرتد بإجماع المسلمين إلاَّ إذا كان جاهلاً فيعلم، فإن أصرَّ كفر، أو قال الزكاة غير واجبة وكذا الصيام، أو الحج مع الاستطاعة من قال هذه الأقوال كفر إجماعًا يستتاب فإن تاب وإلاَّ قتل وهذه الأمور تسمى ردة قولية.

٢ـ الردة بالفعل:

مثل ترك الصلاة على الأصح من أقوال العلماء لقول النبي ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»(١) وقوله ﷺ: «**بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة**»(٢) وقال شقيق بن عبدالله العقيلي التابعي المتفق على جلالته ـ رحمه الله ـ كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة»(٣) وهذه ردة فعليه بترك الصلاة عمدًا.

ومن ذلك لو استهان بالمصحف الشريف وقعد عليه أو لطخه بالنجاسة عمدًا أو وطأه بقدمه ليستهين به فإنه يرتد بذلك عن

---

(١) رواه الإمام أحمد: (٥/٣٤٦)، والترمذي: (٢٦٢١)، والنسائي: (٤٦٣)، وابن ماجه: (١٠٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي: (٣/٣٢٩).

(٢) رواه مسلم: ح(٨٢).

(٣) رواه الترمذي: (٢٦٢٢).

الإسلام.

ومن الردة الفعلية: الطواف بالقبور للتقرب إلى أهلها بذلك أو الصلاة لهم أو للجن.

أما دعاؤه إياهم والاستعانة بهم فردة قولية:

أما من طاف بالقبور يقصد بذلك عبادة الله فهو بدعة قادحة في الدين لا يكون مرتدًا إذا لم يقصد التقرب إليه بذلك.

ومن الردة والكفر الفعلي الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو لأصحاب القبور أو للكواكب يتقرب إليها بذلك فهذا ما أُهِلَّ به لغير الله فيكون ميتة وفعله كفر أكبر.

٣ـ الردة بالاعتقاد: كمن يعتقد بقلبه أنَّ الله ظالم أو بخيل أو أنه لايوجد بعث ولا جنة ولا نار أو اعتقد عدم صدق النبي ﷺ أو أنه ليس بخاتم الأنبياء أو اعتقد كذب أحد الأنبياء أو اعتقد جواز دعوة غير الله أو جوَّز عبادة غير الله من ملك أو نبي أو شجر أو جن أو غير ذلك فهو كافر مرتد وإذا نطق ذلك بلسانه صار كافرًا بالقول والاعتقاد جميعًا، وإن فعل ذلك ودعا غير الله واستغاث بغير الله صار كافرًا بالقول والفعل والاعتقاد، ومما يدخل في هذا ما يفعله عباد القبور اليوم في كثير من الأمصار من دعاء الأموات والاستغاثة بهم وطلب المدد منهم فيقول بعضهم ياسيدي المدد المدد ياسيدي الغوث الغوث، أنا بجوارك اشف مريضي ورد غائبي وأصلح قلبي يخاطبون الأموات الذين يسمونهم الأولياء ويسألونهم هذا السؤال نسوا الله وأشركوا معه غيره تعالى الله عن ذلك فهذا كفر قولي وفعلي وعقدي.

وبعضهم ينادي من مكان بعيد وفي أمصار متباعدة: يارسول الله انصرني ونحو هذا وبعضهم يقول: عند قبره صلوات الله وسلامه عليه يارسول الله اشف مريضي يارسول الله المدد المدد انصرنا على أعدائنا أنت تعلم ما نحن فيه.

والرسول ﷺ لا يعلم الغيب إذ لايعلم الغيب إلاَّ الله سبحانه هذا من الشرك القولي والعملي وإذا اعتقد أنَّ هذا جائز صار شركًا قوليًا وفعليًا وعقديًا نسأل الله العافية.

٤ـ الردة بالشك:

وتكون كمن يقول: أنا لاأدري هل الله حق أم لا؟ أنا شاك أو يقول: أنا لاأعلم هل البعث حق أم لا: أو قال أنا لاأدري هل الجنة والنار حق أم لا أنا لاأدري أنا شاك فمثل هذا يستتاب فإن تاب وإلاَّ قتل كافرًا لشكه فيما هو معلوم من الدين بالضرورة وبالنص والإجماع، ومثل ذلك لو قال: أشك في الصلاة هل هي واجبة أم لا وكذلك الزكاة والصيام والحج فهذه الشكوك كلها كفر أكبر إذ لا بدَّ من الإيمان بهذه الأمور أعني الصلاة والزكاة والصيام والحج وأنها حق واجبة على المسلمين بشروطها الشرعية.

أما الوسوسة العارضة والخطرات فإنها لا تضر إذا دفعها المؤمن ولم يسكن إليها ولم تستقر في قلبه لقوله ﷺ: «**إنَّ الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها مالم يتكلموا أو يعملوا به**»[1]

وعليه أن يعمل الآتي:

(أ) يستعيذ بالله من الشيطان.

---

(١) رواه مسلم: (١٢٧).

(ب) ينتهي عما يدور في نفسه.
(ج) يقول آمنت بالله ورسله.

القسم الثاني: قوادح دون الكفر:

وهي تضعف الإيمان وتنقصه وتجعل صاحبها معرضًا للنار، وغضب الله، لكن لا يكون صاحبها كافرًا مثال ذلك أكل الربا وارتكاب المحرمات كالزنا والبدع إذا آمن بأنَّ ذلك حرام ولم يستحله وكذا الاحتفال بالمولد، وهو ما أحدثه الناس في القرن الرابع وما بعده من الاحتفال بمولد الرسول ﷺ، فيكون ذلك إضعافًا للعقيدة، إلاَّ إذا كان هناك في المولد استغاثة بالنبي ﷺ فإنَّ هذه البدعة تكون من النوع الأول المخرج من الإسلام.[١]

---

(١) القوادح في العقيدة الإسلامية للشيخ عبد العزيز بن باز، وهي محاضرة ألقاها ـ رحمه الله ـ في الجامعة الكبير بالرياض، وقد نشرها الشيخ خالد بن عبدالرحمن الشائع.

المبحث الخامس
آثار الكفر وأضراره

الكفر سبب كل وبال وعلة كل هلاك وله آثاره الخطيرة التي تصيب الإنسان في الدنيا والآخرة فمن آثاره في الدنيا:

١ـ الضلال وعدم الهداية إلى طريق الحق، يقول عزّوجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ ﴾[1].

٢ـ الطبع على القلب وعدم الاستفادة من نور الوحي يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2] ويقول عزّوجل: ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾[3].

٣ـ وجوب قتله ردة وعدم جواز تغسيله أو الصلاة عليه أو دفنه في مقابر المسلمين.

٤ـ حرمة مخالطته أو بقاء زوجته المسلمة في عصمته وسقوط ولايته على أولاده وعدم مناصرته أو توليه.

أماآثار الكفر في الآخرة فمنها:

١ـ دخول النار والخلود فيها مع شدة العذاب وعدم التخفيف يقول

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦، ٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

عزَّوجل: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ۝٣٦﴾[1].

٢ـ فساد جميع أعمال الكافر وإحباطها وعدم قبولها يقول سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾[2].

٣ـ عدم غفران الله للعبد إذا مات على الكفر يقول عزَّوجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝١٦٩﴾[3].

٤ـ لحوق الخزي والعار كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[4]

٥ـ الطرد والإبعاد من رحمة الله وحلول اللعنة والغضب يقول عزَّ وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٦٥﴾[5].

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٦.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٨، ١٦٩.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٢.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٦٤، ٦٥.

المبحث السادس
مما يناقض الإيمان أيضًا النفاق

تعريف النفاق لغة: مأخوذ من النفق وهو طريق يتخذه الضب واليربوع تحت الأرض، يدخل فيه من ناحية ويخرج من أخرى.

وشرعًا: إظهار الإسلام وإخفاء الكفر بحيث يخالف قول المنافق فعله وسره علانيته ومدخله مخرجه.

ويسمى المنافق زنديقًا في اصطلاح الفقهاء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الزنديق في عرف الفقهاء هو المنافق الذي كان على عهد النبي ﷺ وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره سواء أبطن دينًا من الأديان كدين اليهود والنصارى أو غيرهم»[١].

وينقسم النفاق إلى نوعين:

الأول: النفاق الأكبر: النفاق الاعتقادي: وهو أن يظهر الإنسان الإيمان ثم يبطن ما يناقض ذلك وهو الذي كان على عهد رسول الله ﷺ وفي أهله نزل القرآن بتكفيرهم والإخبار بأنهم في الدرك الأسفل من النار.

وصور النفاق الأكبر منها:

١ـ تكذيب الرسول ﷺ أو بعض ما جاء به.

٢ـ بغضه صلوات الله وسلامه عليه، أو بغض ما جاء به.

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٧/ ٤٧١).

٣ـ إظهار الفرح والسرور بهزيمة وإنخفاض دين الإسلام.
٤ـ إعلان الحزن والكراهية حين ينتصر دين الإسلام.
٥ـ عدم اعتقاد وجوب تصديق النبي ﷺ ووجوب طاعته.

الثاني: النفاق الأصغر: النفاق العملي: وهو فعل بعض الأعمال التي تخالف مقتضى الإيمان وقد تضمنها كل من حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربع من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدَّث كذَّب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر**»[١]

وحديث أبوهريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[٢]

(١) رواه البخاري ح: (٣٤)، ومسلم ح: (٥٨).
(٢) روه البخاري ح: (٣٣)، ومسلم ح: (٥٩).

المبحث السابع
صفات المنافقين

لقد هتك الله أستار المنافقين في كتابه الكريم، وكشف عوارهم وفضح أمرهم وخصهم بالذكر في سورة كاملة، مثل: سورة التوبة التي من ضمن أسمائها الفاضحة والكاشفة وسورة المنافقون حتى كاد القرآن كله ـ كما يقول ابن القيم ـ يكون في شأنهم وذلك للتحذير منهم وللتنبيه على خطرهم.

وقد وصفهم الله بصفات عديدة تضمنتها الآيات الكريمة منها:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾[1]، وقد تضمنت هذه الآيات وما بعدها بعض الصفات القبيحة للمنافقين وهي: الكذب والمخادعة وادعاء الإصلاح مع أنهم في الحقيقة حملة معول الإفساد ووصفهم أهل الإيمان بالسفه بينما هم السفهاء الحقيقيون بالإضافة إلى تلونهم بدعوى الإيمان عند أهل الإيمان ثم إنكارهم له عند عودتهم إلى شياطينهم.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا

(١) سورة البقرة، الآية: ٨، ١٠

وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾[1]، وقد اشتملت هذه الآيات على أقبح الصفات للمنافقين وهي: زخرفة الألفاظ وتحسين العبارات وإشهاد الله على صدقهم للإمعان في إضلال الآخرين ومخادعتهم، ثم عودتهم إلى طبيعتهم من السعي بالفساد وإهلاك الحرث والنسل بمجرد غياب أعين الناس عنهم.

التكبر والتغطرس وعدم الارعواء أو الانزجار عند تخويفهم من عذاب الله وأمرهم بتقواه.

٣ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾[2] وهذه الآية دلَّت على خلق المخادعة الذي يتصف به المنافقون كأبرز معالمهم وعلى كسلهم وضعفهم عند القيام إلى أداء العبادات خصوصًا الصلاة، وعلى عدم إخلاصهم في أدائها إذا قاموا بذلك نادرًا، بل يراءون بأدائها ولا يقصدون بعملهم وجه الله، لأنَّ قلوبهم مريضة، وأيضًا فإنهم لا يذكرون الله إلاَّ قليلاً لخراب قلوبهم، ولعدم تميزهم، فهم مذبذبون مترددون، لا تتضح لهم حالة ولا يهتدون سبيلاً

٤ـ قوله ﷺ: «**أثقل الصلوات على المنافقين صلاة العشاء والفجر**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤، ٢٠٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٢، ١٤٣.

ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا»[١]، وهذا الحديث يكشف بوضوح حالة المنافقين الذين يتخلفون عن أداء صلاة العشاء والفجر وهو يمثل المقياس الذي يقيس به الإنسان إيمانه خصوصًا صلاة الفجر التي يقع زمن أدائها في وقت يتعارض مع راحة الإنسان ونومه ، ولكن المؤمن يتغلب على تلك المعوقات وينهض لأداء الصلاة في بيت الله، أما المنافق فإنَّ هزال دينه وضعف يقينه يمنعانه من القيام في هذا الوقت الحرج ولذا نرى أعداد المصلين قليلة في صلاة الفجر في جميع مساجد المسلمين.

وبالجملة فإنَّ المتأمل لآيات القرآن الكريم والسنة المطهرة يمكنه استخلاص صفات وعلامات المنافقين والتي من أبرزها أنهم:

١ـ يدَّعون الإيمان وهم كاذبون.
٢ـ يدَّعون الإصلاح وهم المفسدون.
٣ـ يرمون المؤمنين بالسفه وهم السفهاء الحقيقيون.
٤ـ أقوالهم مزخرفة وعباراتهم منمقة وهم ألدّ الخصماء.
٥ـ إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى.
٦ـ يراءون الناس بأعمالهم.
٧ـ لايذكرون الله إلاَّ قليلاً.
٨ـ لاينفقون إلاَّ وهم كارهون.
٩ـ يقبضون أيديهم عن الإنفاق في وجوه الخير.
١٠ـ يتثاقلون عن صلاتي العشاء والفجر.
١١ـ يخلفون المواعيد.

---

(١) رواه البخاري ح: (٦٥٨)، ومسلم ح: (٦٥١).

١٢ـ يكذبون في الحديث.
١٣ يغدرون في العهود وينقضون المواثيق.
١٤ـ يفجرون في الخصومات.
١٥ـ يخونون الأمانات.
١٦ـ أخبث الناس قلوبًا وأحسنهم أجسامًا.
١٧ـ يكثرون من الحلف ليقينهم بأنَّ القلوب لا تطمئن إليهم.
١٨ـ يأخذون من الدين ما يوافق رغباتهم.
١٩ـ يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.
٢٠ـ يوالون أعداء الله من الكفرة[١]

---

(١) انظر: نور الإيمان وظلمات النفاق للدكتور: سعيد بن علي بن وهف: (٨٠ ـ ٨٤).

المبحث الثامن
آثار النفاق

كما أنَّ للكفر أضراره الكبيرة، وآثاره الخطيرة فإنَّ النفاق أيضًا لايقل خطورة أو ضررًا منه فعواقبه وخيمه ونتائجه أليمة تُعرِّض الإنسان للهلاك والخسران في الدنيا والآخرة ومن ذلك:

١ـ الخلود في النار وبئس القرار بل في الدرك الأسفل فيها مع الكفار يقول عزَّوجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾[1] ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾[2].

٢ـ وجوب اللعنة عليهم ومطاردتهم بها، أينما ثقفوا وحيثما وجدوا يقول عزَّوجل: ﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾[3].

٣ـ عدم قبول الأعمال الصالحة ورفضها وإبطالها يقول عزَّوجل: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٦٠، ٦١.

يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾[١]

٤ـ حرمان المنافق من دعاء المؤمنين وصلاتهم عليه عند موته يقول سبحانه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾[٢] وآثار النفاق لا حصر لها ولا عد بل هو سبب كل دمار وعنوان كل خسار نسأل الله العافية[٣].

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٣، ٥٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨٤.

(٣) انظر: نور الإيمان وظلمات النفاق للدكتور/ سعد بن علي بن وهف: (٨٥، ٩٠).

الباب الرابع
التـــوحـــيد

وفيه مباحث :

المبحث الأول: **مفهوم التوحيد**

المبحث الثاني: **توحيد الربوبية.**

المبحث الثالث: **توحيد الألوهية.**

المبحث الرابع: **توحيد الأسماء والصفات.**

المبحث الخامس: **رؤية الله عز وجل.**

المبحث السادس: **ثمرات التوحيد.**

المبحث الأول
مفهوم التوحيد

التوحيد: « **هو إفراد الله بالعبادة**: والخلوص من الشرك والبراءة من أهله ويعرفه بعضهم: بأنه العلم والاعتراف المقرون بالاعتقاد الجازم بتفرد الله عزَّوجل بالأسماء الحسنى وتوحده بصفات الكمال والعظمة والجلال وإفراده وحده بالعبادة»[١]

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات التوحيد بأدلة كثيرة منها:

أولاً: القرآن الكريم:

١ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾[٢] قال القرطبي معنى يعبدون أي يوحدون[٣]

٢ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٦ ﴾[٤].

قال الشيخ السعدي: «يخبر الله عزَّوجل أنَّ حجته قامت على جميع الأمم وأنه مامن أمة متقدمة أو متأخرة إلاَّ وبعث الله فيها

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد لابن سعدي: (١٨).
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦، ٥٨.
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (١٧/ ٥٧).
(٤) سورة النحل، الآية: ٣٦.

رسولاً وكلهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحد وهو عبادة الله وحده لاشريك له»[١]

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[٢] وهذه الآية توضح أنَّ كل الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ إنما دعوا إلى توحيد الله وعبادته وحده لاشريك له.

ثانيًا: من السنة المطهرة:

١ـ أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ «**أنَّ رسول الله ﷺ قال له: يامعاذ أتدري ماحق الله على عباده؟ قال قلت: الله ورسوله أعلم قال: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، ثم سار ساعة، ثم قال: يامعاذ وهل تدري ماحق العباد على الله إذا فعلوه قلت: الله ورسوله أعلم قال: حق العباد على الله أن لايعذب من لايشرك به شيئًا**»[٣] وهذا الحديث يتضمن وجوب عبادة الله وحده لا شريك له المقتضية لتوحيده سبحانه.

٢ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى أهل اليمن قال له: «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ماتدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم**

---

(١) انظر: تسير الكريم لابن سعدي: (٣٩٣).
(٢) سورة الأنبياء الآية: ٢٥.
(٣) رواه البخاري ح: (٥٦٧)، ومسلم ح: (٣٠).

فإذا صلوا فأخبرهم أنَّ الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وَتَوَقَّ كرائم أموال الناس»[١].

ودلالة الحديث في أهمية التوحيد ووجوب البدء به في الدعوة إلى الله واضحة ولله الحمد والمنة.

٣ـ عن عتبان بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله حرَّم على النار من قال: لاإله إلَّا الله يبتغي بذلك وجه الله**»[٢].

---

(١) رواه البخاري ح: (٧٣٧٢)، ومسلم ح: (١٩).

(٢) رواه البخاري ح: (٤٢٥)، ومسلم ح: (٣٣).

المبحث الثاني
توحيد الربوبية

هو الاعتقاد الجازم بأنَّ الله ـ عزَّوجل ـ رب كل شيء ومليكه وخالق كل شيء والمتصرف في هذا الكون وحده لا شريك له وأنه المنفرد سبحانه بالخلق والتدبير وتصريف الأمور لجميع المخلوقات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فتوحيد الربوبية أنه لاخالق إلاَّ الله فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور بل ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن»[(١)].

ويقول ابن القيم: «فهو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه لايخرج شيء عن ربوبيته وكل من في السماوات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره»[(٢)].

وهذا النوع من التوحيد هو الأساس بالنسبة لأنواع التوحيد الأخرى لأنَّ الخالق المالك الرازق المدبر هو الجدير وحده بالتوجه إليه بالعبادة كما هو الجدير وحده بأن يوصف بصفات الجلال والكمال وأن ينزه عن كل عيب ونقص.

ورغم أهميته فإنَّ المشكلة في حياة البشر في القديم والحديث لم تكن في عدم الإيمان بوجود الله سبحانه، لأنَّ ذلك مما استقر في فطر الناس، ولذا لم يرسل الله عزَّوجل رسولاً ولا نبيًّا يدعو الناس إلى الإيمان بوجوده سبحانه، وإنما المشكلة كانت ولا تزال في قيام

---

(١) فتاوى ابن تيمية: (١٠/ ٣٣١).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم: (١/ ٣٤).

الناس بعبادة غير الله، وإشراكهم مع الله عزَّوجل، فمنذ نزول آدم ـ عليه السلام ـ وتسلسل ذريته وهم يعبدون الله، وعندما تنحرف البشرية عن العبادة الصحيحة، وتقع في الشرك، يرسل الله الرسول لتصحيح الوضع، ودعوة الناس إلى عبادة الله وحده.

والمشركون الذين خوطبوا بالقرآن كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ولم يكن لديهم اعتقاد في أنَّ الأصنام التي كانوا يعبدونها أنها مشاركة لله في الخلق والرزق والإحياء والإماتة، فقد ذكر الله اعترافهم بذلك في كثير من الآيات منها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾[١].

الأدلة على توحيد الربوبية عند أهل السنة والجماعة:

وجود الخالق سبحانه وتفرده بالربوبية وكونه الخالق المدبر لهذا الكون لا يحتاج إلى دليل إذ أنَّ المستدل نفسه دليل على وجود خالقه فإن المستدل مخلوق ولا وجود لمخلوق بدون خالق يقول عزَّوجل: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾[٢].

فالإنسان لم يخلق من غير شيء لأنَّ غير الشيء عدم والعدم لا يمكن أن يخلق شيئًا وأيضًا فإنَّ الإنسان لم يخلق نفسه إذًا فإنَّ من المتعين أن يكون له خالق وهو الله عزَّوجل: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٨٦، ٨٧.
(٢) سورة الطور، الآية: ٣٥،٣٦.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾[١].

والأدلة والبراهين على توحيدالربوبية كثيرة لايمكن حصرها إذ أنَّ كل ما في الوجود دليل على الله عزَّوجل ولكنني سأذكر بعض الدلائل التي ذكرها علماء أهل السنة والجماعة والتي وردت بها النصوص من الكتاب والسنة وهي:

١ـ دليل الفطرة:

الإيمان بوجود الله سبحانه أمر فطري لا يحتاج إلى دليل أو برهان فالفطرة السليمة مجبولة على الإقرار بوجوده تبارك وتعالى، والإيمان به عزَّوجل مغروز في شعور كل إنسان عاقل، وهذا الشعور الفطري دليل من الأدلة الصادقة على وجود الخالق سبحانه، والذي لا ينكره سوى شراذم من شواذ البشر، من الدهريين والملاحدة، ثم لايملكون إلاَّ اللجوء إليه عند الضرورات والشدائد، وعلماء أهل السنة والجماعة يؤكدون على أنَّ الله قد فطر الناس على الدين الحق، وأنَّ هذه الفطرة لو سلمت من المعارض لبقيت على حالها من السلامة والاستقامة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإقرار بالله والاعتراف بالصانع ثابت في الفطرة كماقرره سبحانه في كتابه في مواضع فلا يحتاج إلى دليل، بل هو أرسخ المعارف وأصل الأصول»[٢].

ويقول رحمه الله في موضع آخر: «فالنفوس مفطورة على علم ضروري موجود فيها بالخالق الذي خلق السموات وأنه خالق

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٢/٧٢).

السماوات والأرض ليس شيء منها خلق الناس كما قال موسى لفرعون لما قال: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾[١] قال: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾[٢] وقال: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾[٣][٤].

وقد استدل علماء أهل السنة والجماعة على ماذهبوا إليه من أنَّ الله قد فطر النفوس البشرية على الإيمان به والإقرار بربوبيته وحده لاشريك له بأدلة كثيرة منها:

أولاً: من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[٥] فقد نقل الإمام ابن عبدالبر إجماع أهل التفسير على أنَّ المقصود بالفطرة الإسلام حيث يقول: «أجمع أهل العلم بالتأويل على أنَّ المراد بقوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ﴾ الإسلام وهو المعروف عند عامة السلف[٦].

ثانيًا: من السنة المطهرة:

ما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله

---

(١) سورة الشعراء ، الآية: ٢٣.
(٢) سورة لشعراء، الآية: ٢٤.
(٣) سورة طه، الآية: ٤٩، ٥٠.
(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٨/ ٢٣٨).
(٥) سورة الروم، الآية: ٣٠.
(٦) التمهيد لابن عبدالبر: (١٨/ ٧٢).

ﷺ: **«ما من مولود إلَّا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»**[١].

وبالحديث القدسي الذي أخرجه مسلم فيما يرويه النبي ﷺ عن ربه عزَّوجل قال: **«إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم»**[٢].

٢ـ من أدلة توحيد الربوبية: دليل الخلق:

هذا الكون الفسيح وهذه العوالم الهائلة والأجرام الضخمة وتلك السموات والأرض وما احتوته من المخلوقات البديعة والكائنات العجيبة وهذا الإنسان وما فيه من الآيات كل هذا وغيره يشهد أنَّ لهذا الكون خالقًا أبدعه ومدبرًا أحكم أمره وسيره والمتأمل في كتاب الله الكريم يجده مملوءًا بالآيات التي تدعو إلى النظر والتفكر في تلك الدلائل القطعية المبثوثة في الآفاق وفي الأنفس والتي تشهد بعظمة الخالق سبحانه وكمال قدرته وسعة علمه من مثل قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[٤] وقد جمع الله معظم تلك الآيات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

(١) رواه البخاري ح: (١٣٨٥)، ومسلم ح: (٢٦٥٨).
(٢) رواه مسلم ح: (٢٨٦٥).
(٣) سورة فصلت، الآية: ٥٣.
(٤) سورة الذاريات، الآية: ٢٠، ٢١.

وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[1]

والاستدلال بالآيات الكونية سواء ما كان منها متعلقًا بالمخلوقات عامة أو ما كان متعلقًا بالإنسان خاصة منهج قويم من مناهج أهل السنة والجماعة حيث تتجلى ـ رحمة الله ـ بخلقه حين دلَّهم على نفسه بما نصب لهم من الأدلة الكونية المبثوثة في الكون وفي أنفسهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والإستقامة وهي طريقة عقلية صحيحة وهي شرعية دلَّ القرآ ن عليها وهدى الناس إليها وبيَّنها وأرشدها وهي عقلية فإنَّ كون نفس الإنسان حادثًا بعد أن لم يكن ومولودًا ومخلوقًا من نطفة ثم من علقة هذا لم يعلم بمجرد خبر الرسول ﷺ بل هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم سواءً أخبر أو لم يخبر به الرسول ﷺ لكن الرسول ﷺ أُمر أن يستدل به ودلَّ به وبيَّنه واحتج به فهو دليل شرعي لأنَّ الشارع استدلَّ به وهو عقلي لأنه بالعقل عرف»[2]

ويقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ «لما كان أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه دعاه خالقه وبارئه ومصوره وفاطره من ماء إلى التبصر والتفكر في نفسه فإذا تفكر الإنسان في نفسه استنارت له آيات الربوبية وسطعت له أنوار اليقين واضمحلت عنه غمرات الشك

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.
(٢) النبوات لابن تيمية: (٩٢).

والريب»(١).

٣ـ من أدلة توحيد الربوبية:

دليل المعجزة وهي: «أمر خارق للعادة داع إلى الخير والسعادة مقرون بدعوى النبوة قصد بها إظهار صدق من ادَّعى أنه رسول من الله»(٢) وهي مقرونة بالتحدي سالمة من المعارضة وتكون إما حسية تشاهد بالبصر والسمع كخروج الناقة من الصخرة، وانقلاب العصا حية وكلام الجمادات ونحو ذلك وإما معنوية تشاهد بالبصيرة كمعجزة القرآن الكريم(٣).

ودلالة المعجزة على وجود الله عزَّوجل وربوبيته سبحانه واضحة لأنَّها دلَّت على صدق الرسل، وأنَّ كل ما أخبروا به صدق ومن أعظم ما أخبروا به وجوب الإيمان بوجود الله سبحانه وتوحيده وعبادته وحده لاشريك له، وأيضًا فإنَّ الرسل لم يدَّعوا أنَّ المعجزة من عندهم وإنما أخبروا أنها من عندالله وهذا يوجب الإيمان به عزَّوجل.

وقد استدل علماء أهل السنة والجماعة على وجود الله سبحانه وربوبيته بالمعجزات التي أيَّد الله بها رسله لبيان صدقهم فيما أخبروا به وفيما دعوا إليه من عبادته وحده وترك عبادة ما سواه.

فهذا ابن عبدالبر ـ رحمه الله ـ يقول: «إن من نظر إلى إسلام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وسعد وعبدالرحمن، وسائر

---

(١) التبيان في أحكام القرآن لابن القيم: (٣٠٣).

(٢) التعريفات للجرجاني: (٢٨٢).

(٣) أعلام السنة المنشورة لحافظ الحكمي: (٩٢).

المهاجرين والأنصار، وجميع الوفود الذين دخلوا في دين الله أفواجًا، علم أنَّ الله عزَّوجل لم يعرفه واحد منهم إلاَّ بتصديق النبيين بإعلام النبوة ودلائل الرسالة»[١].

وقد نسب ابن تيمية هذه الطريقة أعني الاستدلال بالمعجزات على ربوبية الله سبحانه إلى أئمة السلف حيث يقول: «وهذه طريقة السلف من أئمة المسلمين في الاستدلال على معرفة الصانع وحدوث العالم»[٢].

ويقول ـ رحمه الله ـ في مكان آخر: «المعجزات يعلم بها صدق الرسول المتضمن إثبات مرسله لأنها دالة بنفسها على ثبوت الصانع المحدث لها، وأنه أحدثها لتصديق الرسول وإن لم يكن قبل قد تقدم من العبد معرفة الإقرار بالصانع»[٣].

أما ابن القيم ـ رحمه الله ـ فيرى أنَّ طريق إثبات وجودالله بالمعجزات من أفضل الطرق وأعظمها دلالة على ربوبية الله سبحانه وتعالى فيقول: «وهذا الطريق من أقوى الطرق وأصحَّها وأدلَّها على الصانع وصفاته وأفعاله، وإرتباط أدلة هذا الطريق بمدلولاتها أقوى من الأدلة العقلية الصريحة ولهذا يسميها الله آيات بينات وليس في طرق الأدلة أوثق ولا أقوى منها، فإنَّ انقلاب عصا تقلِّبها اليد ثعبانًا عظيمًا يبتلع ما يمر به ثم يعود عصا كما كانت من أدل دليل على وجود الصانع وحياته وقدرته وإرادته وعلمه بالكليات والجزئيات

(١) التمهيد لابن عبدالبر: (٧/ ١٥٢).
(٢) درء تعارض العقل لابن تيمية: (٨/ ٣٥٢).
(٣) المصدر السابق: (٩/ ٤١).

وعلى رسالة الرسول وعلى المبدأ والمعاد، فكل قواعد الدين في هذه العصا، وكذلك اليد، وفلق البحر طرقًا والماء قائم بينهما كالحيطان، ونتق الجبل من موضعه، ورفعه على قدر العسكر العظيم فوق رؤوسهم، وضرب حجر مربع بعصا فتسيل منه اثنتا عشرة عينًا، تكفي أمة عظيمة وكذلك سائر آيات الأنبياء مما هو من أعظم الأدلة على الصانع وصفاته وأفعاله، وصدق رسله واليوم الآخر وهذه من طرق القرآن التي أرشد الله إليها عباده ودلَّهم بها كما دلَّهم بما يشاهدونه من أحوال الحيوان والنبات والمطر والسحاب والحوادث التي في الجو والأرض»[(١)].

وبهذا يظهر جليًا أنَّ ما سلكه أئمة الدين من علماء أهل السنة والجماعة من تأكيد الاستدلال بالمعجزات على توحيد الربوبية طريق شرعي دلَّ عليه الكتاب والسنة المطهرة.

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم: (٣/١١٩٧).

المبحث الثالث
توحيد الألوهية

وهو توحيد العبادة أو توحيد القصد والطلب وحقيقته إفراد الله سبحانه بأفعال العباد التي تعبَّدهم بها من صلاة وزكاة وصيام وحج وذبح ونذر ودعاء وخوف ورجاء وتوكل ورغبة ورهبة، وغير ذلك من أنواع العبادة التي ينبغي صرفها وتوجيهها لله وحده فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشرك.

والإله هو الذي تألهه القلوب بكمال الحب والتعظيم والإجلال والإكرام فتتوجه إليه بالعبادة دون غيره.

أما العبادة فيعرفها العلماء بأنها: «اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[١].

وقد اشتد تركيز علماء أهل السنة والجماعة واهتمامهم بتوحيد العبادة وضرورة أخلاصها لله وحده تحقيقًا للغرض الذي من أجله خلق الله الناس ولئلا يضلوا عن طريق العبادة الحقة بصرفها أو أي شيء فيها إلى غير الله فيقعوا في الشرك الذي لايغفره الله كما قال عزَّوجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[٢] وهذالنوع من التوحيد هو الذي من أجله أرسلت الرسل وأنزلت عليهم الكتب وبه افترق الناس إلى مؤمنين موحدين فلهم الفوز والنصر والتمكين في الدنيا ولهم الجنة

---

(١) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية: (٤).

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.

والنعيم المقيم في الآخرة وإلى مشركين كفرة لهم الخزي والهوان والذلة والخسران في الدنيا ولهم النار والجحيم والعذاب الأليم في الآخرة.

والأدلة على وجوب هذا النوع من التوحيد كثيرة جدًا:

أـ من القرآن الكريم:

١ـ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[١].

٢ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[٢]

٣ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[٣]

ب ـ من السنة المطهرة:

١ـ قوله ﷺ: «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أنَّ الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا فعلوا ذلك فأخبرهم أنَّ الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم فإن هم أطاعوك فإياك وكرائم أموالهم**»[٤].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٤) رواه البخاري ح: (٧٣٧٢)، ومسلم ح: (١٩).

٢ـ قوله ﷺ: «**أتدري ماحق الله على العباد ؟ قلت: لا؟ قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، ثم سار ساعة فقال**»: يامعاذ قلت: لبيك وسعديك قال: «**هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لايعذبهم**»[١].

وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية لأنَّ من عبدالله وحده ولم يشرك به شيئًا لا بدَّ أن يكون قد اعتقد في قرارة نفسه أنه إنما يعبد إلٰهه الذي خلقه وأوجده من العدم ورباه بالنعم وأنه هو الذي يملك ضرَّه ونفعه وحياته وموته ولهذا استنكر الله على المشركين عبادتهم للأصنام التي لاتملك لهم ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا فقال عزّوجل: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾[٢] ويقول عزَّشأنه: ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾[٣] كما أنه متضمن لتوحيد الأسماء والصفات الذي سوف نتحدث عنه بعد قليل لأنَّ من أخلص لله في عبادته لا بدَّ أن يثبت لله جميع الأسماء والصفات التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ من غير تحريف أو تعطيل ومن غير تكيف أو تمثيل كقوله تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[٤].

(١) رواه البخاري ح: (٦٢٦٧)، ومسلم ح: (٣٠).
(٢) سورة النحل، الآية: ٧٣.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٦.
(٤) سورة الشورى، الآية: ١١.

المبحث الرابع
توحيد الأسماء والصفات

لم يكن هذا النوع من التوحيد منفصلاً عند القدماء عن توحيد الربوبية إذ كانوا ـ رحمهم الله ـ يرون أنَّ التوحيد نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد في الطلب والقصد وهو توحيد الألوهية والعبادة(١).

إلاَّ أنه وبعد ظهور المذاهب الكلامية وكثرة التأويل والتعطيل وأيضًا التشبيه والتمثيل اضطر علماء أهل السنة والجماعة إلى إفراد الأسماء والصفات وجعلها نوعًا مستقلاً من أنواع التوحيد وقد أقاموا هذا النوع على مرتكزات أساسية ثلاثة وهي:

الأساس الأول: الإثبات لجميع الأسماء والصفات التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على مايليق به سبحانه مع اعتقادهم أنها دالة على معان ثابتة كاملة في نفس الأمر.

ويعتمد الإثبات عند السلف على قاعدتين هامتين ذكرهما شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وهما:

القاعدة الأولى: أنَّ القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر فإنَّ من أثبت بعض الصفات، كالحياة والقدرة، والإرادة، والكلام، ويجعل ذلك كله حقيقة ثم ينكر المحبة والرضا والغضب، ويجعل ذلك مجازًا يقال له: «ما الفرق بين ما أثبته وما

---

(١) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: (١٥).

نفيته، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر فإن قال إنَّ إرادته مثل إرادة المخلوقين قيل: فكذلك رضاؤه وغضبه وهذا هو التمثيل، وإن قال: إنَّ له إرادة تليق به كما أنَّ للمخلوقين إرادة تليق بهم قيل له: فكذلك له محبة تليق به وللمخلوقين محبة تناسب حالهم وكذلك سائر الصفات كالرضا والغضب. فإن قال: هذه إرادة المخلوق قيل له: وهذا غضب المخلوق وكذلك يلزم القول في بقية الصفات فيجب أن يؤخذ الكل أو يقال: في الكل ما يقال في البعض، وبهذه القاعدة نردُّ على طوائف منحرفة في هذا الباب من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وأمثالهم.

القاعدة الثانية: القول في الصفات كالقول في الذات فالله سبحانه وتعالى له ذات لاتشبه ذوات المخلوقين وكذلك صفاته وأفعاله لا تشبه صفات المخلوقين وأفعالهم، إذ يلزم من أقرَّ بأنَّ لله حقيقة ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شيء أن يقول: إنَّ سمعه وبصره وكلامه الثابت في نفس الأمر لايشابهه سمع المخلوقين ولا بصرهم ولا كلامهم فإذا قال قائل: أنا أنفي استواء الله خشية من تشبيه الله بخلقه فيقال له: انف وجودالله وذاته لأنه يلزم من ذلك تشبيه الله بخلقه فإن قال: لله وجود يخصه وذات تخصه لا تشبه ذوات المخلوقين قلنا: وكذلك نزوله واستوائه وبهاتين القاعدتين نرد على من قال: إنَّ مذهب السلف هو التفويض وليس الإثبات»[1].

---

(١) انظر: الفتاوى لابن تيمية: (٣/ ١٧، ٢٧).

الأساس الثاني: التنزيه:

يعتقد أهل السنة والجماعة أنَّ الله عزَّوجل لا يشبهه شيء، لا في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، وأنَّ إثبات ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، لا يقتضي تشبيهًا أو تمثيلاً.

يقول الإمام أبوعثمان الصابوني ـ رحمه الله ـ[(١)]:

«إنَّ أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم يشهدون لله تعالى بالوحدانية وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة ويعرفون ربهم عزَّوجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله أو شهد له بها رسوله ﷺ على ماوردت الأخبار والصحاح به ونقلته العدول الثقات عنه ويثبتون له جلَّ جلاله منها: ما أثبته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، ولايعتقدون تشبيهًا لصفاته بصفات خلقه فيقولون: إنه خلق آدم بيده كما نصَّ سبحانه عليه في قوله عزَّمن قائل: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ﴾[(٢)] ولايحرفون الكلم عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين تحريف المعتزلة والجهمية أهلكهم الله ولا يكيفونها بكيف أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله، وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه ومنَّ عليهم بالتعريف

---

(١) الإمام العلامة القدوة شيخ الإسلام إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني ولد سنة: ٣٧٣ هجرية، وصفه البيهقي بأنه إمام المسلمين حقًا وشيخ الإسلام صدقًا وقال عنه الذهبي كان من أئمة الأثر له مصنف في السنة واعتقاد السلف ما رآه منصف إلاَّ واعترف له: سير أعلام النبلاء: (١٨/ ٤٠).

(٢) سورة ص، الآية: ٧٥.

والتفهيم حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه وتركوا القول بالتعليل والتشبيه واتبعوا قول الله عزَّوجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1] إلى أن قال ـ رحمه الله ـ «وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والإرادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحياة واليقظة والفرح والضحك وغيرها[2].

الأساس الثالث: قطع النظر عن إدراك الكيفية:

لما كانت الإحاطة بذات الباريء سبحانه مستحيلة كما أخبر بذلك عزَّوجل، فقال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[3] كانت معرفة صفاته عزَّوجل مستحيلة أيضًا ولا سبيل إلى إدراكها لأنَّ معرفة كيفية الصفة تتوقف على معرفة كيفية الذات وما دمنا لا نقدر على معرفة كيفية الذات الإلٰهية فكذلك سنكون عاجزين عن إدراك كيفية صفاته ولذا فإنَّ بعض أئمة السلف حينما سئلوا عن كيفية الإستواء قالوا: «الإستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»[4].

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني: (٣).

(٣) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٤) ذكره اللالكائي في شرح أصول اعتقاد وأهل السنة والجماعة: (٦٦٤)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد نسبته إلى الإمام مالك: «ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك» مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٥/ ٣٦٥).

أسماء الله الحسنى

معرفة أسماء الله وصفاته والعلم بها يؤدي إلى كمال العلم بذاته سبحانه وبالتالي كمال الخضوع والعبودية له جلَّ شأنه ولذا كان العلم بها من أشرف العلوم لتعلقها بذات الباري عزَّوجل فبها يسأل وبها يثني عليه وبها يمدح سبحانه وتعالى.

وقد ورد في الحديث المتفق على صحته الذي يرويه الصحابي الجليل أبوهريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ لله تسعة وتسعين إسمًا مئة إلَّا واحدة من أحصاها دخل الجنة**»[(١)] غير أنَّ جمهور علماء أهل السنة والجماعة لايرون أنَّ أسماء الله محصورة في هذا العدد.

يقول الإمام الخطابي[(٢)]: «إنَّ لله تسعة وتسعين اسمًا فيه إثبات هذه الأسماء المحصورة بهذا العدد وليس فيه نفي ما عداها من الزيادة عليها وإنما وقع التخصيص بالذكر لهذه الأسماء لأنها أشهرالأسماء وأبينها معان وأظهرها وجملة قوله: «إنلله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة قضية واحدة لا قضيتان، ويكون تمام الفائدة في خبر إنَّ في قوله: من أحصاها دخل الجنة»

---

(١) رواه البخاري ح: (٢٧٣٦)، ومسلم ح: (٢٦٧٧).

(٢) الإمام العلامة الحافظ أبو سليمان حمد بن محمد البستي الخطابي صاحب التصانيف ولد سنة بضع عشرة وثلاثمائة وتفقه على مذهب الشافعي وله كتاب شرح الأسماء الحسنى وكتاب الغنية عن الكلام وأهله/ سير أعلام النبلاء: (١٧/ ٣٢).

لافي قوله تسعة وتسعين إسمًا وإنما هي بمنزلة قولك إنَّ لزيد ألف درهم أعدَّها للصدقة وكقولك إنَّ لعمرو مائة ثوب من زاره خلعها عليه وهذا لا يدل على أنه ليس عنده من الدراهم أكثر من ألف درهم ولا من الثياب أكثر من مائة ثوب وإنما دلالته أنَّ الذي أعده زيد من الدراهم للصدقة ألف درهم وأنَّ الذي أرصده عمرو من الثياب للخلع مائة ثوب»[١].

ويؤكد هذا شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يقول:

«جمهور العلماء وسلف الأمة وأئمتها على أنَّ أسماء الله عزَّوجل غير محصورة في تسعة وتسعين اسمًا ثم قال: وهو الصواب لثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أنَّ التسعة والتسعين اسمًا لم يرد في تعيينها حديث صحيح.

الوجه الثاني: أنَّه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ الله وتر يحب الوتر**»[٢] وليس هذا الاسم في هذه التسعة والتسعين وثبت في الصحيح أنه قال: «**إنَّ الله جميل يحب الجمال**»[٣] وليس هو منها وفي الصحيح أيضًا أنه قال: «**إنَّ الله طيب لا يقبل إلَّا طيبًا**»[٤] وليس هذا فيها.

الوجه الثالث: ما احتجَّ به الخطابي وغيره وهو حديث بن

---

(١) شأن الدعاء للخطابي: (٢٣).

(٢) رواه البخاري ح: (٢٧٣٦)، ومسلم ح: (٢٦٧٧).

(٣) رواه مسلم: (٩١).

(٤) رواه مسلم ح: (١٠/٤).

مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «**ماأصاب عبدًا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيَّ حكمك عدل فيَّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك ، سمَّيت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علَّمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي وشفاء صدري وجلاء حزني وذهاب غمي وهمي إلَّا أذهب الله همَّه وغمَّه وأبدله مكانه فرحًا**» قالوا: يارسول الله أفلا نتعلمهن قال: «**بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن**»[(١)].

قال الخطابي وغيره: «فهذا يدل على أنَّ له أسماء استأثر بها وذلك يدل على أنَّ لله أسماء لم ينزلها في كتابه حجبها عن خلقه ولم يظهرها لهم»[(٢)] ثم يواصل ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فيقول: «والله في القرآن قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[(٣)] فأمر أن يدعى بأسمائه الحسنى مطلقًا ولم يقل: ليست أسماؤه الحسنى إلاَّ تسعة وتسعين اسمًا والحديث قد سلم معناه والله أعلم»[(٤)].

غير أنَّ هناك من العلماء من ذهب إلى القول بحصرها في

(١) أخرجه الإمام أحمد: (١/ ٣٩١)، وصححه ابن حبان: (٢٣٧٢)، والحاكم في المستدرك: (١/٥٠٩)، وقال أحمد شاكر في شرح المسند اسناده صحيح: (٥/ ٣٧١١)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (١/ ٣٣٦)، الحديث: (١٩٩).

(٢) شأن الدعاء للخطابي: (٢٣).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٤) فتاوى ابن تيمية: (٢٢/ ٤٨٢) بتصرف يسير.

العدد المنصوص عليه في حديث أبي هريرة وخالف ما اتفق عليه جمهور العلماء ومنهم: ابن حزم ـ رحمه الله ـ الذي تمسك بظاهر النص كعادته وشدَّد في ذلك زاعمًا أنَّ من أجاز أن يكون لله اسم زائد عليها فهو كافر حيث يقول:

«وإنَّ لله ـ عزَّوجل ـ تسعة وتسعين اسمًا مائة غير واحد وهي أسماؤه الحسنى من زاد شيئًا من عند نفسه فقد ألحد في أسمائه وهي الأسماء المذكورة في القرآن والسنة، وقد صحَّ أنها تسعة وتسعون اسمًا فقط ولا يحل لأحد أن يجيز أن يكون له اسم زائد لأنه ـ عليه السلام ـ قال: «مائة غير واحد» فلو جاز أن يكون له تعالى اسم زائد لكانت مائة اسم ولو كان هذا لكان قوله ـ عليه السلام ـ مائة غير واحد كذبًا ومن أجاز هذا فهو كافر»[١].

وفي كلام العلماء السابق ذكره ما يرد على ابن حزم ويدفع مقولته التي لاتخلو من الجرأة والمبالغة ـ رحمه الله ـ وغفر لنا وله.

---

(١) المحلى لابن حزم: (١/ ٣٠).

هل يوصف الله عزّوجل بغير ما وصف به نفسه

الدلالة على الذات الإلٰهية على ثلاثة أنواع: وهي:

١ـ الأسماء.

٢ـ الصفات.

٣ـ الإخبار.

فأما أسماؤه الحسنى وصفاته العلى سبحانه فهي توقيفية لا مجال للرأي والاجتهاد فيها فلا يجوز اطلاق أي اسم أو صفة عليه سبحانه إلاَّ إذا ثبت ورودها بالدليل الشرعي من كتاب الله عزَّوجل أو سنة رسوله ﷺ.

يقول قوام السنة الإمام الأصبهاني[١] وهو يبين ضلال من سمى أو وصف الله عزَّوجل بغير ما سمى ووصف به نفسه أو سماه ووصفه به رسوله ﷺ.

«فلا يسمى أي الله تعالى إلاَّ بما سمى به نفسه في كتابه أو سماه به رسوله ﷺ وأجمعت عليه الأمة أو أجمعت الأمة على تسميته به ولا يوصف إلاَّ بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ

---

(١) الحافظ الكبير شيخ الإسلام إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني الملقب بقوام السنة قال عنه أبو موسى المديني: إمام أئمة وقته وأستاذ علماء عصره وقدوة أهل السنة في زمانه وقال عنه يحيى بن منده كان حسن الاعتقاد وجميل الطريقة قليل الكلام ليس في وقته مثله ولد سنة: (٤٥٧هـ) وتوفي سنة: (٥٣٥هـ) تذكر الحفاظ للذهبي: (٤/ ١٢٧٧).

أو أجمع عليه المسلمون فمن وصفه بغير ذلك فهو ضال»[١].

أما الإخبار عنه سبحانه فإنه يصح أن يخبر عنه سبحانه بما يليق بجلاله وعظمته لأنَّ ما يدخل في باب الأخبار أوسع مما يدخل في باب الأسماء والصفات، فيجوز الإخبار عنه سبحانه بأنه شيء، وموجود، مع أنَّ هذه الألفاظ لا تدخل في الأسماء والصفات، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«ويفرق بين دعائه والإخبار عنه فلا يدعي إلاَّ بالأسماء الحسنى وأما الإخبار عنه فلا يكون باسم سيء لكن قد يكون باسم حسن أو باسم ليس بسيء وإن لم يكن بحسن مثل اسم شيء وذات وموجود»[٢].

---

(١) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني: (٢/ ٣٨٣).

(٢) فتاوى ابن تيمية: (٦/ ١٤٢).

أقسام الصفات

تنقسم صفات الباريء سبحانه إلى قسمين:

القسم الأول: الصفات الذاتية

وهي الصفات المتعلقة بذات الباريء ـ سبحانه ـ ولا تتعلق بالمشيئة والاختيار، بل لا تنفك عن الرب ـ عزَّوجل ـ بحال من الأحوال، باعتبارها من لوازم الذات الإلٰهية ومنها:

١ـ اليدان:

وإثباتها لله عزَّوجل هو مذهب أهل السنة والجماعة إتباعًا لمنهجهم القويم في صفات الباريء سبحانه وهو وجوب إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من الصفات إثباتًا بلا تكييف ولا تمثيل وتنزيهًا بلا تحريف ولا تعطيل وذلك خلافًا لما ذهب إليه غيرهم من تأويل اليدين مرة بالنعمة ومرة بالقدرة مما لادليل عليه من كتاب ولا سنة وهذا طرف من كلام علماء وأئمة أهل السنة والجماعة في إثبات صفة اليدين:

أـ قال الإمام: أحمد: «من زعم أنَّ يديه نعمتاه كيف يصنع بقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[1] مشدَّدة»[2].

ب ـ يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ إنَّ لفظ اليد جاء في

(١) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٢) إبطال التأويلات لأخبار الصفات لأبي يعلى.

القرآن على ثلاثة أنواع مفردًا أو مثنى أو مجموعًا فالمفرد كقوله تعالى: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾(١) والمثنى كقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾(٢) والمجموع: ﴿أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾(٣) فحيث ذكر الله اليد مثناة أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد وعدَّى الفعل بالباء إليهما فقال: ﴿خلقت بيديَّ﴾ وحيث ذكرها مجموعة أضاف إليها ولم يعدِّ الفعل بالباء: فهذه ثلاثة فروق فلا يحتمل: ﴿خلقت بيديَّ﴾ من المجاز(٤) ما يحتمله: ﴿عملت أيدينا﴾ فإنَّ كل واحد يفهم من قوله: ﴿عملت أيدينا﴾ ما يفهمه من قوله عملنا وخلقنا كما يفهم ذلك من قوله: ﴿فبما كسبت أيديكم﴾(٥). وأما قوله: ﴿استكبرت أم﴾ فلو كان المراد منه مجرد الفعل لم يكن لذكر اليد بعد نسبة الفعل إلى الفاعل معنى فكيف وقد دخلت عليها الباء وكيف إذا ثنيت.

وسر الفرق أنَّ الفعل قد يضاف إلى يد ذي اليد والمراد الإضافة إليه كقوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾(٦). و﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾(٧) وأما إذا أضيف إليه الفعل ثم عُدِّي بالباء إلى يده مفردة أو مثناه فهو مما باشرته يده ولهذا قال عبدالله بن عمر: «إنَّ الله لم يخلق بيده إلاَّ

---

(١) سورة الملك، الآية: ١.

(٢) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٣) سورة يس، الآية: ٧١.

(٤) هذا على سبيل الحكاية عن أصحابه القائلين به وإلاَّ فإنه ـ رحمه الله ـ قد أبطل المجاز بأكثر من أربعين وجهًا في كتابه العظيم الصواعق المرسلة.

(٥) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٦) سورة الحج، الآية: ١٠.

(٧) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

ثلاثًا خلق آدم بيده، وغرس جنة الفردوس بيده وكتب التوراة بيده»[١] فلو كانت اليد هي القدرة لم يكن لها اختصاص بذلك ولا كانت لآدم فضيلة بذلك على كل شيء بالقدرة»[٢].

٢ـ صفة القَدَمْ:

من الصفات الذاتية التي وردت بها الأدلة الصحيحة صفة القدم لله سبحانه وتعالى وهذه الصفة ثابتة على مايليق به سبحانه وتعالى وذلك للأحاديث الصحيحة ومنها:

أـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«لاتزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه فتقول قط قط وعزتك ويزوي بعضها إلى بعض»**[٣]

ب ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«تحاجت النار والجنة فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلَّا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم، فقال الله للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي**

---

(١) لم أجد هذا الأثر فيما بين يدي من المراجع منسوباً إلى ابن عمر وإنما وجدته مرفوعا إلى النبي ﷺ ونصه: **«خلق الله الفردوس بيده وخلق جنة عدن بيده وكتب التوارة لموسى بيده»**، رواه البيهقي في الأسماء والصفات: (٣١٨)، والدارقطني في الصفات: (٢٨)، كماوجدته منسوبًا إلى حكيم بن جابر وكعب الأحبار في الشريعة للآجري: (٢٧،٢٨).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة للموصلي: (٢٧، ٢٨).

(٣) رواه البخاري ح: (٧٣٨٤)،ومسلم: (٢٨٤٨).

ولكل واحدة ملؤها فأما النار فلا تمتلئ فيضع قدمه عليها فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض»[١].

وقد تلقى علماء أهل السنة والجماعة هذه الأحاديث بالقبول وأمرُّوها كما جاءت ولم يخوضوا في الكيفية.

فهذا الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ وقد سئل عن الأحاديث يضع قدمه وغيرها؟

يقول: **نمرُّها كما جاءت**[٢].

أما الإمام الترمذي فيقول: «قد روي عن النبي ﷺ روايات كثيرة يذكر فيها أمر الرؤية وأنَّ الناس يرون ربهم وذكر القدم وما أشبه هذه الأشياء والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء، ثم قالوا: نروي هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يقال كيف، وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت، ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم ولا يقال كيف وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه»[٣].

٣ـ صفة الأصابع:

هذه الصفة ثابتة بالدليل الشرعي الصحيح فقد روى الإمام مسلم في الصحيح أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم**

---

(١) رواه البخاري ح: (٧٤٤٩) ومسلم ح: (٢٨٤٦).

(٢) انظر: ابطال التأويلات للقاضي أبويعلى: (١/ ١٩٥).

(٣) سنن الترمذي: (٤/ ٦٩٢).

قال: ﷺ **اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**»[١]. وعلى هذا الإثبات درج علماء أهل السنة والجماعة كعادتهم في إثبات ما جاء في الكتاب والسنة من الصفات على مايليق بجلال الله عزَّوجل من غير تكييف ولا تمثيل.

يقول الإمام الدارمي[٢] في رده على بشر المريسي[٣]: «ورويت أيها المريسي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**» فأقررت أنَّ النبي ﷺ قاله، ثم رددته بأقبح محال، وأوحش ضلال، ولو دفعت الحديث أصلاً كان أعذر لك من أن تُقرَّبه ثم ترده بمحال من الحجج وبالتي هي أعوج فزعمت أنَّ إصبعي الله قدرتاه وكذلك قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي في ملكه فيقال لك أيها المعجب بجهالته: في أي لغات العرب وجدت إنَّ أصبعيه قدرتيه فأنبئنا بها فإنا قد وجدناها خارجة من جميع اللغات إنما هي قدرة واحدة قد كفت الأشياء كلها وملأتها واستنطقتها فكيف صارت القلوب من بين الأشياء بين قدرتين وكم تعدها قدرة فإنَّ النبي ﷺ قال: «بين

---

(١) رواه مسلم ح: (٢٦٥٤).

(٢) عثمان بن سعيد الدارمي الإمام العلامة الحافظ الناقد طاف الأقاليم في طلب الحديث وصنف كتابين في الرد على بشر المريسي وعلى الجهمية وفاق أهل زمانه وكان لهجًا بالسنة بصيرًا بالمناظرة قال عنه الذهبي: كان جِذْعًا في أعين المبتدعة مات سنة: ٢٨٠هجرية. سير أعلام النبلاء: (١٣/ ٣١٩).

(٣) بشر بن غياث المريسي العدوي: معتزلي عارف بالفلسفة رمي بالزندقة وقدأخذ آراء جهم بن صفوان ودعى إليها وروَّج لها: سير أعلام النبلاء: (١٠/ ٢٩٩).

إصبعين من أصابع الرحمن» وفي دعواك هي أكثر من قدرتين وثلاث وأربع حكمت فيها للقلوب بقدرتين وسائرها لما سواها ففي دعواك هذا أقبح وأبين ضلال»[١].

٤ـ صفة العلو:

من صفات الكمال للذات الإلٰهية صفة العلو وهي فرع من توحيد الأسماء والصفات والله سبحانه متصف بالعلو المطلق من جميع الوجوه ذاتًا وقدرًا وقهرًا، وهذا هو الحق الذي عليه سلف الأمة وأئمتها والتابعون لهم بإحسان فإنهم يثبتون لله علوه بذاته على جميع خلقه على مايليق سبحانه بلا تشبيه ولا تكييف كما هو الشأن في كل ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ. وسوف أعرض لهذه المسألة بشيء من التفصيل لأهميتها وكثرة المخالفين فيها من الطوائف المبتدعة الذين عطلوا هذه الصفة لاعتمادهم على شبهات باطلة وأوهام واهية، وقد دلَّ الكتاب والسنة المطهرة على اتصاف الله سبحانه بالعلو والفوقية بأنواع كثيرة من الدلالات منها:

أـ التصريح بالعلو المطلق ذاتًا وقدرًا وقهرًا يقول تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾[٢]. ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾[٣] و: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ۝٤٢ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤٣﴾[٤].

---

(١) الردعلى بشر المريسي للإمام الدارمي: (٥٩).
(٢) سورة الأعلى ،الآية: ١.
(٣) سورة البقرة،الآية: ٢٥٥.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٤٢، ٤٣.

ب ـ التصريح بأنه في السماء لقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾[1] والسماء اسم جنس للعالي يتناول كل سماء كالسموات والكرسي والعرش فقوله: في السماء في العلو فهو سبحانه العلي الأعلى.

ومن السنة الدالة على كونه تعالى في السماء ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال: بعث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها قال: فقسمها بين أربعة نفر عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا أحق بهذا من هؤلاء، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً، قال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار فقال يارسول الله اتق الله قال: ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله قال: ثم ولي الرجل قال: خالد بن الوليد: يارسول الله ألا أضرب عنقه؟ قال: لا، لعله أن يكون يصلي، قال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه قال رسول الله ﷺ: إني لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم قال: ثم نظر إليه وهو مقف فقال: إنه يخرج من ضئضئي[2] هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وأظنه**

(١) سورة الملك، الآية: ١٦.

(٢) يريد أن يخرج من نسله وعقبه، النهاية في غريب الحديث: (٣/ ٦٩).

قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود»[١].

ج - إخباره عزَّوجل بعروج الأشياء وصعودها إليه سبحانه كقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[٣].

ومن السنة قوله ﷺ: **«من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلَّا الطيب فإنَّ الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوَّه حتى تكون مثل الجبل»**[٤].

د - التصريح بالفوقية: كما في قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾[٥].

هـ - التصريح بنزوله سبحانه كل ليلة إلى السماء الدنيا ففي الحديث الصحيح يقول ﷺ: **«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ويقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»**[٦].

---

(١) رواه البخاري ح: (٤٣٥١)، ومسلم ح: (١٠٦٤).
(٢) سورة فاطر، الآية: ١٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.
(٤) رواه البخاري ح: (٧٤٣٠).
(٥) سورة النحل، الآية: ٥٠.
(٦) رواه البخاري ح: (١١٤٥).

و- الإشارة إليه سبحانه في جهة العلو: حين أشار إليه النبي ﷺ لما كان بعرفة في حجة الوداع فقال: «**وأنتم مسؤولون عني فما أنتم قائلون**» قالوا: نشهد أنك قد بلَّغت وأدَّيت ونصحت، ثم قال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «**اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد**»[(١)].

وهكذا يتبين من خلال ما سبق دلالة الكتاب والسنة على علو الله سبحانه وتعالى على خلقه واستوائه على عرشه وهو ما فهمه سلف هذه الأمة من الصحابة ومن بعدهم فأثبتوا لله العلو على مايليق به سبحانه وهذا عرض لبعض أقوالهم.

أولًا: من الصحابة:

لما قبض رسول الله ﷺ دخل أبوبكر الصديق - رضي الله عنه - وقبَّله وقال: بأبي أنت وأمي طبت حيًّا وميتاً ثم قال: من كان يعبد محمدًا فإنَّ محمدًا قد مات ومن كان يعبدالله فإنَّ الله في السماء حيٌّ لايموت»[(٢)].

عندما لقي عمر بن الخطاب خولة بنت ثعلبة قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات[(٣)].

وحينما دخل عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - على أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وهي تحتضر قال لها: «لقد أنزل

---

(١) رواه مسلم ح: (١٢١٨).
(٢) كتاب العلو للذهبي: (٦٢).
(٣) المرجع السابق: (٦٣).

الله براءتكِ من فوق سبع سماوات»[١].

ثانيًا: أقوال التابعين:

يروي البيهقي بإسناد صحيح إلى الأوزاعي قال: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إنَّ الله جل ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته»[٢].

ثالثًا: أقوال بعض الأئمة:

يقول الإمام ابن عبدالبر: «لم يزل المسلمون في كل مكان إذا دهمهم أمر وكربهم غم يرفعون وجوههم وأيديهم إلى السماء رغبة إلى الله عزَّوجل في الكف عنهم»[٣].

٥ـ الساق:

وهي صفة من صفات الذات الثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة المطهرة الصحيحة فمن الكتاب الكريم يقول عزَّوجل: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾[٤].

ومن السنة المطهرة: حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ الطويل وفيه: «**فيأتيهم الجبّار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فلا يكلمه إلَّا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق: فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمنٍ ويبقى من كان يسجدلله رياءً**

(١) المرجع السابق: (٩٦).
(٢) الأسماء والصفات للبيهقي: (٤٨٠).
(٣) التمهيد لابن عبدالبر: (٢٢/ ٨١).
(٤) سورة القلم، الآية: ٤٢.

وسمعةً **فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقًا**». . إلخ الحديث[١].

وعلماء أهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفة بما يليق بجلال الله سبحانه، وإليك أخي القاريء هذا القول النفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية والذي سطره ـ رحمه الله ـ في كتابه نقض أساس التقديس، فيقول: «الوجه السادس: لم يتنازع الصحابة والتابعون فيما يذكر من آيات الصفات إلاَّ في هذه الآية: يعني ـ رحمه الله قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[٢] بخلاف قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ونحو ذلك فإنه لم يتنازع فيها الصحابة والتابعون وذلك أنه ليس في ظاهر القرآن أنَّ ذلك صفة لله تعالى لأنه قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ ولم يقل: عن ساق الله، ولا قال: يكشف الرب عن ساقه، وإنما ذكر ساقًا نكرةً غير معرفة ولا مضافة وهذا اللفظ بمجرده لا يدل على أنها ساق الله والذين جعلوا ذلك من صفات الله تعالى أثبتوه بالحديث الصحيح المفسر للقرآن وهو حديث أبي سعيد الخدري المخرج في الصحيحين الذي قال فيه: «**فيكشف عن ساقه**»[٣].

٦ـ العين:

وهي من الصفات الذاتية الخبرية التي ثبتت بالكتاب والسنة فمن الكتاب الكريم: يقول عزَّوجل:

أـ ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[٤].

---

(١) راه البخاري ح: (٧٤٣٩)، ومسلم ح: (١٨٣).
(٢) سورة القلم، الآية: ٤٢.
(٣) نقض أساس التقديس: (٢٦١).
(٤) سورة هود، الآية: ٣٧.

ب ـ ويقول عزَّوجل: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾(١).

ج ـ ويقول سبحانه: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾(٢).

أما الأدلة من السنة المطهرة: فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله لايخفى عليكم إنَّ الله ليس بأعور وأشار إلى عينيه وإنَّ المسيح الدجال أعور عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية**»(٣).

وأهل السنة والجماعة يعتقدون أنَّ الله عزَّوجل له عينان تليقان بجلاله وهذه أقوال بعضهم.

أـ قال الإمام بن خزيمة: «فواجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما أثبت الخالق الباريء لنفسه من العين وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد أثبته الله في محكم تنزيله ببيان النبي ﷺ الذي جعله مبينا عنه عزَّوجل في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(٤) فبين النبي ﷺ أنَّ لله عينين فكان بيانه موافقًا لبيان محكم التنزيل الذي هو مسطور بين الدفتين مقروء في المحاريب والكتاتيب(٥).

وقد بوَّب الإمام اللالكائي في أصول الاعتقاد بقول: «سياق ما

---

(١) سورة طه، الآية: ٣٩.
(٢) سورة الطور، الآية: ٤٨.
(٣) رواه البخاري ح: (٧٤٠٧).
(٤) سورة النحل، الآية: ٤٤.
(٥) كتاب التوحيد لابن خزيمة: (١/ ٩٧).

دلَّ من كتاب الله عزَّوجل وسنة رسوله ﷺ على أنَّ من صفات الله عزَّوجل الوجه والعينين واليدين»[١]

٧ـ الوجه:

من الصفات الذاتية الثابتة لله عزَّوجل بالكتاب والسنة

فمن الكتاب الكريم قوله تعالى:

أ ـ ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾[٢].

ب ـ ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾[٣].

ج ـ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[٤]

ووجه الدلالة في إثبات صفة الوجه لله عزَّوجل ظاهر في هذه الآيات الكريمة

أما الأدلة من السنة فهي:

حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: لما قسم النبي ﷺ الغنائم يوم حنين وقال رجل: والله إنَّ هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله.. إلخ»[٥].

ب ـ حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ في قصة الثلاثة الذين حبسوا في الغار فقال كل واحد منهم: «اللهم إن كنت

---

(١) أصول الاعتقاد للالكائي: (٣/ ٤١٢).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٢٢.

(٤) سورة الرحمن، الآية: ٢٧.

(٥) روه البخاري ح: (٣١٥٠)، ومسلم ح: (١٠٦٢).

فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه»[١].

جـ ـ حديث سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ «إنك لن تُخلَّف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلاَّ ازددت به درجة ورفعة»[٢].

والأئمة من أهل السنة والجماعة يثبتون مادلت عليه تلك الآيات والأحاديث على مايليق به سبحانه من غير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تأويل ولا تعطيل وهذا طرف من أقوالهم:

أ ـ أورد الإمام ابن خزيمة جملة من الآيات التي تثبت صفة الوجه لله عزَّوجل ثم قال: «فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه نقر بذلك بألسنتنا ونصدق ذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين عزَّ ربنا عن أن يشبه المخلوقين وجلَّ ربنا عن مقالة المعطلين»[٣].

ب ـ قال قوام السنة الإمام الأصبهاني: «ذكر إثبات وجه الله عزَّوجل الذي وصفه بالجلال والإكرام والبقاء في قوله عزَّوجل: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾»[٤].

---

(١) رواه البخاري ح: (٢٢٧٢)، ومسلم ح: (٢٧٤٣).
(٢) رواه البخاري ح: (٦٧٣٣)، ومسلم ح: (١٦٢٨).
(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة: (١/ ٢٥).
(٤) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني: (١/ ١٩٩).

القسم الثاني من الصفات
الصفات الفعلية

وهي تتعلق بمشيئة الله وإرادته سبحانه بحيث إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها وعلى هذا فإنَّ كل صفة فعلية فهي صفة ذاتية من جهة قدرة الله عزَّوجل على فعلها في أي وقت شاء. وهذه أمثلة لبعض تلك الصفات:

١ـ الاستواء:

وهو من الصفات الثابتة لله عزَّوجل بالكتاب والسنة وإجماع السلف الذين كانوا يعتقدون بأنَّ الله مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله سبحانه وهذه بعض أقوالهم:

أ ـ سئل الإمام مالك ـ رحمه الله ـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[١] كيف استوى فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلاَّ مبتدعًا» ثم أمر به فأخرج.

وجميع أئمة الدين كابن الماجشون والأوزاعي والليث بن سعد وحماد بن زيد والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم كلامهم يدل على مادل عليه كلام مالك من: «أنَّ العلم بكيفية الصفات ليس بحاصل لنا لأنَّ العلم بكيفية الصفة فرع على العلم بكيفية الموصوف فإذا كان الموصوف لا تعلم كيفيته امتنع أن تعلم كيفية الصفة ومتى جنب

(١) سورة طه، الآية: ٥.

المؤمن طريق التحريف والتعطيل وطريق التمثيل سلك سواء السبيل»[١].

ب ـ قرر الإمام الدارمي هذه العقيدة في إثبات صفة الاستواء فقال: «فالله تبارك وتعالى فوق عرشه فوق سمواته بائن من خلقه فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلٰهه الذي يعبد وعلمه من فوق العرش بأقصى خلقه وأدناهم واحد لا يبعد عنه شيء: «لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض»[٢]: سبحانه وتعالى عما يصفه المعطلون علوًّا كبيرًا[٣].

ج ـ فنَّد ابن القيم ـ رحمه الله ـ إدعاءات المبطلين من المعطلة الذين يعطلون صفة الاستواء ويزعمون أنَّ الاستواء في الآيات الكريمة بمعنى الاستيلاء فقال: في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ في سبع آيات من القرآن حقيقة عند جميع الأمة إلاَّ الجهمية ومن وافقهم فإنهم قالوا: «هو مجاز ثم اختلفوا في مجازه والمشهور عنهم ما حكاه الأشعري عنهم وبدَّعهم وضلَّلهم فيه بمعنى استولى أي ملك وقهر، وقالت فرقة منهم: بل هو مجمل في مجازاته يحتمل خمسة عشر وجهًا كلها لا يعلم أيها المراد إلاَّ أنا نعلم انتفاء الحقيقة عنه بالعقل»، ثم قال رحمه الله: «وهذا الذي قالوه باطل من اثنين وأربعين وجهًا» وسوف أكتفي هنا بذكر الوجه الأول الذي يبطل دعواهم على اللغة بغير ما وردت» قال ـ رحمه الله ـ:

(١) فتاوى لابن تيمية: (٦/ ٣٩٨).
(٢) سورة سبأ، الآية: ٣.
(٣) الرد على الجهمية للدارمي: (٢٧١).

الوجه الأول: أنَّ لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم وأنزل بها كلامه نوعان: مطلق ومقيد

فالمطلق: مالم يوصل معناه بحرف مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾[١]. وهذا معناه كمل وتم يقال: استوى النبات واستوى الطعام.

والمقيد ثلاثة أضرب:

أحدها: مقيد بإلى كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[٢] واستوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة وقد ذكر سبحانه هذا المعدى بإلى في موضعين من كتابه في البقرة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[٣].

وفي سورة فصلت: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾[٤]. وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف.

الثاني: مقيد بعلى كقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾[٥].

وقوله: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾[٦]. وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾[٧].

---

(١) سورة القصص، الآية: ١٤.
(٢) سورة فصلت، الآية: ١١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٩.
(٤) سورة فصلت، الآية: ١١.
(٥) سورة الزخرف، الآية: ١٣.
(٦) سورة هود، الآية: ٤٤.
(٧) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

وهذا معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون بواو مع التي تعدي الفعل إلى المفعول معه نحو: استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها، فهذه معاني الإستواء المعقولة في كلامهم ليس فيها معنى استولى البتة ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم: «وإنما قاله متأخرو النحاة ومن سلك طريق المعتزلة والجهمية»(١).

وقد استدل علماء أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الإستواء لله عزّوجل بما يلي:

أولاً القرآن الكريم:

أ- قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾(٢).

ب - قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾(٣).

ج - قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾(٤)

فهذه الآيات وغيرها مما هو في معناها تدل دلالة صريحة واضحة لا تحتمل أي تأويل على أنَّ الله تعالى مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله وكمال عظمته لا يماثله ولا يشابهه شيء من خلقه.

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم: (٢/ ٣١٩).
(٢) سورة طه، الآية: ٥.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.
(٤) سورة الفرقان، الآية: ٥٩.

ثانيًا: من السنة المطهرة:

روى أبوبكر الخلال في كتابه «السنة» عن قتادة بن النعمان أنه سمع النبي ﷺ يقول: لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه قال الذهبي رواته ثقات[١].

٢ـ صفة النزول:

وهي من الصفات الثابتة لله عزّوجل من غير تكييف ولا تمثيل بل على وجه يليق بجلال الله لايعلمه إلاَّ هو إذ هو القائل: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[٢] وأهل السنة والجماعة يثبتون لله هذه الصفة كما يليق بجلاله وهذه بعض أقوالهم:

أـ قال الإمام أحمد: «وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[٣].

ب ـ يقرر الإمام الترمذي هذا المعتقد فيقول: «وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا قالوا قد ثبتت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يتوهم ولا يقال كيف، هكذا روي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبدالله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث أَمِرُّوها بلا كيف، وهكذا قول

---

(١) العلو للذهبي: ٥٢.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٣) طبقات الحنابلة لأبي يعلى: (١/ ٢٩).

أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا هذا تشبيه»[١].

ج ـ يذكر الإمام ابن عبد البر أنَّ جمهور أهل السنة يعتقدون نزول الرب ويصدقون بذلك دون تكييف فيقول: «والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون ينزل كما قال رسول الله ﷺ ويصدقون بهذا الحديث ولا يكيفون والقول في كيفية النزول كالقول في كيفية الاستواء والمجيء والحجة في ذلك واحدة»[٢]

وقد استدل أهل السنة على ذلك بالأدلة الصحيحة الصريحة ومنها:

حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له»**[٣].

٣ـ الإتيان والمجيء:

وهما صفتان فعليتان يثبتها أهل السنة والجماعة لله سبحانه بما يليق بجلاله عزَّوجل وهذه بعض أقوالهم:

أـ قال ابن جرير في التفسير: «اختلف في صفة إتيان الرب تبارك وتعالى الذي ذكره في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ فقال بعضهم لا صفة لذلك غير الذي وصف به نفسه عزَّوجل من المجيء

---

(١) سنن الترمذي: (٣/ ٤١).

(٢) التمهيد لابن عبد البر: (٧/ ١٤٣).

(٣) رواه البخاري ح: (١١٤٥)، ومسلم ح: (٧٥٨).

والإتيان والنزول وغير جائز تكلف القول في ذلك لأحد إلاَّ بخبر من الله عزَّوجل أو من رسول مرسل فأما القول في صفات الله وأسمائه فغير جائز لأحد من جهة الاستخراج إلاَّ بما ذكرنا وقال آخرون: ثم رجح القول الأول[١].

ب ـ قال أبوالحسن الأشعري: وأجمعوا على أنه عزَّوجل يجيء يوم القيامة. ﴿والملك صفا صفًا﴾[٢].

ج ـ أشار الشيخ محمد خليل الهراس إلى ذلك في شرح العقيدة الواسطية فقال: «في هذه الآيات إثبات صفتين من صفات الفعل وهما صفتا الإتيان والمجيء والذي عليه أهل السنة والجماعة الإيمان بذلك على حقيقته والابتعاد عن التأويل الذي هو في الحقيقة إلحاد وتعطيل»[٣].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على ذلك بما يلي:

أولاً: من الكتاب الكريم:

أـ قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾[٤].

ب ـ قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾[٥].

(١) جامع البيان لابن جرير: (٢/٣٢٩).
(٢) رسالة إلى أهل الثغر للأشعري: (٢٢٧).
(٣) شرح الواسطية للهراس: (١١٢).
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[١].

ثانيًا: من السنة المطهرة:

أـ حديث أبي هريرة وفيه: «**وإن تقرب إليَّ ذراعًا تقرب إليه باعًا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**»[٢].

ب ـ حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ في الرؤية وفيه: «**فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرَّة فيقول: أنا ربكم**»[٣].

٤ ـ صفة الكلام:

أ ـ صفة الكلام صفة ذات باعتبار نوع الكلام وصفة فعل باعتبار تعلقها بإرادة الله عزَّوجل ومشيئته فهو سبحانه لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، يتكلم بصوت يُسْمَعُ، يُسْمِعُهُ من شاء من خلقه، سمعه موسى ـ عليه السلام ـ من غير واسطة وسمعه من أذن له من ملائكته ورسله وسيسمعه المؤمنون في الآخرة ممن سبقت لهم من الله الحسنى نسأل الله أن نكون منهم.

وأهل السنة والجماعة يعتقدون أنَّ الله يتكلم وينادي وهذه بعض أقوالهم:

قال حنبل قلت لأبي عبدالله: «الله يكلم عبده يوم القيامة، قال: نعم، فمن يقضي بين الخلائق إلاَّ الله عزَّوجل، يكلم عبده ويسأله الله متكلم لم يزل الله متكلمًا يأمر بما يشاء ويحكم بما يشاء وليس له عدل

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٢) رواه البخاري ح: (٧٤٠٥)، ومسلم ح: (٢٦٧٥).

(٣) رواه البخاري ح: (٧٤٣٩)، ومسلم ح: (١٨٣).

ولا مثل كيف شاء وأين شاء»[١].

ب ـ أشار قوام السنة الإمام الأصبهاني إلى إجماع الصحابة والتابعين على ذلك فقال: «خاطر أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ «أي راهن قومًا من أهل مكة» فقرأ عليهم القرآن فقالوا: هذا من كلام صاحبك فقال: ليس بكلامي ولا كلام صاحبي ولكنه كلام الله تعالى ولم ينكر عليه أحد من الصحابة»

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على المنبر: «إنَّ هذا القرآن كلام الله».

فهو إجماع الصحابة وإجماع التابعين بعدهم مثل سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير والحسن والشعبي وغيرهم ممن يطول ذكرهم أشاروا إلى أنَّ كلام الله هو المتلو في المحاريب والمصاحف»[٢].

ج ـ أما شيخ الإسلام ابن تيمية فعندما عرض أقوال الناس في كلام الله ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة فقال: «وقال الجمهور وأهل الحديث وأئمتهم إنَّ الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء وأنه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار والقرآن وغيره من الكتب الإلٰهية كلام الله تعالى تكلم به بمشيئته وقدرته ليس ببائن عنه مخلوقًا ولا يقولون إنه صار متكلمًا بعد أن لم يكن متكلمًا ولا أنَّ كلام الله تعالى حدث من حيث هو حادث بل مازال متكلمًا إذا شاء وإن كان كلم موسى وناداه بمشيئته وقدرته فكلامه لا يتغير»[٣].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الكلام لله

---

(١) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد: (١/ ٢٨٨).
(٢) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني: (١/ ٣٣١)
(٣) فتاوى ابن تيمية: (١٢/ ١٧٣).

عزَّوجل بما يلي:

أولًا: من القرآن الكريم:

أـ قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ۝١٦٤﴾[١].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ﴾[٢].

ج ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٠﴾[٣].

ثانيًا من السنة المطهرة:

أـ حديث احتجاج آدم وموسى وفيه: «**قال له آدم ياموسى اصطفاك الله بكلامه**»[٤].

ب ـ ما ورد في قصة الإفك وقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ «ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى»[٥].

ج ـ حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ وفيه يقول الله: «**ياابن آدم فيقول: لبيك وسعديك فينادي بصوت: إنَّ الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار**»[٦].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٤.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٦.
(٣) سورة القصص، الآية: ٣٠.
(٤) رواه البخاري ح: (٦٦١٤)، ومسلم ح: (٢٦٥٢).
(٥) رواه البخاري ح: (٤١٤١)، ومسلم ح: (٢٧٧٠).
(٦) رواه البخاري ح: (٧٤٨٣).

المبحث الخامس
رؤية الله عزّوجل

رؤية الله عزَّوجل في الآخرة من المسائل المهمة في العقيدة والتي تعددت فيها مذاهب الناس نفيًا وإثباتًا، وعلماء أهل السنة والجماعة يثبتون رؤية المؤمنين لربهم في الجنة في الدار الآخرة وهذه بعض أقوالهم:

١ـ أبوبكر الصديق وحذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنهما ـ قالا في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[١] أنَّ الحسنى الجنة وأنَّ الزيادة النظر إلى وجه الله[٢].

٢ـ الحسن البصري قال في قوله عزَّوجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[٣] الناضرة الحسنة حسنها الله بالنظر إلى ربها عزَّوجل وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى ربها جل جلاله[٤].

٣ـ عقد الإمام ابن خزيمة بابًا بعنوان: «باب ذكر بيان أنَّ رؤية الله يختص بهاأولياؤه يوم القيامة: ثم قال: ويفضل بهذه الفضيلة أولياءه من المؤمنين ويحجب جميع أعدائه عن النظر إليه من مشرك ومتهود ومتنصر ومتحمس[٥] ومنافق كما أعلم في قوله:

---

(١) سورة يونس، الآية: ٢٦.
(٢) كتاب السنة لعبدالله بن أحمد: (٤٧١).
(٣) سورة القيامة، الآية: ٢٢، ٢٣.
(٤) كتاب السنة لعبدالله بن أحمد: (٤٧٩).
(٥) قال صاحب اللسان: الحَمْسُ الضلال والهلكة والشر والحُمسُ قريش؛ لأنهم =

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾[١] وهذا نظر أولياء الله إلى خالقهم جل ثناؤه بعد دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيزيد الله المؤمنين كرامة وإحسانًا إلى إحسانه تفضلاً منه وجودًا بإذنه إياهم النظر إليه ويحجب عن ذلك جميع أعدائه»[٢].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة بالنقل والعقل.

١ـ من النقل: استدلوا بأدلة الكتاب الكريم ومنها:

أـ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٤٣﴾[٣].

ووجه الاستدلال أنَّ الرؤية لو لم تكن ممكنة لما سألها موسى ـ عليه السلام ـ لأنه إما أن يعلم امتناعها، أو يجهله، فإن علمه فالعاقل لا يطلب الممتنع، وإن جهله فالجاهل يمتنع أن يكون نبيًّا كليمًا، وأيضًا فإنَّ الله عزَّوجل لم ينكر على موسى ـ عليه السلام ـ

= كانوا يتشددون في دينهم وشجاعتهم، والأحمس المتشدد على نفسه في الدين: لسان العرب لابن منظور: (٦/ ٥٧)، وابن خزيمة يعني بالمتحمس الإباضية من الخوارج الذين ينكرون رؤية الله عزَّوجل في الآخرة.

(١) سورة المطففين، الآية: ١٥.
(٢) التوحيد لابن خزيمة: (١٨٠).
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

ولم يقل له: لاتجوز رؤيتي أو أنني لا أُرى[١].

ب ـ قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[٢] ووجه الاستدلال أنه سبحانه لو لم تكن رؤيته ممكنة لما حصل التمدح بقوله ﴿لا تدركه الأبصار﴾ وهذا يفيد بأنه جائز الرؤية لأن المنفي إنما هو الإدراك لا أصل الرؤية.

ج ـ قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[٣] وقد فسر كثير من الصحابة والتابعين الحسنى بالجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم، كما سبق بيانه.

كما استدلوا على إثبات الرؤية بالأحاديث الصحيحة ومنها:

أ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ ناسًا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة: فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضامون في رؤية القمر ليلة البدر**» قالوا: لا يارسول الله قال: **هل تضامون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب**» قالوا: لا، قال: « **فإنكم ترونه كذلك**»[٤].

ب ـ حديث جرير بن عبدالله البجلي ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا جلوسًا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: «**إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا لاتضامون في رؤيته فإن استطعتم**

---

(١) انظر: حادي الأرواح لابن القيم: (٢٢٣).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة القيامة، الآية: ٢٢، ٢٣.

(٤) رواه البخاري ح: (٤٧٣٧)، ومسلم ح: (١٨٢).

ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا»[١].

ج ـ حديث صهيب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عزَّوجل: تريدون شيئًا أزيدكم فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار، قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عزَّوجل**»[٢]، وأوجه الاستدلال في هذه الأحاديث ظاهرة ولا تحتاج إلى إيضاح.

٢ـ من جهة العقل:

أماستدلالهم على إثبات الرؤية من جهة العقل فبالرغم من أنَّ أكثر العلماء قد ذهب إلى وجوب الاستدلال على إثبات رؤية الله بالأدلة النقلية فقط، لأنَّ الله عزَّوجل أخبر عن نفسه بأنه يرى يوم القيامة وهو أعلم بما يجوز عليه تعالى وأخبر عنه رسوله ﷺ وهو أعرف الخلق بربه تعالى وأعلمهم بما يجوز عليه سبحانه وما يمتنع إلاَّ أنَّ موافقة الدليل العقلي، لِمَا ثبت بالنقل يؤيده ويقويه، ولذا سأذكر بعض الأدلة العقلية التي ذكرها أهل العلم ومنها:

أـ دليل الوجود فإنَّ وجود الله عزَّوجل دليل على جواز رؤيته والذي لا يجوز أن يرى هو المعدوم.

يقول أبو الحسن الأشعري: «ومما يدل على رؤية الله عزَّوجل بالأبصار أنه ليس موجود إلاَّ وجائز أن يُرَىٰ، وإنما لا يجوز أن يُرَىٰ المعدوم، فلما كان الله عزَّوجل موجودًا مثبتًا كان غير مستحيل أن

(١) رواه البخاري ح: (٧٤٣٤).
(٢) رواه مسلم ح: (١٨١).

يرينا نفسه عزَّوجل.[١]

ب ـ ومما يدل على رؤية الله بالأبصار: «أنَّ الله عزَّوجل يرى الأشياء وإذا كان للأشياء رائيًا فلا يرى الأشياء من لايرى نفسه وإذا كان لنفسه رائيًا فجائز أن يرينا نفسه»[٢].

نفاة الرؤية والرد على شبههم:

نفاة الرؤية من أهل البدع والضلال كالجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم من الخوارج والروافض يعترضون على أدلة أهل السنة والجماعة باعتراضات باطلة وحجج واهية، وينفون عن الله الرؤية مطلقًا لا في الدنيا ولا في الآخرة لأنهم يرون أنَّ القول بإمكانية الرؤية هدم للتنزيه فوقعوا فيما هو أفظع وهو التعطيل[٣].

وقد استدلوا بأدلة منها:

١ـ قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[٤] ووجه الدلالة عندهم أنه نفى أن يدرك بالأبصار وما دام الإدراك قد قرن بالبصر فإنه يفيد عدم الرؤية بالبصر وعليه يكون قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ بمعنى لاتراه الأبصار فثبت أنه نفى عن نفسه إدراك الأبصار[٥].

وحيث أنَّ هذه الآية هي دليل على إثبات رؤية الله كما سبق أن

(١) الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري: (١٦).
(٢) المصدر السابق: (١٦).
(٣) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري: (١/ ١٥٧).
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.
(٥) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار: (٢٣٢).

ذكرنا إلاَّ أنَّ أهل السنة قد أجابوا على المعتزلة وأبطلوا استدلالهم بها بما يلي:

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ والاستدلال بهذا أعجب فإنه من أدلة النفاة وقد قرر شيخنا ـ يعني ابن تيمية ـ وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه وقال لي: أنا ألتزم أنه لايحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلاَّ وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله فمنها هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدلَّ منها على امتناعها، فإنَّ الله سبحانه ذكرها في سياق التمدح ومعلوم أنَّ المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال و لايمدح به وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمرًا وجوبيًا كتمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال الصمدية والغنى، ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته.

ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمرًا ثبوتيًا فإنَّ المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه فلو كان المراد بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾ إنه لايرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له

في ذلك، فإنَّ العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار والرب جلَّ جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به إلى أن قال: ـ رحمه الله ـ فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به فإنَّ الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية(١).

٢ـ ومن أدلة المعتزلة على نفي الرؤية قوله تعالى. ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾(٢) ووجه استدلالهم أنَّ: «لن» تفيد التأبيد وأنَّ موسى ـ عليه السلام ـ لما أفاق قال «سبحانك» أي: أنزهك عما لايجوز عليك وأنَّه تاب مما وقع منه وهو طلب الرؤية(٣) وقد أبطل أهل السنة استدلال المعتزلة بهذه الآية واستدلوا بها على إثبات الرؤية كما سبق أن ذكرنا وأجابوا على المعتزلة بإجابات عديدة نذكر منها إجابة شارح الطحاوية حيث قال:

«وأما دعواهم تأبيد النفي بلن وأنَّ ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة فكيف إذا أطلقت قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾(٤) مع

---

(١) حادي الأرواح لابن القيم: (٢٠١).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٣) انظر: تفسير الفخر الرازي: (١٤/ ٢٣٣)، والكشاف للزمخشري: (٢/ ١١٥).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٩٥.

قوله: ﴿وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ﴾(١) ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ۝٨٠﴾(٢) فثبت أنَّ «لن» لا تقتضي النفي المؤبد يقول ابن مالك:

«ومن رأى النفي بـ «لن» مؤبدًا   فقوله اردد وسواه فأعضدا»(٣)

أما قول موسى ـ عليه السلام ـ «سبحانك» فلم أطلع على جواب لأهل السنة عليها، وفي اعتقادي أن موسى ـ عليه السلام ـ إنما نزَّه الله عزَّوجل بقوله سبحانك لِمَا رأى من كمال قدرته وعظمته حيث لم يستطع الجبل أن يتحمل قوة نوره سبحانه، وقول موسى ـ عليه السلام ـ «تبت إليك» قال القرطبي: «قال مجاهد: في قوله «تبت إليك» من مسألة الرؤية في الدنيا وقيل: قاله على جهة الإنابة والخشوع له عند ظهور الآيات كما مرَّ وقد أجمعت الأمة على أنَّ هذه التوبة ما كانت عن معصية»(٤) وبهذا يتبين تهافت أدلة النفاة في مواجهة الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة التي صرحت برؤية المؤمنين لربهم عزَّوجل في جنات النعيم نسأل الله أن يمن علينا جميعًا برؤيته في دار كرامته إنه سميع مجيب.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٧٧.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٠.
(٣) شرح الطحاوية: (١/ ٢١٤).
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٧/ ٢٧٩).

هل رأى النبي ﷺ ربه عزّوجل في الدنيا:

وقع الخلاف بين أهل السنة والجماعة في رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا منذ عهد الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على قولين:

القول الأول: إثبات رؤية النبي ﷺ لربه تبارك وتعالى في الدنيا. جاء هذا عن بعض الصحابة منهم: عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فقد روى الإمام أحمد في المسند عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت ربي تبارك وتعالى**» قال عبدالرحمن: وقد سمعت هذا الحديث من أبي أملى عليَّ في موضع آخر[١].

وهذ الحديث وردت فيه الرؤية مطلقة غير مقيدة بالعين أو بالقلب في حين وردت أحاديث أخرى أصح من هذا الحديث عن ابن عباس نفسه قُيِّدت فيها الرؤية مرة بالقلب كما جاء في حديث عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: «رآه بقلبه»[٢] وزمرة بالفؤاد كما في حديث أبي العالية الرياحي عن ابن عباس قال: «رآه بفؤاده مرتين»[٣].

وبحمل المطلق على المقيد يزول التعارض الظاهر ويتضح الأمر ويزول اللبس.

القول الثاني: نفي رؤية النبي ﷺ لربه عزّوجل في الدنيا بعيني

(١) رواه الإمام أحمد في المسند: (١/ ٢٨٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح.
(٢) روا مسلم ح: (١٧٦).
(٣) رواه مسلم ح: (١٧٦).

رأسه روي هذا عن عدد من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ منهم أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ ففي الصحيحين عن مسروق قال: كنت متكئًا عند عائشة فقالت: ياأبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم الفرية قلت: ماهن؟ قالت: من زعم أنَّ محمدًا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية قال: وكنت متكئًا فجلست وقلت: ياأم المؤمنين انظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عزَّوجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾[1] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾[2] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلقه الله عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطًا من السماء سادًا عظم خلقه مابين السماء إلى الأرض أولم تسمع أنَّ الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[3] أَوَلَمْ تسمع أنَّ الله يقول: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[4] ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾[5] ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ثم قرأت: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) سورة التكوير، الآية: ٢٣.

(٢) سورة النجم، الآية: ١٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٥١.

(٥) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾[١] ولكن رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين»[٢].

ففي هذا الحديث المتفق على صحته التصريح من النبي ﷺ بنفي رؤيته لربه عزَّوجل حين سألته عائشة عن ذلك وإخباره لها بأنَّ الرؤية المذكورة في الآيتين إنما كانت لجبريل عليه السلام.

وقد نشأ الخلاف بين القائلين بإثبات الرؤية ونفيها من تأويل قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ وقوله عزَّوجل: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ فالذين أثبتوا رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا جعلوا الضمائر في رآه في الآيتين عائدة على الله عزَّوجل والذين نفوا الرؤية جعلوها عائدة على جبريل ـ عليه السلام ـ

والذي يتفق مع السياق القرآني أنَّ المرئي هو جبريل لا سيما وقد صرحت بذلك الأحاديث الصحيحة كما سبق ومنها: حديث عطاء عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ قال: رأى جبريل[٣] وبالنظر في أدلة القولين فإنَّ القول بنفي رؤية النبي ﷺ لربه عزَّوجل بعيني رأسه في الدنيا أقرب إلى الصواب وأنَّ ماذهب إليه المثبتون يمكن حمله على رؤية القلب والفؤاد جمعًا بين الأدلة والله أعلم.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) رواه البخاري ح: (٤٨٥٥)، ومسلم ح: (١٧٧).

(٣) رواه مسلم ح: (١٧٥).

المبحث السادس
ثمرات التوحيد

آثار التوحيد الحميدة وفضائله العظيمة لا تعد ولا تحصر ويكفي أنه سبب لكل خير وفلاح في الدنيا والآخرة ومن ذلك:

١ـ الفوز بالجنة في الآخرة فعن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات لايشرك بالله شيئًا دخل الجنة**»[١].

٢ـ تحريم دخول النار، فعن عتبان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله حرَّم على النار من قال: لاإله إلَّا الله يبتغي بذلك وجه الله**»[٢].

٣ـ غفران الذنوب وتكفير السيئات، ففي الحديث القدسي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ فيما يرويه النبي ﷺ عن ربه عزَّوجل أنه قال: «**ياابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**»[٣].

٤ ـ الشعور بالأمن والطمأنينة وذهاب القلق والحيرة والاضطراب يقول عزَّوجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ

---

(١) رواه مسلم ح: (٩٣).

(٢) رواه البخاري ح: (٤٢٥)، ومسلم ح: (٣٣).

(٣) رواه الترمذي: (٣٥٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي: (٣/ ٧٦)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة: (١٢٧).

وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[1].

٥ ـ التوحيد يورث العبد الخوف من الله، والعلم بأنَّ الله مطلع عليه رقيب على أعماله، فلا يجرؤ على مقارفة الذنوب، أو الوقوع في المحظورات، وبالتالي يستقيم خطوه على درب الحياة، ويكون أهلاً للنجاة من عذاب الله، والفوز برضوانه.

٦ ـ التوحيد خير معين على الاجتهاد في طاعة الله والمسابقة إلى فعل الخيرات حيث تخف عليه متاعب الطاعات لما يرجوه من ثواب ربه وعظيم جزائه.

٧ ـ التوحيد يحرر العبد من عبودية الشهوات والدنيا والملذات ومن رق المخلوقين والتعلق بهم والخوف منهم، والطمع فيما في أيديهم أو العمل لأجلهم، فهو لا يرجو إلَّا الله ولا يخاف إلَّا إياه.

وبالجملة فإنَّ الفوز والنجاح والسعادة والفلاح بحذافيرها وبكامل صورها وأشكالها، وفي الحياتين الدنيا والآخرة إنما تكون لمن حقق التوحيد وتطهر من أدران الشرك، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

الباب الخامس
ماينافض التوحيد

وتحته مباحث:

المبحث الأول: **الشرك**

المبحث الثاني: **الطيرة**

المبحث الثالث: **الرقي**

المبحث الرابع: **التمائم**

المبحث الخامس: **التبرك**

المبحث السادس: **التوسل**

المبحث السابع: **السحر**

المبحث الأول
الشـــرك

الحديث عن التوحيد يستلزم الحديث عما يناقضه من الشرك، لأنه كما قيل وبضدها تتميز الأشياء.

والشرك: هو: أن تجعل لله ندًا أو شريكًا في ربوبيته أو ألوهيته، أو أسمائه وصفاته، وهو المبطل للأعمال والمانع من قبولها، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾[١].

وحدُّه كما يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي: «أن يصرف العبد نوعًا من أنواع العبادة لغير الله فكل اعتقاد أو قول، أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص وصرفه لغيره شرك وكفر»[٢].

وينقسم الشرك إلى قسمين:

أكبر وأصغر.

فالشرك الأكبر: يخرج صاحبه من ملة الإسلام ويوجب له الخلود في جهنم ويحرم عليه الجنة هذا إذا مات على الشرك قال عزَّوجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٣].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٨.

(٢) القول السديد في مقاصد التوحيد لابن سعدي: (٣١).

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٦.

﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ۝٧٢﴾[١].

وأنواع الشرك الأكبر، أربعة:

أـ شرك الدعاء: وهو اللجوء إلى غير الله بدعائه وقصده قال تعالى عن المشركين: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ۝٦٥﴾[٢] فهم يوحدون الله في حال الضيق والشدة فإذا نجاهم أشركوا ودعوا غيره.

ب ـ شرك النية والإرادة والقصد: وهو أن يعمل العمل مما يراد به وجه الله عزَّوجل يعمله لغير الله ويقصد به مرادًا آخر فهذا شرك أكبر، قال عزَّوجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٦﴾[٣] قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: من عمل صالحًا التماس الدنيا، صومًا، أو صلاةً، أو تهجدًا بالليل، لا يعمله إلاَّ التماس الدنيا، يقول تعالى: أوفِّيه الذي التمس في الدنيا من المثابة وحبط عمله الذي كان يعمله وهو في الآخرة من الخاسرين. وقال قتادة: من كانت الدنيا همه ونيته وطلبته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة، وأما المؤمن فيجازي بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة»[٤].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.

(٣) سورة هود، الآية: ١٥، ١٦.

(٤) تفسير ابن كثير، سورة هود: (٢/ ٤٣٩).

ج ـ **شرك الطاعة**: وهو طاعة الأحبار والرهبان وغيرهم في تحريم ما أحل الله أو إباحة ما حرَّم الله، والدليل قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[١].

قال ابن كثير: روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير من طرق عن عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فرَّ إلى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية فأُسِرَت أخته وجماعة من قومه ثم منَّ رسول الله ﷺ على أخته وأعطاها فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام، وفي القدوم على رسول الله ﷺ، فتقدم عدي إلى المدينة وكان رئيسًا في قومه طيء وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم فتحدث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال فقلت: إنهم لم يعبدوهم فقال: بلى: إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فأتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم.

وقال رسول الله ﷺ: **ياعدي ما تقول؟ أيضرك أن يقال الله أكبر، فهل تعلم شيئًا أكبر من الله؟ ما يضرك أيضرك أن يقال: لاإلٰه إلَّا الله فهل تعلم إلٰهًا غير الله، ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم وشهد شهادة الحق**»[٢].

٢ـ **شرك المحبة**: وهو محبة غير الله عزَّوجل وتقديم ذلك على محبة الله وأمره ونهيه قال الله عزَّوجل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٢) انظر تفسير ابن كثير: (٢/ ٣٤٨).

ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [1].

القسم الثاني: شرك أصغر:

وهذا القسم لايخرج صاحبه من الملة ولكنه أعظم من أكبر الكبائر عياذًا بالله من ذلك، وهو أيضًا نوعان: ظاهر وخفي:

فالظاهر: مكون من ألفاظ قولية وأفعال عملية، فمن الألفاظ الحلف بغير الله وقول الإنسان لولا الله وأنت أو هذا من الله ومنك ماشاء الله وشئت، فإنَّ هذا يقتضي المساواة بين الله وبين العبد، وهذا محال، ولكن الصحيح ألا يحلف إلاَّ بالله عزَّوجل، وأن يقول لولا الله ثم أنت أو هذا من الله ثم منك، وماشاء الله ثم شئت.

ومن الأفعال: لبس الحلقة والخيط وتعليق التمائم خشية العين أو الجن فمن فعل ذلك معتقدًا أنها سبب يستدفع بها البلاء وأنَّ الدافع للبلاء هو الله وحده فقد أشرك شركًا أصغر، وإذا فعل ذلك معتقدًا أنَّ هذه الأشياء تدفع البلاء بعد نزوله أو تمنعه قبل حلوله فقد أشرك شركًا أكبر حيث اعتقد شريكًا مع الله في الخلق والتدبير، أما الخفي من الشرك الأصغر فهو شرك الإرادات والمقاصد والثبات وهو من أخطر الأشياء الذي قلَّ من ينجو منه، ويتعلق بالرياء والسمعة وإظهار العبادة بقصد ثناء الناس كما يتعلق بإرادة الدنيا ومطامعها وهذا ينافي كمال التوحيد.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٥

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر :

١ـ الشرك الأكبر يخرج صاحبه من الإسلام بخلاف الشرك الأصغر.

٢ـ الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال أماالشرك الأصغر فإنه يحبط العمل الذي خالطه فقط.

٣ـ الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، والشرك الأصغر ليس كذلك.

٤ـ الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار أما الشرك الأصغر فلا يخلد صاحبه في النار وإن دخلها.

٥ـ الشرك الأكبر يوجب المعاداة وقطع الموالاة فلا يجوز موالاته مهما كانت قرابته، أما الشرك الأصغر فلا يقطع الموالاة على الإطلاق وإنما يوالي بقدر ما لديه من التوحيد ويعادي بحسب ما فيه من الشرك الأصغر.

المبحث الثاني
الطـيرة

وأصلها أنَّ العرب كانت تتشائم من السوانح والبوارح[(١)] من الطير والضباء وغيرهما وكان هذا يصدهم عن مقاصدهم فجاء الشرع المطهر فأبطل هذا الأمر ونهى عنه وأخبر أنه لا يؤثر في جلب نفع أو دفع شر[(٢)].

والتطير مناقض للتوحيد لما فيه من نسبة أفعال الله إلى شيء من خلقه، ولما يؤدي من الإعتقاد بأنَّ لتلك المخلوقات الضعيفة تأثيرًا في أقضيته وأقداره سبحانه، وقد سماه النبي ﷺ شركًا ففي سنن الترمذي وغيره، من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطيرة شرك**»[(٣)].

وفي مسند الإمام أحمد من حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ردته الطيرة عن حاجته فقد**

(١) قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «أصل هذا أنهم كانوا يزجرون الطير والوحش، ويثيرونها فما تيامن منها وأخذت ذات اليمين سموه سانحًا وما تياسر منها سموه بارحًا وما استقبلهم منها فهو الناطح وما جاءهم من خلفهم فهو القعيد فمن العرب من يتشائم بالبارح ويتبرك بالسائح ومنهم من يرى خلاف ذلك» مفتاح دار السعادة: (٢/ ٢٣٩).

(٢) انظر: شرح السنة للبغوي: (١٢/ ١٧٠).

(٣) رواه الترمذي ح: (١٦١٤)، وقال حديث حسن صحيح وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٤٢٩).

أشرك» قالوا: يارسول الله ماكفارة ذلك قال: أن يقول أحدهم: «**اللهم لا خير إلاَّ خيرك ولا طير إلاَّ طيرك ولا إله غيرك**»(١).

وقد اعتنى علماء أهل السنة والجماعة بأمر الطيرة وبالغوا في التحذير منها، لأنها انحراف عن الاعتقاد الصحيح، واليقين الجازم بأنه لا يأتي بالحسنات إلاَّ الله ولا يذهب بالسيئات إلاَّ هو سبحانه.

ووجه منافاة الطيرة للعقيدة الصحيحة ظاهر وهو أنَّ في الطيرة نسبة أفعال الله سبحانه إلى خلقه وذلك باعتقاد المتطير أن ما حصل له إنما هو بسبب المُتَطير منه، وهذا شرك في الربوبية ولذا ردَّ الله على قوم صالح الذين تشاءموا منه، واعتقدوا أنه سبب القحط والجدب الذي أصابهم ردَّ عليهم بأنَّ ما أصابهم إنما هو من عندالله بسبب ذنوبهم ومعاصيهم قال عزَّوجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾(٢).

وعلى هذا فالطيرة منتفية وليس لها أي تأثير والله وحده هو المتفرد بالتقدير والتدبير ولهذا نفاها النبي ﷺ بقوله: «**لا عدوى ولا طيرة**»(٣).

وقد قال الإمام أحمد عن الحديث الذي رواه أبوداود في

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده: (٢/ ٢٢٠)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (١٦٠٥).

(٢) سورة النمل، الآية: ٤٥، ٤٧.

(٣) رواه البخاري ح: (٣٧٥٣)، ومسلم ح: (٢٢٢٤).

السنن أنه ﷺ قال: أقروا الطير على مكناتها أي أنها لا تضركم يعني أقروها على كل مكنة ترونها عليها ودعوا التطير بها قال: كان أحدهم يعني في الجاهلية يريد الأمر فيثير الطير فيقال: إن جاء عن يمينه كان كذا وإن جاء عن يساره كان كذا فقال النبي ﷺ في الحديث: «**أقروا الطير على مكناتها فإنها لاتضركم**»[١].

أما قوله ﷺ في الحديث : «لاعدوى ولاطيرة» فقد قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «يحتمل أن يكون نفيًا وأن يكون نهيًا أي لاتتطيروا ولكن قوله في الحديث: لاعدوى ولاصفر ولا هامة، يدل على أنَّ المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها والنفي في هذا أبلغ من النهي لأنَّ النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره والنهي يدل على المنع منه[٢].

أما الفأل فهذا لابأس به فقد صحَّ عن رسول الله ﷺ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا طيرة وخيرها الفأل**» قالوا وما الفأل يارسول الله: قال: «**الكلمة الطيبة يسمعها أحدكم**»[٣].

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في شرح هذا الحديث: «أخبر ﷺ أنَّ الفأل من الطيرة وهو خيرها فأبطل الطيرة وأخبر أنَّ الفأل منها، ولكنه خيرها ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخر، ونظير هذا منعه من الرقى

---

(١) رواه أبوداود: (٣/ ٢٥٧)، وصححه الحاكم: (٤/ ٢٣٧)، وأقرَّه الذهبي.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم: (٣/ ٢٨٠).

(٣) رواه البخاري ح: (٥٧٥٥) ومسلم ح: (٢٢٢٣).

بالشرك وإذنه في الرقية إذا لم تكن شركًا لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة فقوله ﷺ: «**لا طيرة وخيرها الفأل**» ينفي عن الفأل مذهب الطيرة من تأثير أو فعل، أو شركة ويخلص الفأل منها، وفي الفرقان بينهما فائدة كبيرة وهي أنَّ التطير هو التشاؤم من الشيء المرئى أو المسموع فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفر وامتنع بها مما عزم عليه فقد قرع باب الشرك بل ولجه وبريء من التوكل على الله وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله والتطير مما يراه ويسمعه وذلك قاطع له من مقام: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾[(١)]. و﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[(٢)] و﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝﴾[(٣)] فيصير قلبه متعلقًا بغير الله عبادة وتوكلاً، فأين هذا من الفأل الصالح السار للقلوب المؤيد للآمال الفاتح باب الرجاء المسكن للخوف الرابط للجأش الباعث على الاستعانة بالله والتوكل عليه، والاستبشار المقوي لأمله السار لنفسه فهذا ضد الطيرة، فالفأل يفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد، والطيرة تفضي بصاحبها إلى المعصية والشرك، فلهذا استحب ﷺ الفأل وأبطل الطيرة»[(٤)] وحتى يتغلب المسلم على هذه الآفة الخطيرة لابد له من الإيمان الجازم بأنَّ الله هو وحده الذي بيده كل شيء وأنه لاتأثير مطلقًا لتلك الأشياء التي يتشائم منها الإنسان كما أنَّ عليه أن يعلم الثواب

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٢) سورة هود، الآية: ١٢٣.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١٠.

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم: (٣/ ٣٨٠)

الجزيل المترتب على عدم التطير كما في حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين: «**لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**»[١] وأن يمضي في شؤنه وأموره متوكلاً على الله معتمدًا عليه موقنًا بأنه لاخير إلاَّ خيره، ولا طير إلاَّ طيره ولا إله غيره.

(١) رواه البخاري ح: (٥٧٥٢)، ومسلم ح: (٢٢٠).

المبحث الثالث
الـرقـى

الرقية هي العوذة التي يُرْقَى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات[١].

وتنقسم إلى قسمين:

الأول: الرقى الممنوعة، وهي التي تكون بالاستعاذة بغير الله والإستغاثة بالجن والإستعانة بالروحانيات مما يضاد العقيدة وينافيها وهي التي عناها النبي ﷺ في قوله: «**إنَّ الرقى والتمائم والتولة من الشرك**»[٢].

الثاني: الرقى المشروعة وهي التي توفرت فيها الشروط التالية:

١ـ أن لاتكون رقية شركية فعن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا نرقى في الجاهلية فقلنا يارسول الله كيف ترى في ذلك فقال: «**إعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى مالم يكن فيه شرك**»[٣].

٢ـ ألاَّ تكون رقية سحرية فلا يحل للمسلم أن يذهب إلى السحرة ليطلب منهم الرقية للوعيد الشديد والنهي الأكيد عن إتيان الكهنة والعرافين والسحرة، ففي الحديث يقول عليه الصلاة والسلام:

---

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: (٢/ ٢٥٤).

(٢) رواه أبوداود وابن ماجة، والإمام أحمد في المسند وقال عنه صاحب كتاب النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد بأنه حسن: (٥٩)

(٣) رواه مسلم ح: (٢٠٠).

«من أتى كاهنًا أو عرافًا وفي رواية أو ساحرًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[١].

٣ـ أن تكون بعبارات واضحة ومفهومه المعنى فإنَّ ما لا يفهم معناه لا يؤمن أن يكون فيه شرك، وما كان مظنة الشرك، فلا يجوز عمله، ولهذا يقول ابن حجرفي الفتح:

أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

أـ أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته.

ب ـ أن تكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره.

ج ـ أن يعتقد أنَّ الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى [٢].

الرقية المشروعة لا تنافي التوكل:

بوّب الإمام البخاري في صحيحه على كراهة التداوي بالرقى والكي فقال: «باب من لم يرق» ثم ساق حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: خرج علينا النبي ﷺ يومًا فقال: **«عرضت عليَّ الأمم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي معه الرهط والنبي ليس معه أحد ورأيت سوادًا كثيرًا سد الأفق فرجوت أن تكون أمتي. فقيل هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب، فتفرق الناس ولم يبين لهم، فتذاكر أصحاب النبي ﷺ فقالوا: أما نحن فولدنا في الشرك، ولكنا آمنا بالله ورسوله ولكن هؤلاء أبناؤنا فبلغ النبي ﷺ فقال: «هم الذين لايتطيرون ولا يكتوون**

---

(١) قال عنه صاحب النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد بأنه صحيح: (١٥٠).

(٢) فتح الباري لابن حجر: (٢٠٦/١٠).

ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون». فقام عكاشة بن محصن فقال: أمنهم أنا يارسول الله قال: «نعملإ. فقال آخر: أمنهم أنا فقال: «سبقك بها عكاشة»[١].

وقد علَّق ابن حجر على هذا الحديث بقوله: «فتمسك بهذا الحديث من كره الرقى والكي من بين سائر الأدوية وزعم أنهما قادحان في التوكل دون غيرهما وأجاب العلماء عن ذلك بأجوبة:

الأول: قاله الطبري وطائفة: أنه محمول على من جارى اعتقاد الطبائعين في أنَّ الأدوية تنفع بطبعها كما كان أهل الجاهلية يعتقدون، وقال غيره الرقى التي يحمد تركها ما كان من كلام الجاهلية ومن الذي لايعقل معناه لاحتمال أن يكون كفرًا بخلاف الرقى بالذكر ونحوه، وتعقبه عياض وغيره بأنَّ الحديث يدل على أنَّ للسبعين ألفًا مزيَّة على غيرهم. وفضيلة انفردوا بها عمن شاركهم في أصل الفضيلة والديانة ومن كان يعتقد أنَّ الأدوية تؤثر بطبعها أو يستعمل رقى الجاهلية ونحوها، فليس مسلمًا، فلم يسلم هذا الجواب.

الثاني: قاله الداوودي وطائفة: إنَّ المراد بالحديث: الذين يجتنبون فعل ذلك في الصحة خشية وقوع الداء وأما من يستعمل الدواء بعد وقوع الداء به فلا.

وقد ثبت هذا عن ابن قتيبة وغيره في باب من اكتوى، وهذا اختيار ابن عبدالبر غير أنه معترض بما قدمته في ثبوت الاستعاذة قبل وقوع الداء.

---

(١) رواه البخاري ح: (٥٧٥٢)، ومسلم ح: (٢٢٠).

الثالث: قاله الحليمي: يحتمل أن يكون المراد بهؤلاء المذكورين في الحديث من غفل عن أحوال الدنيا وما فيها من الأسباب المعهودة لدفع العوارض، فهم لايعرفون الاكتواء ولا الاسترقاء وليس لهم ملجأ فيما يعتريهم إلاَّ الدعاء والاعتصام بالله، والرضا بقضائه، فهم غافلون عن طب الأطباء ورقى الرقاة ولا يحسنون من ذلك شيئًا، والله أعلم.

الرابع: أنَّ المراد بترك الرقى والكي الاعتماد على الله في دفع الداء والرضا بقدره لا القدح في جواز ذلك لثبوت وقوعه في الأحاديث الصحيحة وعن السلف الصالح، لكن مقام الرضى والتسليم أعلى من تعاطى الأسباب وإلى هذا نحى الخطابي ومن تبعه.

قال ابن الأثير: هذا من صفة الأولياء المعرضين عن الدنيا وأسبابها وعلائقها، وهؤلاء هم خواص الأولياء ولا يَرِدُ على هذا وقوع ذلك من النبي ﷺ فعلاً وأمرًا؛ لأنه كان في أعلى مقامات العرفان ودرجات التوكل فكان ذلك منه للتشريع وبيان الجواز فلا ينقص ذلك من توكله؛ لأنه كامل التوكل يقينًا، فلا يؤثر فيه تعاطى الأسباب شيئًا بخلاف غيره، ولو كان كثير التوكل لكن من ترك الأسباب وفوض وأخلص، كان أرفع مقامًا»[١].

لكن شيخ الإسلام ابن تيمية يجيب على الحديث بأنَّ المقصود بهؤلاء أنهم الذين لا يطلبون من أحد أن يرقيهم والرقية من جنس الدعاء فلا يطلبون من أحد ذلك وقد روى فيه «ولا يرقون» وهو

(١) فتح الباري: (١٠/ ٢٢٢).

غلط فإنَّ رقياهم لغيرهم ولأنفسهم حسنة وكان النبي ﷺ يرقي نفسه وغيره ولم يكن يسترقي فإنَّ رقية نفسه وغيره من جنس الدعاء لنفسه وغيره وهذا مأمور به فإنَّ الأنبياء كلهم سألوا الله ودعوه، كما ذكر الله ذلك في قصة آدم وإبراهيم وموسى وغيرهم[١].

وخلاصة القول أنَّ الرقية بكتاب الله عزَّوجل وسنة رسوله ﷺ لا تنافي التوكل بل هي من صميم الإيمان والاعتماد على الله واللجوء إليه في كشف الضرر ودفع البلاء لفعل النبي ﷺ لها بنفسه وبغيره، وكذلك خيار الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، ولكن بالشروط التي سبق إيضاحها.

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية: (١/ ١٨٢).

المبحث الرابع
التمائم

وهي خرزات كان العرب يعلقونها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم فأبطلها الإسلام وكانوا يعتقدون أنها تمام الدواء والشفاء[١].

لا خلاف بين أهل العلم في تحريم اتخاذ التمائم أو تعليقها إذا كانت بألفاظ شركية أو بسبب اعتقادات فاسدة وإنما وقع الخلاف بين العلماء في جواز تعليق التمائم إذا كانت من القرآن الكريم أو من أسماء الله وصفاته.

وملخص الخلاف كما يذكره مصنف تيسير العزيز الحميد كالتالي:

«اعلم أنَّ العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته فقالت طائفة: يجوز ذلك وهو قول عبدالله بن عمرو بن العاص وغيره، وهو ظاهر ما روي عن عائشة، وبه قال أبوجعفر الباقر وأحمد في رواية، وحملوا الحديث على التمائم الشركية.

أما التي فيها القرآن وأسماء الله وصفاته فكالرقية، بذلك قلت، وهو ظاهر اختيار ابن القيم.

وقالت طائفة: لا يجوز ذلك وبه قال ابن مسعود وابن عباس

---

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: (١/ ١٩٧).

وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة بن عامر وابن عكيم ـ رضي الله عنهم ـ وبه قال جماعة من التابعين منهم أصحاب ابن مسعود وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه وجزم بها المتأخرون واحتجوا بهذا الحديث وما في معناه فإنَّ ظاهره العموم ولم يفرق بين التي من القرآن وغيرها، بخلاف الرقى فقد فرّق بينهما ويؤيد ذلك أنَّ الصحابة الذين رووا الحديث فهموا العموم كما تقدم عن ابن مسعود وأما القياس على الرقية بذلك فقد يقال بالفرق، فكيف يقاس التعليق الذي لا بدَّ فيه من ورق أو جلود ونحوهما على مالايوجد ذلك فيه فهذا إلى الرقى المركبة من حق وباطل أقرب»[١].

ويقول الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ـ رحمه الله ـ: «وفي التمائم المعلقات التي تعلق على الصبيان والدواب ونحوها، إن تك آيات قرآنية وكذلك إن كانت من السنن الصحيحة الواضحات فالاختلاف في جوازها واقع بين السلف من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، فبعضهم أجازها يروي ذلك عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وأبي جعفر محمد بن علي وغيرهما من السلف، والبعض منهم كف ـ أي منع ذلك وكرهه ولم يره جائزًا ـ منهم عبدالله بن عكيم وعبدالله بن عمرو، وعقبة بن عامر، وعبدالله بن مسعود، وأصحابه؛ كالأسود، وعلقمة، ومن بعدهم كإبراهيم النخعي وغيرهم ـ رحمهم الله تعالى ـ، ثم ذهب الشيخ حافظ الحكمي إلى ترجيح المنع: فقال: «ولا شك أنَّ منع ذلك أسد لذريعة الاعتقاد المحظور، لاسيما في زماننا هذا، فإنه إذا كرهه أكثر الصحابة والتابعين في تلك

---

(١) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله: (١٢١).

العصور الشريفة المقدسة، والإيمان في قلوبهم أكبر من الجبال، فلأن يكره في وقتنا هذا، وقت الفتن والمحن، أولى وأجدر بذلك، كيف وهم توصلوا بهذه الرخص إلى محض المحرمات وجعلوها حيلة ووسيلة إليها.

فمن ذلك أنهم يكتبون في التعاويذ آية أو سورة أو بسملة أو نحو ذلك ثم يضعون تحتها من الطلاسم الشيطانية ما لايعرفه إلاَّ من اطلع على كتبهم ، ومنها أنهم يصرفون قلوب العامة عن التوكل على الله عزَّوجل إلى أن تتعلق قلوبهم بما كتبوه، بل أكثرهم يرجفون بهم، ولم يكن أصابهم شيء، فيأتي أحدهم إلى من أراد أن يحتال على أخذ ماله، مع علمه أنه قد أولع به، فيقول له: إنه سيصيبك في أهلك، أو في مالك، أو نفسك كذا وكذا، أو يقول له: إن معك قرينًا من الجن، أو نحو ذلك، ويصف له أشياء ومقدمات من الوسوسة الشيطانية، موهمًا إنه صادق الفراسة فيه شديد الشفقة عليه حريص على جلب النفع إليه، فإذا امتلأ قلب الغبي الجاهل خوفًا مما وصف له، حينئذٍ أعرض عن ربه، وأقبل على ذلك الدجال بقلبه وقالبه، والتجأ إليه وعوّل عليه دون الله عزَّوجل، وقال له: فما المخرج مما وصفت وما الحيلة في دفعه كأنما بيده الضر والنفع، فعند ذلك يتحقق فيه أمله، ويعظم طمعه فيما عسى أن يبذله له، فيقول له: إنك إن أعطيتني كذا وكذا، كتبت لك من ذلك حجابًا طوله كذا وعرضه كذا، ويصف له ويزخرف له في القول وهذا الحجاب علته من كذا وكذا من الأعراض.

أترى هذا مع هذا الاعتقاد من الشرك الأصغر، لا، بل هو تأله

لغير الله وتوكل على غيره، والتجاء إلى سواه، وركون إلى أفعال المخلوقين، وسلب لهم من دينهم، فهل قدر الشيطان على مثل هذه الحيل؛ إلاَّ بواسطة أخيه من شياطين الإنس»[١].

والذي أراه في هذه المسألة هو: الحذر والمنع، لما في ذلك من المصلحة وهي سد ذرائع الشرك لأنه إذا استباح الناس التمائم من الآيات والأدعية انفتح باب الشرك واشتبهت التميمة الجائزة بالمحظورة، وتعذَّر التمييز بينهما، إلاَّ بمشقة، فلزم سد هذا الباب المفضي إلى الشرك؛ حماية لجناب التوحيد، بالإضافة لما في ذلك من صيانة القرآن الكريم وذكر الله عزَّوجل، مما قد يتعرض له من الإهانة والإهمال في حالة تعليقه.

---

(١) معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي: (٢/ ٥١٠).

المبحث الخامس

التبرك

هو: «طلب البركة من الزيادة في الخير والأجر وكل مايحتاجه العبد في دينه ودنياه بسبب ذات مباركة أو زمان مبارك وتكون هذه البركة قد ثبتت لذلك السبب ثبوتًا شرعيًا وثبتت الكيفية التي تنال بها هذه البركة عن المعصوم ﷺ»[١].

وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التبرك المشروع وهو أنواع:

١ـ التبرك بذات النبي ﷺ وآثاره، فقد وردت الأدلة الصحيحة المتواترة بثبوت ذلك لما جعل الله فيه من بركة خاصة، صلوات الله وسلامه عليه.

فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: إنَّ النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات فلما ثقل كنت أنفث عنه بهن وأمسح بيده نفسه لبركتها»[٢]. فإقرار النبي ﷺ لعائشة في فعلها دليل على ثبوتها.

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلاَّ غمس يده فيه، فربما جاءه في الغداة الباردة فيغمس يده

---

(١) انظر: التبرك للدكتور علي العلياني: (٢١).

(٢) رواه البخاري ح: (٥٧٣٥).

فيها. قال أنس: لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلاَّ في يد رجل»(١).

وقد روى البخاري في صحيحه قصة صلح الحديبية وفيه: «ثم إنَّ عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلاَّ وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون إليه النظر تعظيمًا له»(٢).

فهذه الأدلة وغيرها تدل على أنَّ ذات النبي ﷺ مباركة وكذلك ما انفصل من شعره أو عرقه وآنيته وملابسه مما جعل الله فيه بركة وخيرًا كثيرًا.

٢ـ التبرك بذكر الله ومجالسة الصالحين: وهذا واضح من الكثير من الأدلة الشرعية الثابتة في الكتاب والسنة، منها: مارواه البخاري في الصحيح أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ لله ملائكة يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قومًا يذكرون تنادوا هلموا إلى حاجتكم قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال: فيسألهم ربهم عزَّوجل وهوأعلم منهم ما يقول عبادي قالوا: يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال: فيقول هل رأوني قال: فيقولون لا والله ما رأوك، قال: كيف لو رأوني قال: يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدًا وأكثر لك**

(١) رواه مسلم: (١٥/ ٨٢).
(٢) رواه البخاري: (٣/ ١٨٠).

تسبيحاً قال: يقول فما يسألوني قال: يسألونك الجنة قال: يقول وهل رأوها قال: يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا وأشد لها طلبًا وأعظم فيها رغبة قال: فمم يتعوذون قال: يقولون من النار قال: يقول: وهل رأوها قال: يقولون: لا والله ما رأوها قال: يقول : كيف لو رأوها قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا وأشد لها مخافة قال فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم قال: يقول: ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال: هم الجلساء لايشقى بهم جليسهم»[١] فقد دلَّ الحديث على بركة مجالس الذكر وأنها من أعظم أسباب نيل مغفرة الله، بل إن بركتها تتعدى إلى من جلس فيها وإن لم يكن من أهلها.

٣ـ التبرك بالصلاة والتعبد في المساجد بصفة عامة وفي المساجد الثلاثة وهي المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، وذلك لفضيلة الصلاة بها وتميزها عن غيرها، فقد ثبت في الصحيحين أنَّ رسول الله ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلَّا المسجد الحرام» وفي مسند الإمام أحمد زيادة: «وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في مسجدي هذا»[٢] ولكن لايجوز التبرك بالتمسح بجدرانها أو أعمدتها أو أبوابها وأعتابها بحجة أنها أماكن مباركة لعدم ورود الدليل بذلك.

٤ـ التبرك بتناول بعض الأطعمة والأشربة والأدوية التي وردت

(١) رواه البخاري ح: (٦٤٠٨).
(٢) رواه البخاري ح: (١١٩٠)، ومسلم ح: (١٣٩٤)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: (٥/٤).

الأدلة بثبوت البركة فيها ومن ذلك:

أ ـ زيت الزيتون فقد قال قال تعالى: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[١] وفي الحديث النبوي الشريف يقول عليه الصلاة والسلام: «**كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة**»[٢].

ب ـ اللبن وشربه والإستزادة منه ففي الحديث عن ابن عباس قال: قال رسول الله: «**من أطعمه الله طعامًا فليقل اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيرًا منه ومن سقاه الله لبنًا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فإني لا أعلم ما يجزي من الطعام والشراب إلّا اللبن**»[٣]

ج ـ العسل وشربه والإستشفاء به فقد ورد الدليل بذلك في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾[٤].

وفي الصحيح أنَّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: «إنَّ أخي استطلق بطنه فقال: اسقه عسلاً فسقاه ثم جاء فقال يارسول الله: قدسقيته عسلاً فلم يزده إلاَّ استطلاقًا قال: فقال رسول الله ﷺ: اسقه عسلاً قال: فسقاه ثم جاء فقال: يارسول الله إني سقيته فلم يزده إلاَّ استطلاقًا قال: فقال رسول الله ﷺ: «**صدق الله وكذب بطن**

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (٣/ ٤٩٧)، وصححه الحاكم وقال: صحيح الإسناد: (٢/ ٣٩٨)، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه ابن ماجه: (٣٣٢٢)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه: (٢/ ٢٣٣).

(٤) سورة النحل، الآية: ٦٩.

أخيك! اسقه عسلاً فسقاه فبرأ»[١].

د ـ ماء زمزم وقد ثبتت بركتها بالنص الصريح في قصة أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ حين سأله النبي ﷺ عن من كان يطعمه حين قدم إلى مكة المكرمة فقال: ما كان لي طعام إلاَّ ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما أجد على كبدي سخفة جوع فقال: **«إنها مباركة إنها طعام طعم»**[٢].

القسم الثاني: التبرك الممنوع وهو أنواع:

١ـ التبرك بزيارة الآثار وبعض المواقع التاريخية كدار الأرقم بن الأرقم، وغار حراء، وغار ثور، وتقبيل أبواب وأعتاب وجدران نوافذ بعض المساجد؛ التماسًا للبركة، وهذا أمر مبتدع وممنوع، لأنَّ التبرك عبادة، والعبادة تفتقر إلى الدليل والمشروعية

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وكذلك الغار المذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠] وهو غار بجبل ثور، يماني مكة لم يشرع لأمته السفر إليه زيارته والصلاة فيه والدعاء، ولا بنى رسول الله ﷺ مسجدًا غير المسجد الحرام، بل تلك المساجد كلها محدثة، مسجد المولد وغيره، ولا شرع لأمته زيارة موضع المولد ولا زيارة موضع بيعة العقبة الذي خلف منى، ومعلوم أنه لو كان هذا مشروعًا مستحبًا يثيب الله عليه لكان النبي ﷺ أعلم الناس بذلك وأسرعهم إليه،

(١) رواه البخاري ح: (٥٦٨٤).
(٢) رواه مسلم ح: (٢٤٧٣).

ولكان علَّم أصحابه ذلك وكان أصحابه أعلم بذلك وأرغب فيه ممن بعدهم، فلما لم يكونوا يلتفتون إلى شيء من ذلك، عُلِمَ أنه من البدع المحدثة التي لم يكونوا يعدونها عبادة وقربة وطاعة، فمن جعلها عبادة وقربة وطاعة، فقد اتبع غير سبيلهم وشرع من الدين ما لم يأذن به الله»[1].

٢ـ التبرك ببعض الأزمنة التي لم يرد بشأنها دليل يقتضي ذلك كالاحتفال بالمولد النبوي وليلة الإسراء والمعراج ويوم الهجرة ويوم بدر وغيره مما لم يشرعه الرسول ﷺ لأمته وإنما أحدثه أهل البدع والأهواء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى ـ عليه السلام ـ وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيمًا له والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد، لا على البدع من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيدًا ـ مع اختلاف الناس في مولده ـ فإنَّ هذا لم يفعله السلف، مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه، ولو كان خيرًا محضًا أو راجحًا لكان السلف ـ رضي الله عنهم ـ أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيمًا له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإنَّ هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وأكثر هؤلاء الذين تجدونهم

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية: ٢/ ٢٤٩.

حراصًا على أمثال هذه البدع مع ما لهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجي لهم به المثوبة، تجدونهم فاترين في أمر الرسول عما أمروا بالنشاط فيه، وإنما هم بمنزلة من يُحَلِّي المصحف ولا يقرأ فيه أو يقرأ فيه ولايتبعه، وبمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلي، أو يصلي فيه قليلاً»[١].

٣ـ التبرك بذوات بعض الصالحين وآثارهم: التبرك بالذات البشرية مما اختص به النبي ﷺ فقد سبق أن أشرنا إلى أنَّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كانوا يتبركون بجسمه وعرقه وشعره وملابسه وأدواته وفضل وضوئه صلوات الله وسلامه عليه، ولا يجوز القياس على ذلك فإنَّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ما كانوا يتبركون بآثار ولا فضلات أحد من الخلفاء أو غيرهم من العشرة المبشرين بالجنة، لأنَّ التبرك عبادة تتوقف على الدليل والاتباع لا على التقليد والابتداع ولو كان جائزًا لفعله الصحابة والتابعون.

يقول الإمام الشاطبي: «إنَّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بعد موته ﷺ لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه إذ لم يترك النبي ﷺ بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فهو كان خليفته ولم يفعل به شيء من ذلك ولا عمر ـ رضي الله عنهما ـ وهو كان أفضل الأمة بعده ثم كذلك عثمان ثم علي ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أنَّ متبركًا تبرك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها، بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية: (٢٩٥).

والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي ﷺ، فهو إذن إجماع منهم على ترك الأشياء»[١].

وبالجملة فإنَّ التبرك عبادة، لا يجوز فعله إلاَّ بعد ثبوت الدليل عليه ومن فعله بغير دليل فقد وقع في البدعة وربما وقع في الشرك عياذًا بالله[٢].

---

(١) الاعتصام للشاطبي: (٨).

(٢) انظر: التبرك المشروع والممنوع للدكتور/ علي العلياني.

المبحث السادس
التوسل

وهو اتخاذ وسيلة إلى الله تعالى لإجابة الدعاء وتحقيق المطلوب وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التوسل المشروع وهو ما كان بوسيلة ثبتت بها الأدلة وجاءت بها الشريعة وله أنواع:

١ـ التوسل إلى الله بأسمائه سبحانه إما على سبيل العموم كماجاء في حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وفيه قول النبي ﷺ: «**اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيَّ حكمك عدل فيَّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سمَّيت به نفسك أو علَّمته أحدًا من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي**»[(١)].

وقد أمر الله سبحانه بدعائه بأسمائه الحسنى فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[(٢)]. وإما على سبيل الخصوص وذلك بدعائه تعالى باسم خاص كأن يقول الداعي: «اللهم يا رحيم ارحمني أو اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني» وهنا لابد أن يكون الاسم المتوسل به مناسبًا للدعاء فمن غير المناسب أن يقول الداعي:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (١/٣٩١)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (١٩٩).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٠٨.

«اللهم يا شديد العقاب اعف عني» ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ حين طلب من النبي ﷺ أن يعلمه دعاءً يدعو به في صلاته فقال: «**قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كبيرًا ولا يغفر الذنوب إلَّا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**»(١).

٢ ـ التوسل إلى الله تعالى بصفاته إما على سبيل العموم، كأن يقول: الإنسان اللهم إني أسألك بصفاتك العلى، أو على سبيل الخصوص، كالذي ورد في الحديث الصحيح من قوله ﷺ: «**أعوذ بعزة الله وقدرته من شرما أجد وأحاذر**»(٢) فهذا توسل بصفة من صفات الله وهي عزته سبحانه.

٣ـ التوسل إلى الله بأفعاله سبحانه ومثاله حديث الصلاة على النبي ﷺ وفيه: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم»(٣) فإنَّ صلاة الله على إبراهيم وعلى آل إبراهيم من أفعاله سبحانه والعبد يسأله عزَّوجل الذي منَّ بصلاته على إبراهيم وعلى آل إبراهيم أن يمنَّ بصلاته على محمد وعلى آل محمد.

٤ـ التوسل إلى الله بالإيمان به وبرسوله كأن يقول: اللهم إني أسألك بإيماني بك وبرسولك أن تغفر لي، فهذا توسل شرعي وردت به الأدلة الكثيرة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ

---

(١) رواه البخاري: (٨٣٤)، ومسلم ح: (٤٨٨).
(٢) رواه مسلم ح: (٢٢٠٢).
(٣) رواه البخاري ح: (٣٣٧٠).

رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾(١).

٥ـ التوسل إلى الله بحال الداعي وفقره واحتياجه كأن يقول: «اللهم إني أسألك وأنا الفقير إليك» ودليله قوله تعالى حكاية عن موسى ـ عليه السلام ـ حين سقى للمرأتين ثم ذهب إلى الظل وقال: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾(٢)، ومن ذلك قول زكريا ـ عليه السلام ـ ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾(٣).

٦ ـ التوسل إلى الله بالطلب من الرجل الصالح الحيِّ أن يدعو الله له، ودليل ذلك ما كان يفعله الصحابة من سؤال النبي ﷺ في حياته أن يدعو الله لهم.

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رجلاً دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ كان يخطب الناس فاستقبل النبي ﷺ وقال: يارسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا فرفع النبي ﷺ يديه ثم قال: «**اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا ثلاث مرات**» قال أنس بن مالك: والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال: فخرجت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت فما نزل النبي ﷺ من منبره إلاَّ و المطر يتحادر من لحيته فبقي المطر ينزل أسبوعًا فجاء الرجل أو رجل آخر من الجمعة الثانية

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٩.
(٢) سورة القصص ، الآية: ٢٤.
(٣) سورة مريم، الآية: ٤.

والنبي ﷺ يخطب فقال: يارسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله يمسكها عنا فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «**اللهم حوالينا ولا علينا وجعل يشير بيده فما يشير إلى ناحية إلَّا انفرجت**»[١] ومن ذلك أيضًا أنَّ النبي ﷺ لما ذكر الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب قام إليه عكاشة بن محصن فقال: يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال: أنت منهم»[٢].

ولكن هذا النوع ينبغي أن يكون في حال حياة الداعي أما بعد وفاته فلا يجوز التوسل بدعائه لأنه قد مات وليس بإمكانه أن يدعو ولذا لما أجدب الناس في عهد عمر بن الخطاب لم يطلبوا من النبي ﷺ أن يستسقي بهم وإنما عدلوا عن ذلك إلى العباس عم رسول الله ﷺ وقال عمر: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا استسقينا بدعاء نبيك فتسقينا وإنا اليوم نسألك بعم بنبيك فاسقنا ثم قال: قم فاستسق، فقام العباس ودعا»[٣].

أما ما يروى عن العتبى أنَّ أعرابيًا جاء إلى قبر النبي ﷺ فقال: «السلام عليك يارسول الله سمعت الله يقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾[٤] وقد جئتك

---

(١) رواه البخاري ح: (١٠٢١)، ومسلم ح: (٧٩٨).
(٢) رواه البخاري ح: (٥٧٥٢)، ومسلم ح: (٢٢٠).
(٣) رواه البخاري ح: (١٠١٠).
(٤) سورة النساء ، الآية: ٦٤.

مستغفرًا مستشفعًا بك إلى ربي[١] فهذه القصة مكذوبة وغير صحيحة وليس في الآية دليل على ذلك لأنَّ الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ ولم يقل: ﴿إذا ظلموا أنفسهم﴾ و«إذ» كما هو معروف ظرفية لحالة معينة تعالج مشكلة خاصة دلَّ عليها سبب نزول الآية في قوم تحاكموا أو أرادوا التحاكم إلى غير الله ورسوله.

٧ـ التوسل بالعمل الصالح وهوأن يذكر الإنسان بين يدي دعائه عملاً صالحًا قام به وهذا من أعظم أنواع التوسل المشروع ومثاله حديث الثلاثة الذين كانوا في سفر وآواهم المبيت إلى غار فلما دخلوه انطبقت عليهم صخرة كبيرة فأرادوا إزالتها فعجزوا فقال: بعضهم لبعض إنه لاينجيكم مما أنتم فيه إلاَّ الله فادعوه بصالح أعمالكم فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم فأزال الله الصخرة وخرجوا يمشون»[٢].

القسم الثاني: التوسل الممنوع:

وهو التوسل إلى الله بما ليس عليه دليل شرعي من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ وهو أنواع:

١ـ التوسل إلى الله بجاه شخص له مكانة ومنزلة وجاه عندالله كالتوسل بجاه النبي ﷺ بأن يقول السائل: «اللهم إني أسألك بجاه نبيك» فهذا التوسل غير مشروع لعدم ورود الدليل به وبالرغم من أنَّ جاه رسول الله ﷺ أعظم جاه، ومنزلته أعظم منزلة إلاَّ أنَّ جاهه ومكانته صلوات الله وسلامه عليه، إنما تنفعه هو عندالله سبحانه، أما

---

(١) تمام القصة في تفسير ابن كثير: (١/ ٥١٩).

(٢) الحديث رواه البخاري: (٢٢٧٢)، ومسلم: (٢٧٤٣).

السائل فلا ينتفع إلاَّ بعمله هو وجهده وجاهه ومنزلته كأن يقول: «اللهم إني أسألك بإيماني برسولك واتباعي لسنته» فهذا توسل مشروع لأنه توسل بعمل العبد نفسه لا بعمل غيره».

٢ـ التوسل إلى الله بدعاء ميت فيطلب السائل من الميت أن يدعوالله له وهذا ضرب من السفه إذ أنَّ الميت قد حيل بينه وبين العمل وليس بامكانه أن يدعو لأحد ولهذا عدل الصحابة عن التوسل بدعائه صلوات الله وسلامه بعد وفاته إلى التوسل بدعاء الحي وهو العباس عم رسول الله ﷺ[1].

٣ـ التوسل بدعاء الأصنام والأولياء والأضرحة وهذا توسل شركي ممقوت وهو عين عمل أهل الشرك الذين كانوا يعبدون الأصنام ليتخذوا ذلك وسيلة إلى الله كما قال سبحانه: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾[2].

---

(١) رواه البخاري ح: (١٠١٠).

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣.

المبحث السابع
السحر

هو عبارة عن عزائم ورقي أو تمتمات وكلام يتكلم به الساحر، وأدوية وتدخينات من أعمال الشياطين تؤثر في القلوب والأبدان بإذن الله الكوني القدري فيحصل بسببه المرض والقتل والتفريق بين الزوجين، وذلك عن طريق استعانة السحرة بالشياطين وتقديم شيء مما تحب من الذبح أو النذر مما هو شرك ويوقع في الشرك لاستخدام الشياطين والتقرب إليهم والتعلق بهم وادعائهم علم الغيب، وهو محرم بالكتاب والسنة يقول تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾(١)، وقد دلت الآية الكريمة على أنَّ السحر كفر وأنَّ السحر لا يؤثر بذاته نفعًا ولا ضرًّا وإنما يؤثر بإذن الله الكوني القدري، كما دلت الآية على أنَّ من يتعلم السحر إنما يتعلم مايضره ولا ينفعه وأنه ليس له عندالله حظ ولا نصيب وهذا من أعظم الوعيد الذي يوقع في الخسران المبين في

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢

الدنيا والآخرة.

أما من السنة المطهرة فقد أخبر النبي ﷺ أنَّ السحر من الموبقات أي المهلكات.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قالو: وما هن يارسول الله قال: «**الإشراك بالله والسحر وقتل النفس التي حرَّم الله إلَّا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»(١).

أما العلاج من السحر فعلى نوعين:

الأول: الوقاية منه قبل وقوعه وذلك بالتحصن بالأذكار والأدعية المأثورة، ومن ذلك قراءة آية الكرسي في الصباح والمساء، وعقيب كل صلاة مكتوبة وقراءة سورة الإخلاص والمعوذتين عقب الصلوات المكتوبة أيضًا وقراءتها ثلاث مرات بعد صلاة الفجر وبعد صلاة المغرب، وقراءة خواتيم سورة البقرة كل ليلة والإكثار من ذكر الله عزَّوجل وقول أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق وقول: بسم الله الذي لايضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم لثبوت ذلك عن رسول الله ﷺ.

الثاني: العلاج من السحر بعدوقوعه فيكون باللجوء إلى الله والتضرع إليه سبحانه بكشف الضر وإزالة البأس ثم استخدام الرقية الشرعية وهي قراءة آية الكرسي والإخلاص والمعوذتين والفاتحة، وآيات السحر التي في سورة الأعراف وهي قوله تعالى: ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ

(١) رواه البخاري ح: (٢٧٦٧)، ومسلم ح: (٨٩).

مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾(١) والآيات التي في سورة يونس وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾(٢) والآيات التي في سورة طه وهي قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾(٣) ومن أنفع الأدوية لإبطال السحر معرفة موضعه وإتلافه، أما علاجه بالذهاب إلى السحرة والكهنة وسؤالهم واستعمال توصياتهم بالذبح وغيره فهذا عمل محرم ورد النهي عنه والتحذير من الوقوع فيه.

ففي صحيح مسلم يقول عليه الصلاة والسلام: «**من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم يقبل له صلاة أربعين ليلة**»(٤).

وفي سنن أبي داود يقول عليه الصلاة والسلام: «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد بريء مما أنزل على محمد ﷺ**»(٥).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١١٧، ١١٩.
(٢) سورة يونس، الآية: ٧٩، ٨٢.
(٣) سورة طه، الآية: ٦٥، ٦٩.
(٤) رواه مسلم ح: (٢٢٣٠).
(٥) رواه أبوداود ح: (٣٩٠٤).

الباب السادس
البدعة وخطورتها على دين العبد

وفيه مباحث:

المبحث الأول: **أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة**

المبحث الثاني: **ذم البدع والتحذير منها**

المبحث الثالث: **شبهات أهل البدع**

المبحث الرابع: **لوازم الابتداع**

المبحث الخامس: **أمثلة لبعض البدع**

المبحث الأول
أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة

مدار سعادة الإنسان في الدارين وفوزه وفلاحه في الحياتين يعتمد ويتوقف على مدى اعتصامه بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ لأنهما النوران اللذان يضيئان للإنسان طريقه وهو يعبر دروب الحياة ومجاهيلها، وعلماء أهل السنة والجماعة يقررون أنَّ الاعتصام بهما والعمل بهديهما واتباعهما في جميع قضايا الدين أصوله وفروعه، هو سبيل النجاة وطريق الفوز والفلاح وهذه بعض أقوالهم:

١ ـ أقوال بعض الصحابة:

أ ـ عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: عليكم بالسبيل والسنة ـ يعني بالسبيل الكتاب الكريم ـ، فإنه ما على الأرض عبدٌ على السبيل والسنة وذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله عزَّوجل فيعذبه الله، وما على الأرض عبدٌ على السبيل والسنة وذكره ـ يعني الرحمن ـ في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله إلاَّ كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة فتحاتّ ـ أي تساقط عنها ورقها ـ إلاَّ حط عنه خطاياه كما تحاتّ عن تلك الشجرة ورقها، وإن اقتصادًا في سبيل وسنة، خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة، فانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادًا واقتصادًا أن يكون ذلك على منهاج الأنبياء وسنتهم[١].

(١) شرح أصول أهل السنة والجماعة للالكائي: (١٠).

ب ـ وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: لن تضل ما أخذت بالأثر[١].

٢ـ أقوال بعض التابعين:

أـ قال الإمام الزهري ـ رحمه الله ـ كان من مضى من علمائنا يقول: الاعتصام بالسنة نجاة والعلم يقبض قبضًا سريعًا فنعش العلم أي انتعاشه ورفعته، ثبات الدنيا والدين وذهاب العلماء ذهاب ذلك كله[٢].

ب ـ قال الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ حين كتب إلى بعض عماله: أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره وإتباع سنة رسوله ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعده فيما جرت به سنته وكفوا مؤونته[٣].

٣ـ أقوال بعض الأئمة ـ رحمهم الله ـ:

أـ قال سفيان بن سعيد الثوري: كان الفقهاء يقولون: لايستقيم قول إلاَّ بعمل، ولا يستقيم قول وعمل إلاَّ بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلاَّ بموافقة السنة[٤].

ب ـ قال الإمام أحمد بن حنبل في بعض رسائله: ثم بعد كتاب الله سنة النبي ﷺ والحديث عنه، وعن المهديين أصحاب النبي ﷺ واتباع السنة نجاة وهي التي نقلها أهل العلم كابرًا عن

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة: (١٠/٣٥٣).
(٢) شرح أصول أهل السنة والجماعة للالكائي: (٦٣٦).
(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة: (١/٣٢١).
(٤) المرجع السابق: (١/٣٣٣).

كابر[١].

ج ـ قال قوَّام السنة الإمام الأصبهاني: كل من صح عنده شيء من أمر الرسول ﷺ أو نهيه صغيره وكبيره، بلا معارض له يعرفه من حديثه، أو ناسخ له، ثم قال: قال رسول الله ﷺ كذا، وأنا أقول بخلافه، فقد تكلم بعظيم، وإن كان ذلك الشيء مما لا يضل الرجل بتركه؛ لأنَّ أدنى معاندة للنبي ﷺ في شيء من أمره ونهيه عظيم، فمن قبِل عن النبي ﷺ، فإنما يقبل عن الله، ومن ردَّ فإنما يردُّ على الله، قال تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[٢].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على وجوب ذلك بما يلي:

١ـ من القرآن الكريم:

أـ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[٣] قال ابن جرير عند تفسيره لهذه الآية: «يقول تعالى ذكره وهذا الذي وصاكم به ربكم أيها الناس، وأمركم بالوفاء به، هو صراطه يعني طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده، مستقيمًا لا اعوجاج به عن الحق، فاعملوا به، واجعلوه لأنفسكم منهاجًا تسلكونه، ولا تسلكوا طريقًا سواه، ولا تركبوا منهجًا غيره، ولا تبغوا دينًا خلافه من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان وغير ذلك من الملل فإنها بدع وضلالات». وقد عزا هذا القول إلى بعض أئمة التفسير كمجاهد

---

(١) طبقات الحنابلة لأبي يعلى: (١/ ٣٤٢).
(٢) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني: (٢/ ٣٩٧).
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

وغيره[١].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[٢]

قال القرطبي: أحسن ما أنزل هو القرآن وكله حسن، والمعنى ما قال: الحسن: التزموا طاعته واجتنبوا معصيته، وقال السدي: «الأحسن ما أمر الله به في كتابه»، وقال ابن زيد: يعني المحكمات، وَكِلوا علم المتشابه إلى عالمه، وقال: أنزل الله كُتبًا التوارة والإنجيل والزبور ثم أنزل القرآن وأمر باتباعه، فهو الأحسن وهو المعجز وقيل: هذا أحسن لأنه ناسخ قاض على جميع الكتب وجميع الكتب منسوخة[٣].

ج ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾[٤] قال الشاطبي ـ رحمه الله ـ «هؤلاء هم أصحاب الأهواء والضلالات والبدع من هذه الأمة»[٥].

٢ـ من السنة المطهرة:

أ ـ حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول في خطبته: «**أما بعد: فإنَّ خير الحديث كتاب الله**

---

(١) تفسير ابن جرير بتصرف يسير: (٨/ ٨٧).
(٢) سورة الزمر، الآية: ٥٥.
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (١٥/ ٢٧٠).
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.
(٥) الاعتصام للشاطبي: (١/ ١٧٩).

وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها»[١].

ب ـ حديث جرير بن عبدالله البجلي ـ رضي الله عنه ـ قال: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[٢].

ووجه الدلالة في تلك الآيات والأحاديث ظاهر وهو الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة لأنهما سبيل السعادة وطريق الفلاح في الدنيا ولآخرة.

---

(١) رواه مسلم ح: (٨٦٧).

(٢) رواه مسلم ح: (١٠١٧).

المبحث الثاني
ذم البدع والتحذير منها

البدعة في اللغة: تطلق على الشيء المخترع على غير مثال سابق، أي الأمر المحدث الجديد فيقال: لمن أتى بأمر لم يسبقه إليه أحد ابتدع[١].

أما في الاصطلاح: فهي كما يقول ابن رجب الحنبلي: «ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه»[٢].

ويعرفها الشاطبي بتعريف أشمل فيقول: «بأنها طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى»[٣] ومن عظيم نعم الله تعالى على عباده أن أكمل لهم الدين وأتم الشريعة فما فارق رسول الله ﷺ الدنيا إلاَّ بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة وأنزل الله عليه وهو واقف بعرفه في حجة الوداع: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[٤] ولقد كان اليهود يغبطون هذه الأمة على هذه الآية فقد جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وقال: آية في كتابكم تقرؤنها لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: وأي آية هي؟ قال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

---

(١) لسان العرب لابن منظور: (٨/ ٧).
(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب: (٢٦٥).
(٣) الإعتصام للشاطبي: (١/ ٥٠).
(٤) سورة المائدة، ا لآية: ٣.

﴿لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾.

يقول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تأويل هذه الآية: «أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدًا وقد رضيه فلا يسخطه أبدًا»[(١)].

وقد كانت القرون الثلاثة الأولى هي خير قرون هذه الأمة لتمسكها بكتاب ربها وسنة نبيها ومحاربة البدع والضلالات ورفض الإحداث في دين الله عزَّوجل، وعلماء أهل السنة والجماعة يقررون دائمًا خطورة الابتداع في الدين وأهمية العمل بالكتاب والسنة وهذا طرف من أقوالهم:

١ـ أقوال بعض الصحابة:

أ ـ قال الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ «الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة»[(٢)].

ب ـ قال عثمان الأزدي: «دخلت على ابن عباس فقلت له: أوصني، فقال: نعم، عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع ولا تبتدع»[(٣)].

ج ـ قال حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم اتبعوا آثارنا فقد سبقتم سبقًا بعيدًا وإن أخطأتم فقد ضللتم

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير لهذه الآية: (٢/ ١٢).

(٢) ذكره الحاكم في المستدرك: (١/ ١٠٣).

(٣) أخرجه الدارمي في سننه: (١/ ٥٠).

ضلالاً بعيدًا»[١]

٢ـ أقوال بعض التابعين:

أـ «قال عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سننًا الأخذ بها تصديق لكتاب الله عزَّوجل واستكمال لطاعته وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها فمن اقتدى بما سنوا اهتدى ومن استبصر بها أبصر ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاَّه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا»[٢].

ب ـ يقول الحسن البصري: «أعرفوا المهاجرين بفضلهم واتبعوا آثارهم وإياكم وما أحدث الناس في دينهم فإنَّ شر الأمور المحدثات»[٣].

٣ـ أقوال بعض الأئمة:

أـ يقول الإمام مالك ـ رحمه الله ـ «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أنَّ محمدًا خان الرسالة لأنَّ الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٤] فما لم يكن يومئذ دينًا لا يكون اليوم دينًا»[٥].

ب ـ قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ «أصول السنة عندنا

---

(١) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة: (١/ ٣٣٦).

(٢) الشريعة للآجري: (٤٨).

(٣) كتاب الزهد للإمام أحمد: (٣٣٤).

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٥) الاعتصام للشاطبي: (١/ ٦٤).

التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة ضلالة»[١].

وقد استدل علماء أهل السنة والجماعة على ذم البدع ومحاربتها بأدلة كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهذا طرف منها:

١ـ من القرآن الكريم:

أـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[٢] قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير هذه الآية: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ فأهل السنة والجماعة وأولو العلم، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ فأهل البدع والضلالة[٣].

ب ـ قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[٤] قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: «أي عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنًا من كان»[٥].

---

(١) طبقات الحنابلة لأبي يعلى: (١/ ٢٤١).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.
(٣) شرح أصول أهل السنة والجماعة للالكائي : (٧٤).
(٤) سورة النور، الآية: ٦٣.
(٥) تفسير ابن كثير: (٣/ ٣٠٧).

٢ـ من السنة المطهرة:

أـ عن العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ قال: «**وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبدٌ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة خلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كل بدعة ضلالة**»[١].

ب ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا ماليس منه فهو رد**» [وفي رواية مسلم]: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٢] ووجه الاستدلال في الآيات والأحاديث ظاهرة لا تحتاج إلى إيضاح ولله الحمد والمنة.

---

(١) رواه أبوداود ح: (٤٧٠٧)، والترمذي ح: (٢٦٧٦، وقال حسن صحيح .

(٢) رواه البخاري ح: (٢٦٩٧)، ومسلم ح: (١٧١٨).

المبحث الثالث
شبهات أهل البدع

يورد أهل البدع بعض الشبهات التي يبررون بها بدعهم مثل قولهم:

١ـ إنَّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ قد فعلوا أشياء كثيرة لها علاقة بالدين ولم تكن في عهده ﷺ، مثل جمع القرآن، فهو في نظرهم بدعة حسنة، وقولهم هذا مردود، وشبهتهم باطلة؛ لأنَّ البدعة ـ كما عرَّفها العلماء ـ: هي إحداث شيء في دين الله ليس له أصلٌ ولا مثالٌ سابقٌ، وجمع القرآن ليس بدعة ولا إحداثًا؛ لأنَّ الله عزَّوجل قد أخبرنا أنَّ القرآن الكريم كتابٌ، في كثير من الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[١] والكتاب اسم للقرآن المجموع وأيضًا فقد نهى النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته عن السفر بالمصحف إلى أرض العدو[٢]. أي المصحف الذي سيجمع وهذا دليل على مشروعية جمع القرآن في كتاب واحد ولكن لم يتم جمعه في عهده ﷺ لعدم قيام المقتضى لجمعه وهو تنزل القرآن فلما انقطع الوحي جرى جمعه عملاً بأمر الله عزَّوجل في كونه كتابًا محفوظًا.

٢ـ يستدل أهل البدع على بدعهم بقول الرسول ﷺ: «من

(١) سورة البقرة، الآية: ١.

(٢) رواه البخاري ح: (٢٩٩٠)، ومسلم ح: (١٨٦٩).

سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها».

والرد عليهم بالرجوع إلى سبب الحديث الذي يوضح معناه، فإنَّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، وسبب هذا الحديث كما روى مسلم في الصحيح عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار فجاءه قوم حفاة عراة مجتابى النماء أو العباء متقلدى السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله ﷺ لِمَا رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى ثم خطب تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ والآية التي في الحشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، ومن صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة، قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[1].

والمعنى أنَّ من يبدأ بفعل أمر مشروع في دين الله كالصدقة

---

(١) رواه مسلم ح: (١٠١٧).

مثلاً فيتبعه الناس في هذا الفعل يكون قد سنَّ سنة حسنة ينال عليها أجر من تبعه دون أن ينقص من أجورهم شيء.

٣ـ كما يستدل أهل البدع بأنَّ المسلمين قد أحدثوا أشياء كثيرة مثل وضع الدواوين والمدارس وهي من البدع لأنَّ لها علاقة بالدين ويرد عليهم بأنَّ هناك فرقًا بين البدع وبين المصالح المرسلة التي تقتضيها مصلحة المسلمين وليس لها علاقة بأمور العبادة أي ليست من القرب والطاعات التي لايمكن فعلها إلاَّ بالدليل لافتقارها إليه، لأنَّ الأصل فيها المنع إلاَّ ماقام عليه الدليل، أما غير ذلك مما فيه مصلحة من مصالح المسلمين وليس من الأمور التعبدية فإن فعله ليس من البدع وهذا كالإجماع بين المسلمين.

المبحث الرابع
لوازم الابتداع

الابتداع في دين الله يفضى إلى لوازم خطيرة ذات أثر سيء على عقيدة المبتدع ودينه، منها:

١ـ أنَّ الابتداع يعني نقصان الدين وعدم كماله وهذا معارض لقوله عزَّوجل: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(١) فقد أخبر سبحانه أنَّ هذا الدين قد كمل وأنه ليس بحاجة إلى إضافة أو زيادة.

٢ـ أنَّ الابتداع يؤدي إلى ضياع معالم الدين الحق وفتح باب الاستحسان والأحداث، وبالتالي عدم وقوف الناس عند حد معين من الابتداع، مما يضيع معه دين الله.

٣ـ أنَّ الابتداع يستلزم تنقص جناب النبي ﷺ واتهامه بأنه لم يبلغ الرسالة ولم يؤد الأمانة ولم ينفذ أمر الله له في قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾(٢).

وأذكر أنني كنت في زيارة لإحدى الدول الإسلامية للمشاركة في مؤتمر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

وفي أحد الأيام وبينما كنا جلوسًا في بهو الفندق لتناول الشاي ومعي بعض المشايخ والعلماء من دول متعددة فأردت أن أشغل

---

(١) سورة المائدة الآية: ٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

المجلس بإيراد بعض الفوائد وعندما بدأت أتحدث قاطعني أحد الجالسين، وقال لي: من أي البلاد أنت فقلت له: من المملكة العربية السعودية، فهز رأسه قائلاً: أنتم هناك في السعودية لا تحبون الرسول ﷺ، عندها تأثرت ولكنني لزمت جانب الهدوء رغم ضراوة الهجمه وشدة وقع الكلمة على نفسي، وسألته لماذا لا نحب الرسول ﷺ؟ فقال: لأنكم لا تحتفلون هناك بمولده، فقلت له: كلامك هذا يعني أنَّ التعبير عن محبته ﷺ إنما يكون بالاحتفال بمولده، قال: نعم، فقلت له: والله ما منعنا من الاحتفال إلاَّ محبته صلوات الله وسلامه عليه، قال: وكيف ذلك؟ قلت له: هل تقبل النقاش العلمي بعيدًا عن التعصب والهوى؟ قال: نعم، قلت له: سوف أسألك بعض الأسئلة وأرجو أن تجيبني عليها، قال: تفضل، قلت له:

السؤال الأول: هذا الاحتفال الذي تقيمونه في ذكرى مولده ﷺ وتعبرون به عن محبتكم له، هل هو طاعة تتقربون بها إلى الله وترجون عليها ثوابًا منه عزَّوجل؟ أم هو معصية.

فأجابني قائلاً: هو طاعة لله عزَّوجل نتقرب بها إليه سبحانه. فقلت له:

السؤال الثاني: هذه الطاعة هل علمها رسول الله ﷺ أم جهلها وأنتم علمتم بها، ومن المعروف بداهه عند كل مسلم أنَّ أعلم الناس بطاعة الله هو رسول الله ﷺ ولذا لم يتردد في الإجابة بقوله بل علمها رسول الله ﷺ فقلت له:

السؤال الثالث: هذه الطاعة التي علمها الرسول ﷺ هل بلَّغها

رسول الله ﷺ لأمته أم كتمها؟

عندها وقف حائرًا وأخذ يفكر في الإجابة لأنه لا يجرؤ على القول بأنَّ رسول الله ﷺ كتمها لأنَّ في هذا القول إتهام لجناب رسول الله ﷺ ووصفه بالتقصير وعدم تبليغ رسالة ربه، وأيضًا لا يقدر على أن يقول إنه بلغها لأنه وهو رئيس العلماء في بلده يعلم يقينًا أنه لايوجد في الكتاب ولا في السنة ما يدل على مشروعيتها أو أنَّ النبي ﷺ قد أمر بها، ولكنه لم يجد بدًا في الإجابة بقوله: بل بلَّغها.

فقلت له: أعطني دليلاً واحدًا من السنة ولو كان ضعيفًا على أنه أمر بها فوقف مبهوتًا متحيرًا، فقلت له: لابدَّ من ذلك، وإذا عجزت ولم تقدر فمعنى ذلك أنَّ الرسول ﷺ قد كتمها ولم يبلغها لأمته، هنالك لم يجد بدًّا من الرجوع عن قوله بأنها طاعة وقال: هذا العمل ليس بطاعة، فقلت له: أجل هو معصية وأنتم تعبرون عن محبتكم لرسول الله ﷺ بمعصية الله؟ قال لا: ليس معصية، فقلت له: إذا لم يكن طاعة ولا معصية، فماذا يكون فقال: هو بدعة حسنة فقلت له ليس في الإسلام بدعة حسنة لأنَّ الحديث الصحيح قد نصَّ على أنَّ كل بدعة ضلالة[1] فقال: نحن لانقول فيها إلاَّ خيرًا، قلت له: وماذا تقولون قال: نقرأ بعض المدائح النبوية وبعض أحوال السيرة، وأحيانًا نحظى بالحضرة النبوية، قلت: وما الحضرة النبوية؟ قال: حضور النبي ﷺ وتشريفه للحفل، قلت: حفلكم أنتم فقط أم جميع

(١) سبق تخريجه.

الاحتفالات في شتى أقطار الأرض، وكيف يمكنه ذلك في ليلة واحدة فسكت ولم يستطع الإجابة.

ثم قلت له: وقد دخل وقت صلاة العصر، ما رأيك لو صلى بنا الإمام خمس ركعات فما حكم الصلاة؟ قال: باطلة، قلت: ولماذا! والإمام ما زاد إلاَّ خيرًا! فقد زاد ركعة خامسة قرأ فيها الفاتحة وسبَّح في ركوعها وسجودها.

فقال: لا تصح الزيادة لأنَّ النبي ﷺ لم يشرعها فقلت له: وكذلك الاحتفال بالمولد لا يصح، لأنَّ النبي ﷺ لم يأمر به، عندها مدَّ يده وقال لي أعاهدك بالله أنني من هذا اليوم سأكون حربًا عليها، فدعوت له بالتوفيق.

٤ـ من لوازم الابتداع وآثاره بغض السنة وأهلها وكراهيتهم ومعاداتهم. يقول الإمام إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني ـ رحمه الله ـ «وعلامات أهل البدع ظاهرة على أهلها بادية، وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحمله أخبار النبي ﷺ واحتقارهم لهم»[1].

(١) عقيدة أهل السنة وأصحاب الحديث: (٢٩٩).

المبحث الخامس
أمثلة لبعض البدع المنتشرة في معظم ديار المسلمين

أولاً: بدعة المولد النبوي:

مما لاشك فيه أنَّ نبينا محمدًا ﷺ هو أكرم خلق الله وأعظم منزلة عنده، وأن محبته جزء من عقيدة المؤمن، ولذا فإن ذكراه حية في قلوب المؤمنين في كل لحظة من لحظات حياتهم.

والاحتفال بمولده لإحياء ذكراه لا يليق بمقامه الرفيع إذ أن كل مسلم مأمور بالصلاة والسلام عليه عند ذكره صلوات الله وسلامه عليه، ومأمور بمتابعة الأذان المتضمن لشهادة أنَّ محمدًا رسول الله ومأمور بالتشهد المتضمن للصلاة عليه في كل صلاة يؤديها المؤمن من الفرائض والنوافل، فليس من توقيره أن نتذكره مرة واحدة في العام، لأنَّ ذكره في أعماق قلوبنا وعلى ألسنتنا صلوات الله وسلامه عليه، ومادام أنَّ الله قد أخبرنا في كتابه العزيز أنَّ محبته سبحانه لا تتحقق إلاَّ بمتابعة نبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(١)

وبما أنه ﷺ لم يفعل هذا الاحتفال وهو صاحب الشأن ولم يأمر به ولم يفعله أصحابه من بعده ولا أحد من سلف هذه الأمة في القرون المفضلة ولو كان خيرًا لسبقونا إليه.

ولأنه ﷺ قد أخبرنا بأنَّ «**كل عمل ليس عليه أمره فهو**

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

رد»[١] وحيث أنَّ العبادات توقيفية وليس لأحد أن يشرع للناس شيئًا منها، والأصل فيها المنع والحظر إلاَّ ما ثبت بالكتاب والسنة، ولأنَّ دعوى محبته ﷺ بممارسة هذا المولد باطلة؛ لأنَّ محبته إنما تظهر جلية في متابعته واقتفاء أثره والتمسك بشريعته والعمل بسنته ﷺ.

وبما أنَّ الاحتفال بالمولد تشبُّه بالنصارى ونحن مأمورون بمخالفتهم وعدم التشبه بهم.

وبالنظر إلى مايقع في هذه الاحتفالات من المخالفات الشرعية والأخطاء العظيمة ومنها: الشرك بالله وسؤال المدد والاستغاثة والدعاء وسؤال قضاء الحاجات وتفريج الكربات من غير الله عزَّوجل إلى جانب الإسراف والتبذير وإضاعة المال.

كل هذه الحيثيات وغيرها تدعو إلى القول بتحريم مثل هذه الاحتفالات وعدم جوازها وضرورة إنكارها وعدم حضورها والمساعدة على إقامتها.

وقد صرَّح العلماء بالتحريم وهذا طرف من أقوالهم:

١ـ فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم: (٤٧٥٥)، ونصها: «الاحتفال بمولد النبي ﷺ بدعة؛ لأنه ﷺ لم يفعله لنفسه ولا أمر بفعله ولم يفعله أحد من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وهم أحرص الناس على تعظيم الرسول ﷺ وإتباع سنته والخير كله في اتباع هديه، وقد قال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد**» توقيع عضو الإفتاء/ عبدالله بن غديان،

(١) سبق تخريجه.

الرئيس عبدالعزيز بن عبدالله بن باز[١].

٢ـ فتوى الشيخ: محمد صالح بن عثيمين والتي أجاب فيها على سؤال عن حكم الاحتفال بالمولد النبوي فقال: «ليلة مولد النبي ﷺ ليست معلومة على الوجه القطعي، فالاحتفال به ليلة الثاني عشر من ربيع الأول، لا أصل له من الناحية التاريخية، ومن الناحية الشرعية فالاحتفال لا أصل له أيضًا لأنه لو كان من شرع الله لفعله النبي ﷺ أو بلَّغه لأمته ولو فعله أو بلَّغه لوجب أن يكون محفوظًا لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾[٢] فلما لم يكن شيء من ذلك علم أنه ليس من دين الله وإذا لم يكن من دين الله فإنه لايجوز لنا أن نتعبد به لله عزَّوجل ونتقرَّب به إليه» إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «فالاحتفال بالمولد بدعة ومحرم»[٣].

ثانيًا: بدع القبور: وهي على أنواع:

١ـ التوجه إلى صاحب القبر بالدعاء وطلب قضاء الحاجات أو إزالة الكربات، كقول بعضهم: مدد يانبي أو مدد ياولي، أو أغثني، أو غير ذلك مما لايقدر عليه إلاَّ الله، ولا يطلب إلاَّ من الله، وهذه بدعة شركية، وفاعلها من جنس عُبَّاد القبور، فكل من دعا نبيًّا، أو وليًّا حيًّا أو ميتًا، وسأله شيئًا لا يسأل إلاَّ من الله، كغفران الذنوب وتفريج الكروب، وستر العيوب، فقد وقع في الشرك

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء المجلد الثالث: (١٩).
(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.
(٣) المجموع الثمين من فتاوى بن عثيمين الجزء الأول: (٧٥).

الأكبر، والضلال البعيد.

٢ـ أن يسأل الله عزَّوجل بصاحب القبر، كقولهم: أسألك بصاحب هذا القبر، أو بالنبي، أو بالشيخ الفلاني، فهذا من التوسل الممنوع ومن البدع المنكرة التي أحدثها الناس.

٣ـ أن يعتقد أنَّ دعاء الله عند القبر مستجاب أو أنه أفضل من دعائه في المسجد، فيتوجه إلى القبر، ثم يدعو الله، وهذا من أعظم البدع والمنكرات التي أحدثت وأنكرها أئمة الدين وأعلام الهدى، يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«عن عبدالله بن دينار قال: رأيت عبدالله بن عمر يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي على النبي ﷺ يدعو لأبي بكر وعمر وكذلك أنس بن مالك وغيره نقل عنهم أنهم كانوا يسلمون على النبي ﷺ فإذا أرادوا الدعاء استقبلوا القبلة يدعون الله تعالى لا يدعون مستقبلي الحجرة، وإن كان قد وقع في بعض ذلك طوائف من الفقهاء والصوفية والعامة ممن لا اعتبار بهم، فلم يذهب إلى ذلك إمام متبع في قوله ولا من له في الأمة لسان صدق عام»[1].

ثالثًا: تخصيص شهر رجب ببعض العبادات:

يخص أهل البدع والأهواء شهر رجب ببعض العبادات التي لم يأذن بها الله ولم يشرعها رسوله ﷺ ولا فعلها أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ ولم تعرف في القرون المفضلة وإنما أحدثت عند غلبة الجهل، وبعد الناس عن السنة، ولازالت تقع من العوام والجهلة

(١) فتاوى ابن تيمية: (١/ ٣٥٢).

حتى يومنا هذا، وذلك ما يسمونه بالعمرة الرجبية، وصلاة الرغائب في أول ليلة جمعة من شهر رجب، وصيام بعض أيام رجب اعتمادًا على بعض الأحاديث الموضوعة والتي بيَّن العلماء عدم صحتها وقرروا بطلانها وأنها من الكذب الذي لا يجوز العمل به أو اعتقاد صحته، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«وأما صوم رجب بخصوصه فأحاديثه كلها ضعيفة بل موضوعة لا يعتمد أهل العلم على شيء منها: وليست من الضعيف الذي يروى في الفضائل، بل عامتها من الموضوعات والمكذوبات»[1].

ويقول ـ رحمه الله ـ في موقع آخر:

«وأما صلاة الرغائب فلا أصل لها، فلا تستحب لا جماعة ولا فرادى، والأثر الذي ذكر فيها كذب موضوع، باتفاق العلماء، ولم يذكره أحد من السلف والأئمة أصلا». إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «وصلاة الرغائب بدعة باتفاق أئمة الدين، لم يسنها رسول الله ﷺ ولا أحد من خلفائه، ولا استحبها أحد من أئمة الدين؛ كمالك، والشافعي، وأحمد، وأبي حنيفة، والثوري، والأوزاعي، والليث، وغيرهم، والحديث المروي فيها كذب بإجماع أهل المعرفة بالحديث وكذلك الصلاة التي تذكر أول ليلة جمعة من رجب»[2].

ويقول الإمام ابن رجب ـ رحمه الله ـ: «وأما الصلاة فلم يصح في شهر رجب صلاة مخصوصة يختص به، والأحاديث المروية في فضل صلاة الرغائب في أول ليلة من شهر رجب كذب وباطل، ولا

---

(١) فتاوى ابن تيمية: (٢٥/ ٢٩٠).

(٢) فتاوى ابن تيمية: (٢٣/ ١٣٢).

تصح، وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء، وممن ذكر ذلك من أعيان العلماء المتأخرين من الحفاظ إسماعيل الأنصاري، وأبوبكر السمعاني، وأبو الفضل بن ناصر، وأبوالفرج بن الجوزي، وغيرهم، وإنما لم يذكرها المتقدمون لأنها أحدثت بعدهم، وأول ما ظهرت بعد الأربعمائة»(١).

رابعًا: بدعة الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج

في السنة العاشرة من بعثة النبي ﷺ والتي ماتت فيها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ والتي كانت تمثل جبهه الدفاع الداخلية لمؤازرة النبي ﷺ، ومات فيها أيضًا عمه أبوطالب الذي كان يدافع عنه ويحميه من قبيلة قريش، في هذا العام الذي اصطلح المؤرخون على وصفه بعام الحزن، أكرم الله نبيه صلوات الله وسلامه بمعجزة خارقة لتثبيت فؤاده، وطمأنينة قلبه، فأُسري به من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى بيت المقدس بالشام، ثم عُرج به إلى السماء، حتى بلغ سدرة المنتهى، وهناك فرض الله عليه الصلوات الخمس، على ما أوضحت ذلك كتب السنة والسيرة، وهذه الحادثة من دلائل نبوته صلوات الله وسلامه عليه، وهي أيضًا من دلائل قدرة الله عزّوجل الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وقد دلَّ على وقوع الإسراء والمعراج الكتاب الكريم والسنة المطهرة بالآيات الصريحة والأحاديث المتواترة الصحيحة، غير أنَّه لم يثبت أنَّ النبي ﷺ ولا خلفاءه

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب: (١٢٣).

الراشدين ولا صحابته أو التابعين أو أئمة الدين كانوا يخصون تلك الليلة باحتفال أو عبادة أو شيء من هذا، ولو كان ذلك أمرًا مشروعًا لبيّنه النبي ﷺ لأمته إما بالقول أو بالفعل أو بالإقرار ولو حدث هذا لنقله الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ الذين نقلوا ما هو أدق وأخفى من هذا، بل لم يثبت تحديد تلك الليلة أو تعيينها في رجب أو في غيره فقد ذكر الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ «أنَّ ليلة الإسراء لا يعرف أي ليلة كانت»(١) وبعض العلماء ينكر وقوعها في رجب حيث يقول الإمام أبوشامة: «وذكر عن بعض القُصَّاص أنَّ الإسراء كان في رجب، وذلك عند أهل التعديل والتخريج عين الكذب»(٢).

ومن المؤسف حقًّا أنَّ هؤلاء المبتدعة الذين يحتلفون بليلة الإسراء والمعراج من غير دليل شرعي نراهم أكثر الناس إهمالاً وإضاعة للصلوات المفروضة التي فرضها الله في ليلة الإسراء والمعراج وهذا من الخذلان وعدم التوفيق نعوذ بالله من ذلك.

خامسًا: تخصيص يوم عاشوراء ببعض العبادات

التطوع بصيام يوم عاشوراء ثابت في سنة رسول الله ﷺ ففي الصحيحين من حديث بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: **«قدم النبي ﷺ المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فقال: ماهذا قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه»**(٣).

---

(١) زاد المعاد لابن القيم: (١/٥٨).

(٢) الحوادث والبدع لأبي شامة: (٢٣٢).

(٣) رواه البخاري ح: (٢٠٠٤)، ومسلم ح: (١١٣٠).

والسنة في هذا اليوم أن يصام فحسب كما صامه ﷺ وأمر بصيامه وهذا هو الحق في تعظيم هذا اليوم كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ولكن المبتدعة لم يقفوا عند حدود السنة وإنما تجاوزوا ذلك إلى ذكر فضائل عن صيام هذا اليوم مستشهدين بأحاديث موضوعة قرَّر العلماء وأهل الشأن بطلانها، كما ذهب المبتدعة إلى شرعية التوسيع في النفقة على الأهل في هذا اليوم مستدلين بحديث موضوع باطل، وأوردوا آثارًا في فضل الاكتحال في هذا اليوم وهذه الفضائل لا تثبت إلاَّ بالدليل الصحيح الثابت من كتاب الله عزَّوجل أو سنة رسوله ﷺ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وقد سئل عما يفعله بعض الناس في يوم عاشوراء فأجاب:

«الحمد لله رب العالمين: لم يرد في شيء من ذلك حديث صحيح عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ولا استحب أحد من أئمة المسلمين لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا روى أهل الكتب المعتمدة في ذلك شيئًا، لا عن النبي ﷺ، ولا الصحابة، ولا التابعين، لا صحيحًا ولا ضعيفًا، لا في كتب الصحيح، ولا في السنن والمسانيد، ولا يعرف شيء من هذه الأحاديث على عهد القرون الفاضلة، ولكن روى بعض المتأخرين في ذلك أحاديث، مثل ما رووا أنَّ من اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد من ذلك العام، ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض ذلك العام، وأمثال ذلك، ورووا فضائل في صلاة يوم عاشوراء ورووا أنَّ في يوم عاشوراء توبة آدم، واستواء السفينة على الجودي ورد يوسف على يعقوب وإنجاء

إبراهيم من النار وفداء الذبيح بالكبش ونحو ذلك، ورووا في حديث موضوع مكذوب على النبي ﷺ: «أنه من وسَّع على أهله يوم عاشوراء وسَّع الله عليه سائر السنة» ورواية هذا كله عن النبي ﷺ كذب[١].

سادسًا: بدعة تخصيص ليلة النصف من شعبان ببعض العبادات:

ليلة النصف من شعبان ورد في فضلها حديث، صححه بعض أهل العلم، لتعدد طرقه وكثرة من رواه من الصحابة وهو ماروته عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله عزَّوجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم بني كلب»[٢]. وعلى فرض صحة الحديث فإنَّ ذلك لايدل

---

(١) فتاوى ابن تيمية: (٢٥/ ٢٩٩).

(٢) هذا الحديث أخرجه الترمذي ح: (٧٣٩)، وقال: سمعت البخاري يضعفه، وأخرجه ابن ماجة برقم: (١٣٨٩)، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجة برقم: (٢٩٥)، ورواه الإمام أحمد برقم: (٦/ ٢٣٨)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم: (٧٦٤)، جميعهم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ بهذا اللفظ وأخرجه ابن حبان كمافي الموارد ح (١٩٨٠)، من رواية معاذ بن جبل وابن أبي عاصم في السنة ح: (٥١٢)، بلفظ: «يطلع الله إلى خلقه في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجيمع خلقه إلاَّ المشرك أو المشاحن وصحح الألباني هذه الرواية في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح: (١١٤٤). كما أخرجه ابن خزيمة في التوحيد: (١٣٦)، من رواية أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وابن أبي عاصم في السنة ح: (٥٠٩)، على نحو رواية معاذ بن جبل، وأخرجه ابن ماجه ح: (١٣٩٠)، من رواية أبي موسى الأشعري، وللحديث روايات أخرى عن أبي ثعلبة الخشني وأبي هريرة وعبدالله بن عمرو، وقد ساق=

على شرعية تخصيص ليلها بصلاة أو نهارها بصيام لأنَّ الحديث لايقتضيه وإنما يدل فقط على فضلها وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «ومن العلماء من السلف من أهل المدينة وغيرهم من الخلف من أنكر فضلها وطعن في الأحاديث الواردة فيها كحديث: «إنَّ الله يغفر فيها لأكثر من عدد شعر غنم بنى كلب» وقال: لافرق بينها وبين غيرها لكن الذي عليه كثير من أهل العلم أو أكثرهم من أصحابنا وغيرهم على تفضيلها، وعليه يدل نص أحمد، لتعدد الأحاديث الواردة فيها وما يصدق ذلك من الآثار السلفية، وقد روى بعض فضائلها في المسانيد والسنن وإن كان قد وضع فيها أشياء أخر، فأما صوم يوم النصف مفردًا فلا أصل له، بل إفراده مكروه واتخاذه موسمًا، تصنع فيه الأطعمة، وتظهر فيه الزينة، هو من المواسم المحدثة المبتدعة التي لا أصل لها. وكذلك ما قد أحدث في ليلة النصف من الاجتماع للصلاة الألفية في المساجد الجامعة ومساجد الأحياء والدور والأسواق؛ فإنَّ هذا الاجتماع لصلاة نافلة مقيدة بزمان، وعدد، وقدر من القراءة، مكروه لم يشرع، فإنَّ الحديث الوارد في الصلاة الألفية موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث(١). وما كان هكذا لا يجوز استحباب صلاة بناءً عليه، وإذا لم يستحب فالعمل المقتضى لاستحبابها مكروه، ولو سوغ أنَّ كل

= الألباني هذه الروايات في السلسلة الصحيحة: (٣/ ١٣٥، ١٣٨)، ثم قال: وجملة القول أنَّ الحديث بمجموع طرقه صحيح بلا ريب والصحة تثبت بأقل منها عددًا ما دامت سالمة من الضعف الشديد.

(١) انظر: تنزيه الشريعة: (٢/ ٩٢)، والموضوعات لابن الجوزي: (٢/ ١٢٧).

ليلة لها نوع فضل تخص بصلاة مبتدعة يجتمع لها لكان يفعل مثل هذه الصلاة أو أزيد أو أنقص ليلتي العيدين وليلة عرفة[١].

سابعًا: بدع مختلفة

وهي كثيرة نذكر منها على سبيل المثال مايلي:

١ـ الجهر بالنية عند البدء في الصلاة أو الصيام أو الوضوء أو الاغتسال كأن يقول: نويت أن أصلي الظهر أربع ركعات، أو يقول: عند السحور اللهم إني نويت الصيام وعليك التمام، إلى غير ذلك من الأقوال التي ما أنزل الله بها من سلطان ولم يشرعها رسول رب الأنام، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وإنما هي بدعة منكرة يجب رفضها وعدم قبولها، يقول الله عزَّوجل: ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾[٢] والنية من أعمال القلوب وأعمال القلوب لا يقوم بها غيرها من الأعضاء واللسان عمله قولي وما دام أنَّ ذلك لم يرد في الشرع ففعله ابتداع في دين الله لا أصل له، يقول الإمام ابن رجب ـ رحمه الله ـ : «النية هي قصد القلب ولا يجب التلفظ بما في القلب في شيء من العبادات»[٣].

٢ـ أداء الأذكار المشروعة عقب الصلوات بشكل جماعي وهي من البدع الإضافية فإنَّ أصل الذكر مشروع لكن أداءه بالشكل الجماعي على نحو ما يقع في بعض البلدان أمر مبتدع لم يرد به

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية: (٢/ ٣٢١).

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٦

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب: (١/ ٩٣).

دليل، والمنقول من فعله صلوات الله وسلامه عليه وفعل أصحابه من بعده وفعل سلف هذه الأمة في القرون المفضلة، ومن بعدهم أنهم يذكرون الله عزَّوجل لكل واحد بمفرده.

٣ـ استئجار القراء وإقامة المآتم على الأموات بزعم أنَّ ذلك ينفع الميت من البدع المحدثة التي أحدثها أهل البدعة ولا دليل عليها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٤ـ أذكار المتصوفة التي يذكرون الله بها بصيغة الإفراد للفظ الجلالة بزعم أنَّ ذكر الله بتكرار لفظ الجلالة هو ذكرالخاصة أما ذكره سبحانه بتكرار الضمير «هو» فهو ذكر خاصة الخاصة وهذا من أبطل الباطل وأشد البدع فإنه لم ينقل عن رسول الله ﷺ أو أصحابه أنهم فعلوا ذلك وهم خاصة عبادالله الذين حفظ الله بهم دينه وأعلى بهم كلمته.

يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ «والذكر بالاسم المضمر أو المفرد أبعد عن السنة، وأدخل في البدعة، وأقرب إلى ضلال الشيطان، فإنَّ من قال ياهو ياهو أو هوهو، ونحو ذلك لم يكن الضمير عائدًا إلاَّ إلى قلبه، والقلب قد يهتدي وقد يضل» إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهرًا أو مضمرًا فلا أصل له فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات وذريعة إلى تصورات وأحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد»[١].

---

(١) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية: (٧٣، ٨٢).

الباب السابع
طاعة ولاة الأمر

وتحته مباحث :

المبحث الأول: **وجوب طاعة ولاة الأمور**

المبحث الثاني: **وجوب عقد البيعة للحاكم المسلم**

المبحث الثالث: **كيفية تنصيب الإمام**

المبحث الرابع: **من الإمام الذي تجب طاعته**

المبحث الخامس: **كيفية الإنكار على الحكام**

المبحث الأول
وجوب طاعة ولاة الأمر

حين يجتمع البشر في مكان واحد، وفي بيئة معينة، فإن من الطبيعي أن تحدث بينهم المشاكل، وأن تقع بينهم الخلافات؛ وذلك لاختلاف طبائعهم وأهوائهم، ولذا لا يصلح حال الناس دون أن يتولى أحدهم أمر الحكم فيهم، وهذا الحكم يجب أن يعتمد على العدل والإنصاف، وإحقاق الحق، والأخذ على يد السفيه والعابث، وهذا لا يكون إلاَّ بتحكيم شرع الله الذي تضمن أعدل الأحكام، وأرقى النظم؛ لأنه من عند الله الذي يعلم حقيقة الإنسان وما يصلح أحواله ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[١]. فإذا قام الحاكم بأمانة الحكم بين الناس بالعدل على ضوء الحكم بما أنزل الله، وما تضمنته الشريعة الغراء من صدق الأخبار وعدل الأحكام، فإنه يجب على جميع المسلمين طاعة الحاكم العادل الذي يحكم بما أنزل الله، ويرعى ويحقق مصالح العباد، وطاعة ولاة أمور المسلمين من المسائل العقدية المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة يؤكدون عليها ويقررونها لبالغ أهميتها وعظم شأنها حيث لا تنتظم مصالح العباد في دينهم ودنياهم إلاَّ بالسمع والطاعة لمن ولاَّه الله أمرهم، فيما ليس فيه معصية لله عزَّوجل، وكان اهتمام السلف ـ رحمهم الله ـ بهذا الشأن بارزًا خصوصًا عند بروز الفتن وظهور القلاقل لما يترتب على الجهل بهذا وإضاعته من الفساد الكبير والخطر العظيم،

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٤.

وحتى يجتمع شمل الأمة وتتوحد كلمتها وينصرف الإمام إلى واجباته في رعاية مصالح الأمة وتحقيق أهدافها كان لابدَّ من السمع والطاعة له في المعروف.

يقول الصحابي الجليل عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ عليك بالسمع والطاعة في يسرك وعسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك، ولا تنازع الأمر أهله، إلاَّ أن يأمرك بمعصية الله بواحًا أي جهارًا[١]. وعندما تبنى الخليفة العباسي المأمون القول بخلق القرآن، وحمل الناس عليه وقف الإمام أحمد بن حنبل وقفته التاريخية في إبطال هذا القول وإظهار الحق في هذه القضية غير أنَّ ذلك لم يحمله على مخالفة المنهج الصحيح بالدعوة إلى الخروج على ذلك الخليفة إنسياقًا وراء العاطفة والحماس الزائد، ولكنه تمسك بمنهج أهل السنة والجماعة، وعندما اجتمع فقهاء بغداد وجاءوا إليه وقالوا: إنَّ الأمر قد تفاقم وفشا، أي القول بخلق القرآن، ولا نرضى بإمارته ولا سلطانه أي الواثق بالله، فقال لهم: «عليكم بالإنكار في قلوبكم ولا تخلعوا يدًا من طاعة، لا تشقوا عصا المسلمين ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم وانظروا في عاقبة أمركم واصبروا حتى يستريح بر ويستراح من فاجر»[٢].

ولذا كان أئمة السنة يرون ضرورة الدعاء لولي الأمر لما في ذلك من المصلحة يقول الإمام الحسن بن علي البربهاري في كتاب السنة: «إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى

---

(١) الحجة في بيان المحجة للإمام لأصفهاني: (٢/ ٣٩٢).

(٢) طبقات الحنابلة: (١/ ١٤٤).

وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله».

يقول الفضيل بن عياض: «لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلاَّ في السلطان، قيل له: يا أبا علي فسِّر لنا هذا؟ قال: إذا جعلتها في نفسي لم تتجاوزني، وإذا جعلتها في السلطان صلح، فيصلح بصلاحه العباد والبلاد، فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن جاروا وظلموا؛ لأنَّ جورهم وظلمهم على أنفسهم وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين»(١) وقد استدل أهل السنة والجماعة على وجوب طاعة ولاة الأمر بصريح الكتاب وصحيح السنة كما يلي:

أولاً من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾(٢) وفي الآية دلالة واضحة وأمر صريح بوجوب طاعة أولي الأمر.

قال ابن حجر في الفتح قال ابن عيينة سألت زيد بن أسلم عنها أي عن أولي الأمر في هذه الآية ولم يكن بالمدينة أحد يفسر القرآن بعد محمد بن كعب مثله فقال: أقرأ ما قبلها تعرف فقرأت: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا . .﴾(٣) فقال: هذه في

(١) شرح السنة للبربهاري فقرة: (١٠٧).
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٣) سورة النساء، الآية: ٥٨.

الولاة[١].

وقال الشوكاني: «أولوا الأمر في هذه الآية هم الأئمة والسلاطين والقضاة وكل من كانت له ولاية شرعية لا ولاية طاغوتية والمراد طاعتهم فيما يأمرون به وينهون عنه مالم تكن معصية»[٢]، ويدخل في أولي الأمر العلماء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ «وأولوا الأمر أصحابه وذووه وهم الذين يأمرون الناس وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام فلهذا كان أولو الأمر صنفين: العلماء والأمراء فإذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس»[٣]

ثانيًا: من السنة المطهرة:

١ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **« من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني»**[٤].

٢ـ حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها قالوا: يارسول الله كيف تأمر من أدرك ذلك منا؟ قال: تؤدي الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم»**[٥].

---

(١) فتح الباري لابن حجر: (١٣/ ١١٩).
(٢) فتح القدير للشوكاني: (١/ ٤٨١).
(٣) الحسبة لشيخ الإسلام ابن تيمية: (١١٨).
(٤) رواه البخاري ح: (٧١٣٧)، ومسلم ح: (١٨٣٥).
(٥) رواه البخاري ح: (٧٠٥٢)، ومسلم ح: (١٨٣٨).

٣ـ حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكرِه مالم يؤمر بمعصية فإذا أُمرَ بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[١]

وهذه الأحاديث ظاهرة الدلالة في وجوب طاعة ولاة الأمور ولكنها طاعة مقيدة بأن تكون في المعروف، أما إذا أمر بمعصية الله فلا تجوز طاعته بل تحرم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «أهل السنة لا يطيعون ولاة الأمور مطلقًا، إنما يطيعونهم في ضمن إطاعة الرسول كما قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ[٢]﴾»[٣].

ونظرًا لقلة من يعرف المنهج الصحيح الذي ينتهجه أهل الحق في هذه المسألة، ولجهل بعض طلبة العلم بهذا الأصل العقدي الهام، ولشيوع كثير من الأفكار المنحرفة والتي تأثرت بالفكر الاعتزالي والخارجي من حيث شعر المروجون لها، أو لا يشعرون، ولأنَّ الجهل بهذا الأمر قد أوقع الكثير من الدعاة والعاملين في الإسلام في كثير من الأخطاء، كانت لها آثارها السيئة على الدعوة وعلى الدعاة، ولأنَّ عدم إيضاح الحق في هذه القضية ـ خصوصًا للشباب ـ يعتبر في نظري خيانة لهم وتغريرًا بهم، قد يوقعهم في كثير من المحن التي لا طائل من ورائها، ولا يستفيد منها إلاَّ أعداء الإسلام، فإنني سوف أتحدث بشيء من التفصيل في بيان مسائل

(١) رواه البخاري ح: (٧١٤٤).
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٣) منهاج السنة لابن تيمية: (٧٦/٢).

هذه القضية مع علمي سلفًا بأنَّ كثيرًا من المتشنجين والمندفعين سيلومونني على هذا وسيسيئون الظنون بي، أو على الأقل سوف أتَّهم من قبلهم بالسطحية، وعدم تقدير الأمور، وسيقولون بأنَّ المستفيد من هذا هو الحكام، وهذا بالطبع لفرط جهلهم بما يجب عليهم نحو الحكام أبرارًا كانوا أو فجارًا وإلاَّ فإنَّ الفائدة من بيان الحق تعم الحاكم والمحكوم، وتحقق المصالح العظيمة التي تهدف إليها الشريعة الغراء.

المبحث الثاني
وجوب عقد البيعة للحاكم المسلم
والتغليظ على من ليس في عنقه بيعة
والترهيب من نقضها

وهذا ما يقرره أئمة الدين وعلماء أهل السنة والجماعة ويؤكدون ضرورته.

يقول الإمام الحسن بن علي البربهاري: «والسمع والطاعة للأئمة فيما أحب الله ويرضى ومن ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به فهو أمير المؤمنين لا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن ليس عليه إمام برًّا كان أو فاجرًا»(١).

ودليل ذلك أنَّ عبدالله بن عمر جاء إلى عبدالله بن مطيع، حين خرج أهل المدينة على يزيد بن معاوية، وانحازوا إلى الحرة وولوا عليهم عبدالله بن مطيع، وهو صحابي وعبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة، لما شاهدوه من قلة دين يزيد حتى قال عبدالله بن حنظلة: «والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة»(٢)، فلما قدم عبدالله بن عمر إليهما وهما في الحرة قال عبدالله بن مطيع: إطرحوا لأبي عبدالرحمن وسادة فقال: إني لم آتك لأجلس أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله ﷺ يقوله:

---

(١) شرح السنة للبربهاري فقرة: (٢٣).

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: (٢٠٩).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لاحجة له ومن مات ليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»[١]، ومثل ذلك وقع من محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ.

يقول الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «ولما رجع أهل المدينة من عند يزيد مشى عبدالله بن مطيع وأصحابه إلى محمد بن الحنفية فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم فقال ابن مطيع: إنَّ يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب فقال لهم: ما رأيت منه ما تذكرون وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظبًا على الصلاة متحريًا للخير يسأل عن الفقه ملازمًا للسنة قالوا: فإنَّ ذلك كان منه تصنعًا لك فقال: وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر إلي الخشوع، أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه وإن لم يكن أطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا قالوا: إنه عندنا لحق وإن لم يكن رأيناه، فقال لهم: أبى الله ذلك على أهل الشهادة فقال: إلاَّ من شهد بالحق وهم يعلمون[٢] ولست من أمركم في شيء قالوا: فلعلك تكره أن يتولى الأمر غيرك فنحن نوليك أمرنا، قال: ما استحل القتال على ما تريدونني عليه تابعًا ولا متبوعًا قالوا: فمر ابنيك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا، قال: لو أمرتهما قاتلت قالوا: فقم معنا مقامًا تحض الناس فيه على القتال معنا قال: سبحان الله آمر الناس بما لا أفعله

---

(١) رواه مسلم ح: (١٨٥١).

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.

ولا أرضاه إذًا ما نصحت لله في عباده، قالوا: إذًا نكرهك، قال: إذا آمر الناس بتقوى الله ولا يُرضون المخلوق بسخط الخالق وخرج إلى مكة»[١].

وهذه الحادثة تبين بوضوح موقف محمد بن الحنفية وأنه لايرى الخروج على يزيد لما يرى في ذلك من المفاسد التي لا تحمد عقباها.

(١) البداية والنهاية لابن كثير: (٨/ ٢٣٦).

المبحث الثالث
كيفية تنصيب الإمام وحكم تعدد الحكام على الأقطار

يرى أهل السنة والجماعة أنَّ تنصيب الإمام لولاية أمر المسلمين يكون بإحدى الطرق التالية:

الأولى: الاختيار من قبل أولي الحل والعقد من العلماء والأعيان وأصحاب الرأي لمن يرون صلاحيته لتولي أمر المسلمين بعد توفر الشروط المطلوبة، وهذا ما حدث من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بعد وفاة رسول الله ﷺ فقد اختاروا أبابكر الصديق وبايعوه بالخلافة في سقيفة بني ساعدة وسمعوا له وأطاعوا.

الثانية: أن يقوم الإمام بتولية العهد لرجل يختاره لولاية المسلمين بعد وفاته فتصبح طاعته واجبة كما حدث لأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ الذي عهد بالخلافة بعده إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فأطاعه الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ.

الثالثة: أن يتغلب رجل على الأمر ويتم له التمكين ويستتب له الأمر وتحصل له الشوكة وتخضع له الرقاب فهذا تجب طاعته وتصبح ولايته شرعية لما في ذلك من المصالح العظيمة من حقن الدماء والقضاء على الفتن وحماية الثغور وضبط الأمن بحفظ الأعراض والأموال.

يقول الإمام الشافعي: «كل من غلب على الخلافة بالسيف

حتى يسمى خليفة ويجتمع الناس عليه فهو خليفة»[١].

ويقول الحافظ بن حجر: «وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأنَّ طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء»[٢].

ويقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ: «الأئمة مجمعون من كل مذهب على أنَّ من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء ولولا هذا ما استقامت الدنيا لأنَّ الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد ولا يعرفون أحدًا من العلماء ذكر أنَّ شيئًا من الأحكام لايصح إلاَّ بالإمام الأعظم»[٣].

ويقول الشوكاني ـ رحمه الله ـ:

«وأما بعد انتشار الإسلام واتساع رقعته وتباعد أطرافه فمعلوم أنه قد صار في كل قطر أو أقطار الولاية إلى إمام أو سلطان وفي القطر الآخر كذلك ولا ينعقد لبعضهم أمر ولا نهي في قطر الآخر وأقطاره التي رجعت إلى ولايته، فلا بأس بتعدد الأئمة والسلاطين ويجب الطاعة لكل واحد منهم بعد البيعة له على أهل القطر الذي ينفذ فيه أوامره ونواهيه وكذلك صاحب القطر الآخر، فإذا قام من ينازعه في القطر الذي ينفذ فيه أوامره ونواهيه وكذلك صاحب القطر الآخر، فإذا قام من ينازعه في القطر الذي قد ثبتت فيه ولايته وبايعه

(١) فتاوى الشافعي للبيهقي: (١/٤٤٨).
(٢) فتح الباري لابن حجر: (١٣/٧).
(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية: (٧/ ٢٣٩).

أهله كان الحكم فيه أن يقتل إذا لم يتب، ولا تجب على أهل القطر الآخر طاعته ولا الدخول تحت ولايته لتباعد الأقطار فإنه قد لا يبلغ إلى ما تباعد منها خبر إمامها أو سلطانها ولا يدري من قام منهم أو مات، فالتكليف بالطاعة والحال هذا تكليف بما لايطاق وهذا معلوم لكل من له إطلاع على أحوال العباد والبلاد، فاعرف هذا فإنه المناسب للقواعد الشرعية، والمطابق لما تدل عليه الأدلة ودع عنك ما يقال في مخالفته فإنَّ الفرق بين ماكانت عليه الولاية الإسلامية في أول الإسلام وماهي عليه الآن أو ضح من شمس النهار ومن أنكر هذا فهو مباهت لا يستحق أن يخاطب بالحجة لأنه لا يعقلها»[١]، ومن المعلوم أنَّ هذا الكلام يعني وجوب بيعة الإمام الذي حصل عليها بالقهر والغلبة لا بالاختيار كما حصل في بيعة عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ليزيد بن معاوية فقد بايعه كرهًا، وقد روى البخاري في الصحيح قال: «لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ينصب لكل غادر لواءً يوم القيامة**» وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله، وإني لا أعلم أحدًا منكم خلعه ولا تابع في هذا الأمر، كانت الفيصل بيني وبينه»[٢].

---

(١) السيل الجرَّار للشوكاني: (٤/ ٥١٢).
(٢) رواه البخاري ح: (٧١١١).

المبحث الرابع
من هو الإمام أو الحاكم الذي تجب طاعته

يقسم علماء أهل السنة والجماعة الحكام إلى ثلاثة أقسام:

الأول: حاكم مسلم على هدي نبوة وخلافة راشدة فهذا تجب طاعته باتفاق.

الثاني: حاكم مسلم يحكم بشريعة الله لكنه يقع في بعض المخالفات وتحدث منه بعض المظالم فيجب نحوه ما يلي:

١ـ عدم جواز الخروج عليه أو الدعاء عليه.

٢ـ وجوب طاعته في المعروف وفيما ليس فيه معصية لله عزَّوجل.

٣ـ الدعاء له لما في ذلك من المصلحة المتعدية فإنَّ صلاحه صلاح للأمة.

٤ـ مناصحته ولكن من ذوي الحظوة والقبول من العلماء، وعلى أن تكون سرًّا؛ حتى يرجى قبولها، فإنَّ النفوس جُبلَتْ على عدم قبول النصح العلني؛ لما في ذلك من تَنَقُّصٍ لها أمام الآخرين، وربما اتخذ الحاكم موقفًا عدائيًا من الناصح حتى يرد الحق، ولا يقبل النصيحة، وإذا كان الغرض من النصح هو القبول فإن هذا الغرض لا يتحقق إذا كان الإنكار علنيًا وبالتالي فلا مصلحة منه بالإضافة إلى مخالفته للتوجيه النبوي الكريم في قوله ﷺ: «**من أراد أن ينصح لذي سلطان بأمر فلا يبده علانية ولكن ليأخذ بيده فيخلو به**

فإن قبل منه فذاك وإلَّا فقد أدَّى الذي عليه»(١).

الثالث: حاكم كافر يعلن كفره البواح الذي عندنا فيه من الله برهان ويحارب دين الله وأولياء الله فهذا يجب خلعه باتفاق ولكن بشرطين لابدَّ من توفرهما:

١ـ أن يكون لدي القائم بخلعه قدرة على ذلك فإن لم يكن لديه قدرة فإنَّ الخروج عليه يصبح حرامًا لما يترتب على ذلك من استئصال الخير وخلو الساحة لهذا الحاكم الكافر. فإنَّ وجود أهل الخير والفضل في ظل الحاكم الكافر يحصل به تحقيق سنة ربانية وهي سنة التدافع، والذي يقول عنها سبحانه: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لفسدت الأرض﴾ فيدفع الله الشر الممثل في الحاكم الكافر بالخير الممثل في وجود الصالحين وقيامهم بالدعوة إلى الله وتعليم الناس الخير، لكن هؤلاء الصالحين إذا قاموا بالخروج على الحاكم وليس لديهم مقدرة، أدَّى ذلك إلى القضاء عليهم وبقاء الشر دون تغيير أو علاج.

٢ـ ألاَّ يترتب على الخروج على ذلك الحاكم الكافر مفسدة أعظم من مفسدة وجوده كإضاعة الأموال وإراقة الدماء وانتهاك الأعراض وانفراط عقد الأمن.

ودليل جواز الخروج على الحاكم الكافر بعد توفر الشرطين السابق ذكرهما ما ثبت في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: «دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج كتاب السنة: (٢/ ٥٢١).

علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: «**إلَّا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**»[1].

(١) رواه البخاري ح: (١٨) ومسلم ح: (١٧٠٩).

المبحث الخامس
كيفية الإنكار على الحكام

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عنوان سعادة الأمة وسبب خيريتها وهو من مسئولية كل مسلم، ولكن هذا يختلف بحسب أحوال أصحاب المنكر، فقد قسمهم الإمام الماوردي في الأحكام السلطانية إلى قسمين:

الأول: أن يكون أصحاب المنكر آحادًا متفرقين وأفرادًا متبددين لم يتحزَّبوا فيه ولم يتظافروا عليه، وهم رعية مقهورون، وأفذاذ مستضعفون، فلا خلاف بين الناس أنَّ أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع المكنة والظهور واجب على من شاهد ذلك من فاعليه، وسمعه من قائليه.

الثاني: أن يكون فعل المنكر من جماعة قد تضافرت عليه، وعصبة قد تحزبت ودعت إليه، فقد اختلف الناس في وجوب إنكاره على مذاهب شتى فقالت طائفة من أصحاب الحديث وأهل الآثار: لا يجب إنكاره والأولى بالإنسان أن يكون كافًّا وممسكًا وملازمًا لبيته وادعًا غير منكر ولا مستفز[1].

وقد ذكر أقوالاً كثيرة لبعض الطوائف إلاَّ أنَّ خلاصة كلامه بأنَّ المنكر إذا وقع من الآحاد المتفرقين من الرعية والذين لم يتقلدوا ولاية على الآخرين فهؤلاء يجب أمرهم ونهيهم بما يردعهم ويقضي

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي: (٢٤٧).

على منكرهم لتحقق المصلحة وانتفاء الضرر والمفسدة، أما إذا وقع المنكر من الجماعة أو الحزب أو الأنظمة التي لها سلطة على الآخرين فإنَّ الإنكار في هذه الحالة لا يجب، ولعل ما ذهب إليه الجمهور من عدم إيجابه ناتج من عدم المصلحة من ذلك الإنكار، بل ربما لحق الضرر بالمُنْكِر مع استمرارية المُنْكَر وعدم زواله، وإلحاق الضرر بالداعية إضرارٌ بالدعوة لا يجب أن يُذهب إليه.

إنَّ غياب فقه الإنكار وجهل المسلم به من الأمراض التي شاعت في هذا الزمان مما زاد حجم البلاء وأتاح الفرصة لأعداء الإسلام حيث استثمروه في تصفية الإسلام وتشويه صورته والقضاء على دعاته ووصفهم بالإرهاب والتطرف وإثارة البلابل وإحداث القلاقل، وإلاَّ ما الذي سيحدث من الفوائد من قيام بعض الدعاة بإنكار بعض الأمور بصورة علنية سوى التسبب في منعهم وحرمانهم من الخير وحرمان الناس من الاستفادة من علومهم ومعارفهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «فإنَّ الأمر والنهي وإن كان متضمنًا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورًا به بل يكون محرمًا إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشرع»[1].

ويقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «إنَّ النبي ﷺ شرع لأمته إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله، فإنه لا

---

(١) الحسبة لشيخ الإسلام ابن تيمية: (١٢٢).

يسوغ إنكاره وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ فقال: «**لا ما أقاموا فيكم الصلاة**» وقال: «**من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعن يدًا من طاعته**»، ومن تأمل ما جرى على الإسلام من الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه، ويواصل ابن القيم كلامه عن درجات إنكار المنكر فيقول: فإنكار المنكر أربع درجات:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده

الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه

فالدرجتان الأوليان مشروعتان والثالثة موضع اجتهاد والرابعة محرمة، فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة إلاَّ إذا نقلتهم منه إلى ماهو

أحب إلى الله ورسوله كرمي النشاب وسباق الخيل ونحو ذلك وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب، أو سماع مكاء وتصدية فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد وإلاَّ كان تركهم على ذلك خيرًا من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك فكان ماهم فيه شاغلاً لهم عن ذلك وكما إذا كان الرجل مشتغلاً بكتب المجون ونحوها، وخفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر فدعه وكتبه الأولى، و هذا باب واسع وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه يقول: «مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي فأنكرت عليه وقلت له: إنما حرَّم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم»[١].

أما ما يتحجج به من يرى الإنكار علنًا وهو حديث النبي ﷺ الذي قال فيه: «سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»[٢] فإنَّ الحديث لم يتضمن مشروعية الإنكار العلني وإنما بين فضل القيام إلى الإمام الجائر والإنكار عليه وليس القيام إلى الناس والإنكار على الإمام، أمامهم، ولا شكَّ أنَّ هذا من أعلى مقامات الدين ولا يقدر عليه إلاَّ الأفراد من الرجال ولذلك استحق فاعله أن يكون سيدًا للشهداء، خصوصًا إذا علم أنَّ أمره أو نهيه سيؤدي إلى ردع هذا الحاكم، وأن الضرر لن يتجاوزه إلى غيره أما

---

(١) إعلام الموقعين لابن القيم: (٣/ ١٢).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك وحسنه الألباني برقم: (٣٥٦٩).

إذا ترتب على كلمته للحق ضرر على غيره فإنَّ ذلك لا يجوز.

يقول ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ:

«الجائز من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلاطين التعريف والوعظ وأما تخشين القول نحو ياظالم، يامن لا يخاف الله فإن كان ذلك يحرك فتنة يتعدى شرها إلى الغير لم يجز، وإن لم يخف إلَّا على نفسه فهو جائز عند جمهور العلماء»[(١)][(٢)].

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح: (١/ ١٩٧).

(٢) للمزيد من هذه القضايا انظر: كتاب معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة للشيخ عبد السلام بن برجس.

الباب الثامن
الإيمان بالقضاء والقدر

وتحته مباحث:

المبحث الأول: **وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.**

المبحث الثاني: **الفرق التي ضلت في القدر.**

المبحث الثالث: **الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي.**

المبحث الرابع: **مراتب القضاء والقدر.**

المبحث الخامس: **ثمار الإيمان بالقضاء والقدر.**

المبحث الأول
وجوب الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر من أصول الإيمان التي لايصح إيمان العبد إلاَّ بها، ويعرف أهل اللغة القضاء بأنه الحكم ومنه قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[١] أي حكم، ويكون بمعنى الفراغ تقول: قضيت حاجتي، أي فرغت منها، وضربه فقضى عليه أي: قتله، كأنه أفرغ منه، وقضى نحبه، أي مات، ويأتي بمعنى الصنع والتقدير ومنه قوله تعالى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾[٢] ومنه القضاء والقدر[٣].

وعلى هذه المعاني تدور معظم التعريفات التي ذكرها أهل اللغة[٤] كما يُعرِّفون القدر بأنه القَدْر بإسكان الدال أي التقدير وتبيين كمية الشيء، وبفتحها ـ القَدَرْ ـ لغتان معروفتان القضاء والحكم ومبلغ الشيء[٥].

وقد اختلفت عبارات العلماء ـ رحمهم الله ـ في تعريف القضاء والقدر شرعًا أكثرها دلالة ووضوحًا قول السفاريني ـ رحمه الله ـ: «القدر عند السلف ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.
(٢) سورة فصلت، الآية: ١٢.
(٣) الصحاح للجوهري: (٦/ ٢٤٦٣).
(٤) انظر: النهاية لابن الأثير: (٤/ ٧٨)، والمفردات للراغب الأصفهاني: (٤٠٦).
(٥) النهاية لابن الأثير: (٤/ ٢٢).

الأبد وأنَّ الله عزَّوجل قدَّر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدَّرها»[١]، وعن تلازم القضاء والقدر يقرر الإمام الخطابي: «أن أحدهما لاينفك عن الآخر فيقول: القضاء والقدر أمران لاينفك أحدهما عن الآخر، لأنَّ أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه»[٢].

والإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان ومبنى من مبانيه العظام، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ حول قصة جبريل ـ عليه السلام ـ ومجيئه إلى النبي ﷺ وتعليمه للصحابة أمور دينهم قوله ﷺ لجبريل حين سأله عن الإيمان: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى**»[٣] وهو أي القضاء والقدر من الأمور الغيبية التي حجب الله علمها عن البشر، وأوجب على المسلم الإيمان الجازم والتسليم الكامل بها، لما يرتبه ذلك من السعادة للعبد في الدنيا والآخرة، فإنه إذا علم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، اطمأنَّ قلبه وهدأت نفسه ورضي بتقدير مولاه، فتخف عليه وطأة المصائب، ويتعلق القلب بالرب عزَّوجل، وهذا مقتضى الإيمان.

(١) لوامع الأنوار للسفاريني: (١/٢٤٨).
(٢) معالم السنن للخطابي: (٤/٣٢٣).
(٣) رواه البخاري ح: (٥٠)، ومسلم ح: (٨).

وعلى هذا درج سلف هذه الأمة في الإيمان بالقضاء والقدر باعتباره ركنًا من أركان الإيمان لايتم إلاَّ به وهذا طرف من أقوالهم:

أولاً: أقوال بعض الصحابة:

١ـ قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «والله لايطعم رجل طعم الإيمان حتى يؤمن بالقدر ويقر ويعلم أنه ميت مخرج وأنه مبعوث بعد الموت»[١].

٢ـ قال عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ «القدر نظام التوحيد فمن وحَّد الله ولم يؤمن بالقدر كان كفره بالقضاء نقضًا للتوحيد ومن وحَّد الله وآمن بالقدر كان العروة الوثقى التي لاانفصام لها[٢].

ثانيًا: أقوال بعض التابعين:

١ـ قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «من كذَّب بالقدر فقد كذَّب بالحق إنَّ الله قدَّر خلقًا وقدَّر أجلاً وقدَّر بلاءً وقدَّر مصيبة وقدَّر معافاة، من كذَّب بالقدر فقد كذَّب بالقرآن»[٣].

٢ـ قال زيد بن علي ـ رضي الله عنه ـ وقد جاءه رجل فقال له: يازيد أنت تزعم أنَّ الله أراد أن يعصى، فقال له زيد: أيعصى الله عنوة؟ قال: فأقبل يخطر أي يعدو[٤].

---

(١) شرح أصول أهل السنة والجماعة: (١٢١٨).

(٢) الشريعة للآجري: (٢١٥).

(٣) شرح أصول أهل السنة والجماعة: (١٢٥٤).

(٤) شرح أصول أهل السنة والجماعة: (١٢٦٤).

ثالثًا: أقوال بعض علماء أهل السنة والجماعة:

١ـ سئل الإمام أحمد عن القدر فقال: القدر قدَّره الله على العباد[١] وعن وجوب الإيمان به يقول: «ونؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره وحلوه ومره»[٢] ويقول أيضًا: «القدر خيره وشره، وقليله وكثيره، وظاهره وباطنه، وحلوه ومره، ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيئه، وأوله وآخره، من الله قضاءً قضاه، وقدرًا قدَّره عليهم، لايعدو واحد منهم مشيئة الله عزَّوجل، ولا يجاوز قضاؤه، بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له، واقعون فيما قُدِّر عليهم لا محالة، وهو عدل منه عزَّ ربنا وجلَّ»[٣].

٢ـ ويوضح الإمام الآجري بشيء من التفصيل عقيدة أهل السنة والجماعة فيقول: «مذهبنا في القدر أن نقول إنَّ الله عزَّوجل خلق الجنة، وخلق النار، ولكل واحد منهما أهلاً، وأقسم بعزته أنه يملأ جهنم من الجِنَّة والناس أجمعين، ثم خلق آدم ـ عليه السلام ـ، واستخرج من ظهره ذرية هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم جعلهم فريقين؛ فريق في الجنة، وفريق في السعير، وخلق إبليس وأمره بالسجود لآدم ـ عليه السلام ـ، وقد علم أنه لا يسجد، للمقدور الذي قد جرى عليه من الشقوة التي سبقت في العلم من الله عزَّوجل، لا معارض لله الكريم في حكمه، يفعل في خلقه ما يريد عدلاً من ربنا، قضاؤه وقدره، وخلق آدم وحواء عليهما السلام،

---

(١) مسائل إسحاق بن هانيء: (٢/ ١٥٥).
(٢) طبقات الحنابلة لأبي يعلى: (١/ ٣٤٣).
(٣) المصدر السابق: (١/ ٣٥).

وللأرض خلقهما أسكنهما الجنة وأمرهما أن يأكلا منها رغدًا ما شاءا، ونهاهم عن شجرة واحدة ألا يقرباها، وقد جرى مقدوره أنهما سيعصيانه بأكلهما من الشجرة، فهو تبارك وتعالى في الظاهر نهاهما وفي الباطن من علمه قد قدَّر عليهما أنهما يأكلان منها: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1]، لم يكن لهما بدٌّ من أكلهما؛ سببًا للمعصية، وسببًا لخروجهما من الجنة، إذ كانا للأرض قد خلقا، وأنه سيغفر لهما بعد المعصية، كل ذلك سابق في علمه لا يجوز أن يكون شيء في جميع خلقه إلاَّ وقد جرى مقدوره فيه، وأحاط به علمًا قبل كونه، أنه سيكون، خلق الخلق كما شاء، لما شاء، فجعلهم شقيًّا وسعيدًا قبل أن يخرجهم إلى الدنيا وهم في بطون أمهاتهم، وكتب آجالهم، وكتب أرزاقهم، وكتب أعمالهم، ثم أخرجهم إلى الدنيا، وكل إنسان يسعى فيما كتب له وعليه، ثم بعث رسله وأنزل عليهم وحيه وأمرهم بالبلاغ لخلقه فبلغوا رسالات ربهم، ونصحوا قومهم فمن جرى في مقدور الله عزَّوجل أن يؤمن آمن، ومن جرى في مقدوره أن يكفر كفر، قال الله عزَّوجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾[2].

أحب من أراد من عباده فشرح صدره للإيمان والإسلام، ومقت آخرين فختم على قلوبهم، وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم، فلن يهتدوا أبدًا، يضل من يشاء ويهدي من يشاء: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.
(٢) سورة التغابن، الآية: ٢.

وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[(١)].

الخلق كلهم له، يفعل في خلقه ما يريد، غير ظالم لهم، جلَّ ذكره عن أن ينسب ربنا إلى الظلم، إنما يظلم من يأخذ ما ليس له بملك، وأما ربنا عزَّوجل فله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، وله الدنيا والآخرة، جل ذكره وتقدَّست أسماؤه، أحب الطاعة من عباده، وأمر بها، فَجَرَتْ ممن أطاعه بتوفيقه لهم، ونهى عن المعاصي وأراد كونها من غير محبة منه لها، ولا بالأمر بها، تعالى الله عزَّوجل أن يأمر بالفحشاء، أو يحبها، وجل ربنا وعز أن يجري في ملكه ما لم يرد أن يجري، أو شيء لم يحط به علمه قبل كونه، قد علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم وبعد أن يخلقهم، قبل أن يعملوا قضاءً وقدرًا، قد جرى القلم بأمره عزَّوجل في اللوح المحفوظ بما يكون من بر أو فجور، يثني على من عمل بطاعته من عبيده، ويضيف العمل إلى العباد، ويعدهم عليه الجزاء العظيم، ولولا توفيقه لهم ما عملوا ما استوجبوا به منه الجزاء: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[(٢)] قال محمد بن الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ هذا مذهبنا في القدر[(٣)].

٣ـ قال الإمام ابن بطة في الشرح والإبانة وهو يوضح معتقد أهل السنة والجماعة في مسألة القدر.

«ثم من بعد ذلك الإيمان بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره،

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.
(٢) سورة الحديد، الآية: ٢١.
(٣) الشريعة للآجري: (١٥٠).

وقليله وكثيره، مقدور واقع من الله عزَّوجل على العباد، في الوقت الذي أراد أن يقع لا يتقدم الوقت ولا يتأخر على ما سبق بذلك علم الله، وأنَّ ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما تقدم لم يكن ليتأخر، وما تأخر لم يكن ليتقدم، في هذا من صحة الدلائل وثبوت الحجة في جميع القرآن وأخبار المصطفى ﷺ ما لا يمكن دفعه، ولا يُقْدر على رده إلاَّ بالافتراء على الله عزَّوجل، ومنازعته في قدره. وإلى ماوصفناه، دعت الرسل وأنزلت الكتب، وعليه اتفق أهل التوحيد ممن أقرَّ لله بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية من ملك مقرب ونبي مرسل، منذ كان الخلق إلى انقضائه مجمعون على أنه ليس شيء كان، ولا شيء يكون في السموات ولا في الأرض إلاَّ ما أراده الله عزَّوجل وشاءه وقضاه، والخلق كلهم أضعف في قوتهم وأعجز في أنفسهم من أن يحدثوا في سلطان الله عزَّوجل شيئًا يخالفون فيه مراده ويغلبون مشيئته ويردون قضاءه.

فالإيمان بهذا حق لازم فريضة من الله عزَّوجل على خلقه فمن خالف ذلك أو خرج عنه أو طعن فيه ولم يثبت المقادير لله عزَّوجل ويضيفها ويضيف المشيئة إليه فهو أول الزنادقة[١].

٤ـ لخص شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مذهب أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر فقال: «مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب ما دلَّ عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وهو أنَّ الله خالق كل شيء ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع

---

(١) الشرح والإبانة لابن بطة العكبري: (٢١٣).

الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون شيء إلاَّ بمشيئته وقدرته لا يمتنع عليه شيء شاءه بل هو القادر على كل شيء ولا يشاء شيئًا إلاَّ وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها.

وقد قدَّر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم قدَّر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وكتب ذلك وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء وقدرته على كل شيء ومشيئته لكل ما كان وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون»[(١)].

أدلة أهل السنة والجماعة على الإيمان بالقضاء والقدر:

استدل أهل السنة والجماعة على الإيمان بقضاء الله وقدره بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ كما يلي:

أولاً: من القرآن الكريم:

١ ـ قال عزَّوجل: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾[(٢)] قال ابن جرير الطبري عند تفسير هذه الآية: «يقول تعالى ذكره: وكل شيء كان أو هو كائن أحصيناه فأثبتناه في أم الكتاب وهو الإمام المبين قاله مجاهد وقتادة[(٣)].

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٨/ ٤٤٩).

(٢) سورة يٰس، الآية: ١٢

(٣) جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري: (١٢/ ٦٥٥)

٢ـ قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[١] قال ابن كثير: «أي قدّر قدرًا وهدى الخلائق إليه ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أهل السنة على إثبات قدرالله السابق لخلقه وهو علمه بالأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل تبرمها وردوا بهذه الآية وما شاكلها من الآيات وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفرق القدرية الذين نبغوا في أواخر عهد الصحابة»[٢].

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾[٣] قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره: «إنَّ الله كان علمه معه قبل أن يخلق الأشياء كلها فأتم في علمه أن يخلق خلقًا ويأمرهم وينهاهم ويجعل ثوابًا لأهل طاعته وعقابًا لأهل معصيته فلما أتم ذلك الأمر قدَّره فلما قدَّر كتب وغاب عليه فسماه الغيب وأم الكتاب وخلق الخلق على ذلك الكتاب أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وما يصيبهم من الأشياء من الرخاء والشدة من الكتاب الذي كتبه أنه يصيبهم»[٤].

ثانيًا: من السنة المطهرة:

١ـ ماثبت في الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك**

---

(١) سورة القمر، الآية: ٤٩

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٤/٢٦٧).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٨.

(٤) جامع البيان عن تأويل القرآن لابن جرير الطبري: (١٢/١٥).

فينفخ فيه بالروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فوالذي لا إله غيره إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلاَّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»(١).

٢ـ ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ النبي ﷺ قال: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**»(٢).

٣ـ ما أخرجه مسلم أيضًا عن طاووس أنه قال: «أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر» قال: وسمعت عبدالله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز**»(٣).

ووجه الاستدلال في الأحاديث السابقة ظاهر وهو سبق علم الله وتقديره لمقادير الخلائق وأعمالهم وآجالهم وما سيصيرون إليه من سعادة أو شقاء.

وهذا العلم هو صفة كمال في الرب عزَّوجل، إذ أنه لا يعلم ما سيكون في المستقبل إلاَّ الله ولو لم يعلم الله ذلك لاستوى في

---

(١) رواه البخاري ح: (٣٢٠٨)، ومسلم ح: (٢٦٤٣).
(٢) رواه مسلم ح: (٢٦٥٣).
(٣) رواه مسلم ح: (٢٦٥٥).

العلم مع الناس الذين لا يعلمون ما سيكون إلاَّ بعد وقوعه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، ولكن هذا العلم سابق لا سائق بمعنى أنَّ علم الله الذي سبق هو أنَّ فلانًا من الناس سيخلق وأنه سيبلغ سن التكليف وسيقوم بأداء أوامر الله وترك محارمه باختياره وبموجب ما منحه الله من قدرة على سلك سبيل الخير أو الشر فاختار سبيل الخير وترتب على هذا علم الله بأنه سيكون سعيدًا من أهل الجنة فهذا العلم السابق غير سائق لهذا الإنسان بحيث لايقدر على فعل الشر ولكنه اختار فعل الخير بنفسه.

والله سبحانه منزه عن الظلم ولن يسألهم يوم القيامة عما قضاه وقدره عليهم ولكنه سيسألهم عما عملوه بأيديهم وكسبوه بأفعالهم فقد ذكر ابن عبدالبر أنَّ عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ كتب إلى الحسن البصري ـ رحمه الله ـ فقال: «إنَّ الله لا يطالب خلقه بما قضى عليهم وقدَّر ولكن يطالبهم بما نهاهم عنه وأمر فطالب نفسك من حيث يطالبك ربك والسلام ثم قال ابن عبد البر: وروينا أنَّ الناس لما خاضوا في القدر بالبصرة اجتمع مسلم بن يسار ورفيع أبو العالية فقال أحدهما لصاحبه: تعال حتى ننظر فيما خاض الناس فيه هذا الأمر قال: «فقعدا ففكرا فاتفق رأيهما أنه يكفي المؤمن من هذا الأمر أن يعلم أنه لن يصيبه إلاَّ ما كتب الله عليه، وأنه مجزي بعمله»[١].

ولأنَّ مسألة القدر من أخطر المسائل العقدية التي حار فيها النظار والعقلاء في القديم والحديث وظل فيها أكثر الخلق حيث لم

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر: (١٨/١٨).

يصلوا فيها إلى اليقين والصواب لأنهم التمسوا الهدى من غير مظانه فتعبوا وأتبعوا وضلوا وأضلوا وأساءوا الظن بربهم فوقعوا في الضلال البعيد، وبما أنَّ الله سبحانه قد وفق أهل السنة والجماعة للحق في هذه المسألة وفي جميع المسائل لاتباعهم لكتاب الله عزَّوجل والسنة رسوله ﷺ على فهم سلف هذه الأمة.

فسوف أتحدث في المباحث التالية بشيء من التفصيل عن الفرق التي ضلَّت في القدر، وعن بطلان من يحتج بالقدر على فعل المعاصي وغير ذلك.

المبحث الثاني
الفرق التي ضلت في القدر

أولاً: الجبرية:

«وهم الذين غلوا في إثبات القدر حتى سلبوا العبد قدرته، وأنكروا أن يكون للعبد فعل، وأنَّ كل ما خلقه الله فقد رضيه وأحبه، وأنَّ العباد ليسوا بحاجة إلى العمل، ولا إلى الأخذ بالأسباب، لأنَّ ما قُدِّر عليهم سوف يأتيهم، كما يزعمون أنَّ العباد مجبورون على أفعالهم وأنَّ الإنسان لا قدرة له تؤثر في الفعل، بل هو كالريشة في مهب الريح ولذا تركوا العمل احتجاجًا بالقدر وإذا عملوا أعمالاً مخالفة للشرع تنصلوا عن المسؤولية فيها واحتجوا بالقدر على وقوعها»[١].

وقد ترتب على هذه العقيدة الفاسدة تعطيل قدرات الإنسان نحو الإصلاح واستسلامه لشهواته وغرائزه والوقوع في الذنوب والمعاصي، باعتبار أنَّ ذلك مما قدَّره الله عليه وأحبَّه ورضيه وأنَّ كل ما قدَّره على العبد سيصيبه فلا داعي لمجاهدة النفس لأنَّ ذلك لا يرد القدر، وأدى ذلك إلى ترك الأعمال الصالحة والأخذ بالأسباب المنجية من عذاب الله من صلاة وصيام ودعاء؛ لأنه لا فائدة من ذلك، فالذي قدَّره الله كائن لا ينفع معه دعاء ولا عمل، فتركوا الأمر بالمعروف، ولم يهتموا بإقامة الحدود؛ لأنَّ الجرائم في

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي: (٢١١).

نظرهم قدر لابد منها، ورضخوا لظلم الظالمين وإفساد المفسدين؛ لأنَّ ما يفعله هؤلاء قد قدَّره الله وأراده، وقد تصدى علماء أهل السنة والجماعة لمزاعم هؤلاء الضالين بالإبطال والرد لما ذهبوا إليه، وبيَّنوا أنَّ الإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرة على الإتيان بها دلَّ على ذلك الشرع والعقل، فمن الشرع آيات وأحاديث كثيرة وردت مثبتة لقدرة الله عزَّوجل وقدرة الإنسان.

أولاً: من القرآن الكريم:

١ـ قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾[1].

٢ـ قال تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[2] ووجه الاستدلال في الآيتين وغيرهما في القرآن كثير أنَّ الله أثبت للعباد مشيئة في اتخاذ السبيل الموصل إلى مرضاته وأثبت لهم مشيئة في إتيان زوجاتهم في موضع الحرث كيف شاءوا.

ثانيًا: من السنة المطهرة:

قوله ﷺ: : **«ما منكم من أحد إلَّا وقدكتب مقعده من الجنة ومقعده من النار» فقالوا: يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»**[3].

ثالثًا: من جهة العقل:

فإنَّ كل إنسان يعلم أنَّ له مشيئة وقدرة يفعل بهما مايريد

---

(١) سورة النبأ، الآية: ٣٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

(٣) رواه البخاري ح: (٤٩٤٩)، ومسلم ح: (٢٦٤٧).

ويترك ما يريد وأنه يفرق بين ما وقع بإرادته ويتحمل مسئوليته وبين ما يقع قسرًا عليه ولا يشعر بالمسؤلية تجاهه كالاحتلام في نهار رمضان الذي لاتأثير له على الصيام لوقوعه بدون اختيار من العبد بينما لو تعمد الإنسان الاستمناء حتى يمنى فإنَّ صومه يفسد لوقوع ذلك باختياره، ولكن هذه المشيئة والقدرة داخلة ضمن مشيئة الله وقدرته على حد قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾[(١)].

فالآية أثبتت للعبد مشيئة داخلة ضمن مشيئة الرب عزَّوجل.

قال الإمام أحمد وقد سئل عن رجل يقول: «إنَّ الله جبر العباد على أفعالهم فقال: هكذا لا نقول وأنكر هذا وقال: يضل من يشاء ويهدي من يشاء وجاءه رجل فقال: إنَّ فلانًا قال: إنَّ الله جبر العباد على الطاعة قال: بئس ما قاله»[(٢)].

وقد هتك الله أستار هؤلاء بما سلطه عليهم من شهب الحق التي قذفهم بها العلامة ابن القيم في كتابه شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل حيث يقول ـ رحمه الله ـ عن الجبرية في مقدمة ذلك الكتاب:

«ثم نبغت طائفة أخرى من القدرية ـ يعني الجبرية ـ فنفت فعل العبد وقدرته واختياره وزعمت أنَّ حركته الاختيارية، ولا اختيار كحركة الأشجار عند هبوب الرياح، وكحركات الأمواج وأنه على الطاعة والمعصية مجبور، وأنه غير ميسر لما خلق له، بل هو عليه

---

(١) سورة التكوير، الآية: ٢٨، ٢٩.

(٢) كتاب السنة للخلال: (٣/ ٥٥٠).

مقسور ومجبور، ثم تلاهم أتباعهم على آثارهم مقتدين، ولمنهاجهم مقتفين، فقرروا هذا المذهب وانتموا إليه وحققوه، وزادوا عليه أنَّ تكاليف الرب تعالى لعباده كلها تكليف بما لا يطاق، وأنها في الحقيقة كتكليف المقعد أن يرقى إلى السبع الطباق فالتكليف بالإيمان وشرائعه تكليف بما ليس من فعل المعبد ولا هو له بمقدور وإنما هو تكليف بفعل من هو متفرد بالخلق وهو على كل شيء قدير فكلف عباده بأفعال، وليسوا عليها قادرين ثم عاقبهم عليها وليسوا في الحقيقة لها فاعلين إلى أن قال: ـ رحمه الله ـ: «وزعمت هذه الفرقة أنهم بذلك للسنة ناصرون وللقدر مثبتون والأقوال أهل البدع مبطلون هذا وقد طووا بساط التكليف وطففوا في الميزان غاية التطفيف وحمَّلوا ذنوبهم على الأقدار وبرأوا أنفسهم في الحقيقة من فعل الذنوب والأوزار وقالوا: إنها في الحقيقة فعل الخلاق العليم وإذا سمع المنزة لربه هذا قال: سبحانك هذا بهتان عظيم، فالشرك ليس إليك والخير كله في يديك.

ولقد ظنت هذه الطائفة بالله أسوأ الظن، ونسبته إلى أقبح الظلم، وقالوا: إنَّ أوامر الرب ونواهيه كتكليف العبد أن يرقى فوق السموات، وكتكليف الميت إحياء الأموات، والله يعذب عباده أشد العذاب على فعل ما لا يقدرون على تركه، وعلى ترك ما لا يقدرون على فعله، بل يعاقبهم على نفس فعله الذي هو لهم غير مقدور، وليس أحد ميسر له بل هو عليه مقهور، ونرى العارف منهم ينشد مترنمًا، ومن ربه متشكيًا ومتظلمًا:

ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له   إيــاك إيــاك أن تبتــل بــالمــاء

وليس عند القوم في نفس الأمر سبب ولا غاية، ولا حكمة، ولا قوة في الأجسام، ولا طبيعة، ولا غريزة، فليس في الماء قوة التبريد، ولا في النار قوة التسخين، ولا في الأغذية قوة الغذاء، ولا في الأدوية قوة الدواء، ولا في العين قوة الإبصار، ولا في الأذن قوة السماع، ولا في الأنف قوة الشم، ولا في الحيوان قوة فاعلة، ولا جاذبة، ولا ممسكة، ولا دافعة، والرب تعالى لم يفعل شيئًا بشيء، ولا شيئًا لشيء، فليس في أفعاله باء تسبيب، ولا لام تعليل، وما ورد من ذلك فمحمول على باء المصاحبة، ولام العاقبة، وزادوا على ذلك أنَّ الأفعال لا تنقسم في نفسها إلى حسن وقبيح، ولا فرق في نفس الأمر، بين الصدق والكذب، والبر والفجور، والعدل والظلم، والسجود للرحمن والسجود للشيطان، والإحسان إلى الخلق والإساءة إليهم، ومسبة الخالق والثناء عليه، وإنما نعلم الحسن من ذلك من القبيح بمجرد الأمر والنهي، ولذلك يجوز النهي عن كل ما أمر به، والأمر بكل ما نهى عنه ولو فعل ذلك لكان هذا قبيحًا وهذا حسنًا»[١].

ثانيًا: القدرية:

وهم نفاة القدر الذين يزعمون أنَّ الله لايعلم الأشياء قبل حصولها، ولا يعلم الأشياء إلاَّ بعد وقوعها، وإذا أمر عباده ونهاهم، فهو لا يعلم من يطيعه منهم ومن يعصيه، فإذا أطاعوه أو عصوه علم بعد ذلك السعداء منهم والأشقياء، وأنَّ الإنسان هو الذي يوجد فعل

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم: ص(٥).

نفسه من غير إرادة الله أو علمه به[١]. وقد نشأ هذا القول الباطل في أواخر عهد الصحابة، وأول من قال به معبد الجهني[٢] ويسمى هؤلاء بالقدرية الأولى، ثم نقله عنه رؤوس الاعتزال كواصل بن عطاء[٣] وعمرو بن عبيد[٤] الذين أقروا بعلم الله عزَّوجل ولكنهم أنكروا خلقه لأفعال العباد وزعموا أنَّ العباد هم الخالقون لأفعالهم وتبنوا هذه البدعة حتى عرفوا عند أهل السنة والجماعة بالقدرية وهم المعتزلة[٥].

---

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني : (١/ ٤٣)، والفرق بين الفرق للبغدادي: (١٨).

(٢) معبد الجهني أول من تكلم في القدر قال أبوحاتم قدم المدينة فأفسد فيها ناسًا وقال: الدار قطني حديثه صالح ومذهبه ردييء وقال الأوزاعي: أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانيًا فأسلم ثم تنصر أخذ عنه معبد الجهني، وقد اختلفوا في موته فقيل صلبه عبد الملك بن مروان وقيل قتله الحجاج بعد أن عذَّبه سنة: (٨٠هـ) تهذيب التهذيب: (١٠/ ٢٥).

(٣) واصل بن عطاء البصري كان يتجنب النطق بالراء، لأنه يلثغ بها وكان رجلاً فصيحًا بليغًا كان في مجلس الحسن البصري فلما قال بأنَّ الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر وأنه في منزلة بين منزلتين طرده الحسن البصري وانضم إليه عمرو بن عبيد واعتزلا مجلسه فسموا المعتزلة مات سنة: (١٣١)، سير أعلام النبلاء للذهبي: (٥/ ٤٦٤).

(٤) عمرو بن عبيد القدري كبير المعتزلة قال النسائي: ليس بثقة كان زاهدًا قال فيه المنصور: كلكم يمشي رويد كلكم يطلب صيد، غير عمرو بن عبيد.

قال الذهبي: اغتر بزهده وأغفل بدعته مات سنة: (١٤٤)، سير أعلام النبلاء للذهبي: (٦/ ١٠٤).

(٥) انظر: مقالات لأبي الحسن: (٢/ ٢٢١)، وشرح الأصول الخمسة: (٢٩٩).

وقد أنكر الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ هذه الضلالة ونهوا الناس عن استماع هذه البدعة المنكرة استجابة لخبر النبي ﷺ الدال على نبوته والذي يرويه ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**لكل أمة مجوس ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر، إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم**»(١)، كما نصَّ الأئمة على كفر هذه الطائفة التي لم تقر بعلم الله عزَّوجل وممن نصَّ على كفرهم الإمام مالك والشافعي وأحمد(٢).

والقدرية إنما ذهبوا إلى ما ذهبوا إليه بقصد تنزيه الله وتقديسه، فزعموا أنَّ الله شاء الإيمان من الكافر ولكن الكافر شاء الكفر وحجتهم أنَّ ذلك يؤدي إلى الظلم إذ كيف يشاء الله الكفر من الكافر ثم يعذبه عليه.

ولكنهم كما يقول الطحاوي كالمستجير من الرمضاء بالنار لأنهم هربوا من شيء فوقعوا فيما هو شرٌّ منه، ويلزمهم أنَّ مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالى فإنَّ الله شاء الإيمان منه على قولهم والكافر شاء الكفر فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالى وهذا من أقبح الإعتقاد وهو قول لا دليل عليه بل هو مخالف للدليل(٣).

والحقيقة أنَّ مشيئة الله الكونية القدرية ليست ظلمًا كما يدَّعي

---

(١) أخرجه أبوداود في السنن ح: (٤٦٦٩١)، والحاكم في المستدرك: (١/ ٨٥)، ورواه اللالكائي برقم: (١١٥٠)، وهو ضعيف وقال عنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، حسن برقم: (٥١٦٣).

(٢) انظر: فتاوى لابن تيمية: (٨/ ٢٨٨).

(٣) شرح الطحاوية وبه بتحقيق التركي والأرناءوط: (١/ ٣٢١).

القدرية تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فله الحجة البالغة والعدل المطلق والحكمة في كل شيء ففي صحيح مسلم عن أبي الأسود الدؤلي، قال: قال لي عمران بن الحصين ـ رضي الله عنه ـ «أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قد قضى عليهم من قدر ما سبق أو فيما يستقبلونه به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم، فقلت: بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم، قال: أفلا يكون ظلمًا، ففزعت فزعًا شديدًا، وقلت: كل شيء خلق الله، وملك يده، فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال لي: يرحمك الله إني لم أرد بما سألتك إلاَّ لأحرز عقلك إنَّ رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يارسول الله أرأيت ما يعلم الناس اليوم ويكذبون فيه أشيء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم فقال: لا بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك من كتاب الله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾[1]»[2].

وممن تصدَّى لهذه الفرقة الضالة وفنَّد ضلالاتها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث يصفهم بأنهم مجوس هذه الأمة فيقول: «وسلف الأمة وأئمتها متفقون أيضًا على أنَّ العباد مأمورون بما أمرهم الله به منهيون عما نهاهم الله عنه، ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة، ومتفقون أنه لاحجة لأحد على الله في واجب تركه ولا محرم فعله بل لله الحجة البالغة

(١) سورة الشمس، الآية: ٧، ٨.
(٢) رواه مسلم ح: (٢٦٥٠).

على عباده ومن احتج بالقدر على ترك مأمور أو فعل محذور أو دفع ماجاءت به النصوص في الوعد والوعيد فهو أعظم ضلالاً وافتراءً على الله ومخالفة لدين الله من أولٰئك القدرية أنَّ أولٰئك مشبهون بالمجوس وقد جاءت الآثار فيهم أنهم مجوس هذه الأمة كما روى ذلك عن ابن عمر وغيره من السلف»[١].

وبتأمل أقوال كل طائفة يتضح أنَّ كلا من الجبرية والقدرية قد أصابت من وجه وأخطأت من وجه آخر.

فالجبرية أصابت في جعلها أفعال العباد مخلوقة لله ولكنها أخطأت في سلب العبد قدرته على فعل أفعاله.

والقدرية أصابت في تحميل العبد مسئولية فعله ولكنها أخطأت في سلب الرب عزَّوجل قدرته الغالبة على خلق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد في حين وفق الله أهل الحق وهم الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة والمنعم عليهم وفقهم إلى القول الحق المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فأثبتوا للرب سبحانه خلقه وفعله وأثبتوا أيضًا للعبد فعله ومسئوليته عن تصرفاته.

وفي هذا المعنى يقول شارح الطحاوية: «وقال أهل الحق أفعال العباد بها صاروا طائعين وعصاة وهي مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه وتعالى منفرد بخلق المخلوقات لا خالق لها سواه فالجبرية غلوا في إثبات القدر فنفوا صنع العبد أصلاً كما غلت المشبهة[٢] في

---

(١) فتاوى لابن تيمية: (٨/ ٤٥٢).

(٢) التشبيه هو التسوية بين الخالق والمخلوق وهو مذموم لأنه معارض لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [سورة الشورى، الآية: =

إثبات الصفات فشبهوا والقدرية نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة بل أردأ من المجوس من حيث أنَّ المجوس أثبتوا خالِقَيْنِ وهؤلاء أثبتوا خالِقِين، وهدى الله المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط المستقيم فكل دليل صحيح يقيمه الجبري فإنما يدل على أنَّ الله خالق كل شيء وأنه على كل شيء قدير، وأنَّ أفعال العباد من جملة مخلوقاته وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا يدل على أنَّ العبد ليس بفاعل في الحقيقة ولا مريد ولا مختار وأنَّ حركاته الإختيارية بمنزلة حركة المرتعش وهبوب الرياح وحركات الأشجار.

وكل دليل يقيمه القدري فإنما يدل على أنَّ العبد فاعل لفعله حقيقة وأنه مريد له مختار له حقيقة وأنَّ إضافته ونسبته إليه إضافة حق ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى، أو أنه واقع بغير مشيئته وقدرته، فإذا ضممت ما مع كل طائفة من الحق إلى حق الأخرى فإنما يدل ذلك على مادلَّ عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال وأنَّ العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم وهذا هو الواقع في نفس الأمر، فإنَّ أدلة الحق لاتتعارض والحق يصدق بعضه بعضًا»[(١)].

= ١١] وأول من قال بالتشبيه غلاة الروافض ويسمون البيانية، الذين زعموا أنَّ الله على صورة إنسان في أعضائه وأنه يغني كله إلاَّ وجهه، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، انظر: الفرق بين الفرق: (٢١٤)، والملل والنحل: (١/ ١٠٦).

(١) شرح الطحاوية بتحقيق التركي، الأرناؤط: (٢/ ٦٤٠).

المبحث الثالث
الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي

الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية قديم، قدم بدء الخليقة، وأول من قال به إبليس أعاذنا الله منه، فإنه بعد أن رفض أمر الله بالسجود لآدم ـ عليه السلام ـ واستحق غضب الله عليه بلعنه وطرده من رحمته وإخراجه من الجنة، لم يندم، ولم يتب، ولم يرجع على نفسه باللائمة، بل زاد عصيانًا وتمردًا؛ بإضافة غوايته إلى الله فقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾[1] وهكذا تلقى كثير من البشر هذه الحجة الباطلة عن إبليس فغرقوا في الضلال ووقعوا في المعاصي والآثام ثم احتجوا على ذلك بالحجة الإبليسية وقالوا: هذا شيء قدَّره الله علينا فحملوا مسئولية خطاياهم على ربهم، وهو الذي نهاهم عن تلك المعاصي وقد أخبر الله عن أمثال هؤلاء فقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾[2] وقد أسقط الله حجتهم وأبطل مقالتهم ووصفها بأنها محض التخرص والقول على الله بلا علم فقال: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[3] وأخبر سبحانه أنَّ القول على الله بلا علم من أكبر الكبائر بل قرنه

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٣٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٥.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٢٠

بالشرك به سبحانه وجعله من جملة الفواحش المحرمة، فقال عزَّوجل: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1]، ولا شكَّ أنَّ هذه الحجة الداحضة والزعم الباطل قول على الله بغير علم يستحق قائله ومعتقده أشد العذاب كما استحقه إبليس اللعين نعوذبالله منه، وقد بنى هؤلاء الجهلة قولهم الباطل على شبهات عرضت لهم وقذفها الشيطان في أذهانهم وسوَّل لهم وأملى لهم محتجين بالحديث الصحيح الذي احتج فيه آدم بالقدر حينما لامه على خروجه وذريته من الجنة، وهذا الحديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم ونصه:

«احتج آدم وموسى وفي لفظ أنَّ موسى قال: يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا من الجنة بخطيئته فقال موسى: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه وكتب لك التوراة بيده فبكم تجد فيها مكتوبًا وعصى آدم ربه فغوى قبل أن أخلق؟ قال: بأربعين سنة، وفي لفظ قال: أفتلومني على أمر قد قدَّره الله عليَّ قبل أن أخلق بأربعين سنة، قال: فحجَّ آدم موسى»[2].

وهذا الحديث إنما تضمن التسليم للقدر عند وقوع المصائب وعدم جواز لوم المذنب التائب، وذلك لأنَّ المؤمن مأمور بأن يحتج

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

(٢) رواه البخاري ح: (٣٤٠٩)، ومسلم ح: (٢٦٥٢).

بالقدر عند نزول المصائب التي تقع عليه بغير اختيار لكن لا يجوز له أن يحتج بالقدر على المعايب التي تقع منه بتعمد وإصرار، وذلك إنما حجَّ آدم موسى، لكونه قد تاب من الذنب واستسلم للمصيبة التي لحقت به وبذريته بسبب أكله من الشجرة، وموسى ـ عليه السلام ـ لم يلم آدم على ذنبه الذي تاب منه لأنَّ آدم لم يكن متلبسًا بالذنب حال الاحتجاج، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وموسى ـ عليه السلام ـ أعلم بالله من أن يلوم تائبًا على ذنب قد تاب منه وغفر الله له، فكيف بأبيه آدم الذي تاب عليه ربه واجتباه، وإنما لامه لأجل ما لحق ذريته من المصائب المستمرة، والتي تقتضي نوعًا من الجزع يؤدي إلى لوم من كان سببًا فيها كمن يلام من أوقع أصحابه في مشقه أو تسبب لهم في مصيبة ولهذا لم يقل له موسى لماذا أكلت من الشجرة، وإنما قال: لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة، وبهذا يظهر أنَّ احتجاج آدم على موسى بالقدر إنما كان على ما لحقه وذريته من المصائب لا على ماوقع منه من الذنب الذي قد محته التوبة، وعلى هذا يبطل الاحتجاج على المعاصي بهذا الحديث.

قال بعض السلف: «اثنان أذنبا آدم وإبليس ، فآدم تاب فتاب الله عليه واجتباه، وإبليس أصرَّ على معصيته واحتج عليها بالقدر فلعنه الله وطرده، فمن تاب من ذنبه فقد شابه أباه آدم، ومن شابه أباه فما ظلم، ومن أصرَّ على الذنب واحتجَّ عليه بالقدر فقد شابه إبليس عدوه ومن شابه عدوه فقد ظلم وظلم وظلم».

والاحتجاج بالقدر على المعاصي كما هو مردود بالشرع فإنه

مرفوض أيضًا بالعقل فإنَّ الظالم إذا أوقع ظلمًا على آخر والقاتل إذا سفك دم آخر والسارق إذا سرق مال غيره، ثم احتج على ذلك بالقدر لم يقبل منه ذلك، ولو وقعت عليه تلك الأمور ثم احتج عليه بالقدر لم يقبل هو ذلك، ولو كان القدر حجة لفاعل الفواحش والظالم لم يحسن أن يلوم أحدٌ أحدًا، ولا يعاقب أحدٌ أحدًا، وكان للإنسان أن يفعل في دم غيره وماله وأهله ما يريد من الظلم والقبح ثم يحتج بأنَّ ذلك مقدر عليه وهذا ما لايقوله العقلاء، ولذا قال بعض أهل العلم لبعض هؤلاء: أنت عند الطاعة قدري وعند المعصية جبري، أي أنَّ هؤلاء إذا أمروا بطاعة الله قالوا: حتى يقدرها الله علينا، وإذا نهوا عن معصية الله قالوا: نحن مجبورون عليها، وهذا هو عين التناقض والمعاندة والمكابرة نسأل الله العافية والسلامة.

ومما يتذرع به المحتجون بالقدر على المعاصي ما ورد في الحديث الصحيح المتفق عليه، عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه بالروح ويؤمر بأربع كلمات، يكتب رزقه وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلاَّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل

الجنة فيدخلها»[١].

ووجه استدلالهم أنهم يحتملون أنَّ الله قد كتب عليهم الشقاء، ولذا فهم يسيرون فيما كتبه الله عليهم، وهذه حجة واهية واستدلال باطل فإنَّ ما كتبه الله على العبد في بطن أمه غيب لا يعلمه إلاَّ الله، وما داموا لا يعلمون فلماذا لا يحتملون أنَّ الله قد كتبهم من السعداء ولكنهم يخالطون أنفسهم وينهزمون أمام شهواتهم، ثم يحملون مسئولية ذلك على علم الله المغيب عنهم ويقولون على الله بغير علم.

والمؤمن بمقتضي إيمانه بالله يجب أن يعتقد أنَّ الله لايظلم مثقال ذرة وأنه مأمور بطاعة الله وترك معصيته وهذا داخل في حدود مسئوليته واستطاعته، أما علم الله عزَّوجلَّ فهو من صفاته الكاملة التي تليق بجلاله، ولا يعلمه أحد من الخلق إلاَّ بعد وقوعه وإرادة العبد لما يفعله سابقه لفعله وهي غير مبنية على العلم بقدر الله فادعاؤه أنَّ الله قدَّر عليه كذا وكذا ادِّعاء باطل لأنه ادِّعاء لعلم الغيب، والغيب لايعلمه إلاَّ الله فبطلت بذلك حجته.

---

(١) رواه البخاري ح: (٣٢٠٨)، ومسلم ح: (٢٦٤٣).

المبحث الرابع
مراتب القضاء والقدر

يرى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أنَّ الإيمان بالقضاء والقدر على درجتين، وكل درجة تتضمن حقيقتين:

فالدرجة الأولى في نظره ـ رحمه الله ـ: هي الإيمان بأنَّ الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم، الذي هو موصوف به أزلاً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي، والأرزاق، والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق، فأول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ماهو كائن إلى يوم القيامة، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام وطويت الصحف، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[1] وقال عزَّوجل: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾[2].

أما الدرجة الثانية: فهي الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأنَّ ماشاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة، ولا سكون، إلاَّ بمشيئة الله سبحانه، لايكون في ملكه ما لا يريد، وأنه سبحانه على كل

(١) سورة الحج، الآية: ٧٠.
(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٢.

شيء قدير، من الموجودات والمعدومات فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلاَّ والله خالقه سبحانه، لا خالق غيره، ولا رب سواه، ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين، والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولايحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولايأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد. والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن، والكافر، والبر، والفاجر، والمصلي، والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم[1].

وحاصل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أنَّ الإيمان بالقضاء والقدر يشتمل على أربع مراتب:

المرتبة الأولى: العلم

وهي الإيمان بأنَّ الله عالم بكل شيء جملة وتفصيلاً، وأنَّ علمه محيط بما كان، وما سيكون، ومالم يكن لو كان كيف يكون، ويعلم الموجود والمعدوم، والممكن والمستحيل، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وقد علم سبحانه جميع خلقه قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم، وآجالهم، وأقوالهم، وأفعالهم، وجميع حركاتهم، وسكناتهم، وأدلة هذه المرتبة مستفيضة في الكتاب والسنة من مثل قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ

---

(١) الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية: (٣٥٢).

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾(١) وقوله سبحانه: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٢) وقوله عزَّوجل: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾(٣).

وفي صحيح مسلم يقول عليه الصلاة والسلام: «**مامنكم من نفس إلَّا وقد عُلم منزلها من الجنة والنار**»(٤).

المرتبة الثانية: الكتابة:

وهي الإيمان بأنَّ الله كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ وأدلة هذه المرتبة كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾(٥) وقوله عزَّوجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾(٦) وقوله سبحانه عن محاجة موسى ـ عليه السلام ـ لفرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾(٧)

(١) سورة الحشر، الآية: ٢٢.
(٢) سورة سبأ، الآية: ٣.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.
(٤) رواه مسلم ح: (٢٦٤٧).
(٥) سورة الحج، الآية: ٧٠.
(٦) سورة يس، الآية: ١٢.
(٧) سورة طه، الآية: ٥١، ٥٢.

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعرشه على الماء**»(١).

وفي الصحيحين يقول النبي ﷺ: «**ما من نفس منفوسة إلاَّ وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار، إلاَّ قد كتبت شقية أو سعيدة**»(٢)

المرتبة الثالثة: المشيئة

وهي الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن، وليس من حركة أو سكون، ولا هداية أو إضلال، إلاَّ بمشيئته سبحانه، وهذه المشيئة تجتمع مع القدرة الشاملة فيما كان وفيما سيكون، وتفترقان فيما لم يكن، وليس بكائن، فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ كونه فإنه لايكون لعدم مشيئته لا لعدم قدرته عليه، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾(٣) فعدم اقتتالهم ليس لعدم قدرة الله ولكن لعدم مشيئته ذلك.

وأدلة هذه المرتبة في القرآن والسنة كثيرة جدًا منها: قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾(٤) وقوله سبحانه: ﴿وَمَا

(١) رواه مسلم ح: (٢٦٥٣).
(٢) رواه البخاري ح: (١٣٦٢) ومسلم ح: (٢٦٤٧).
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.
(٤) سورة القصص، الآية: ٢٩.

﴿تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[1].

وفي صحيح مسلم يقول عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**»[2].

المرتبة الرابعة: الخلق

وهي الإيمان بأنَّ جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها وصفاتها وحركاتها وأنَّ كل من سوى الله مخلوق من العدم كائن بعد أن لم يكن ودليل هذه المرتبة من القرآن قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[4].

ومن السنة المطهرة: ما أخرجه البخاري من حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله يصنع كل صانع وصنعته**»[5].

وعلماء أهل السنة والجماعة يقررون أنَّ أفعال العباد كلها من الطاعات والمعاصي، داخلة في خلق الله وقضائه وقدره، فقد علم الله ما سيخلقه في عباده وعلم ماهم فاعلون، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وخلقهم الله كما شاء، ومضى فيهم قدره، فعملوا على

(١) سورة التكوير، الآية: ٢٩.

(٢) رواه مسلم ح: (٢٦٥٥).

(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٩٦.

(٥) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد: (٢٥).

النحو الذي شاءه فيهم، وهدى الله من كتب لهم السعادة وأضل من كتب لهم الشقاوة وعَلِمَ أهل الجنة فيَسَّرهُم لعمل أهلها نسأل الله أن يجعلنا منهم وعلِمَ أهل النار ويسَّرهُم لعمل أهلها، نعوذُ بالله من ذلك، وهذا لا يعني أنَّ العبد مجبور على التصرف، مسلوب الإرادة، بل هو الفاعل على الحقيقة بمحض مشيئته وقدرته، ولكنها غير خارجة عن قدرة الله ومشيئته، بل هي تابعة لها.

وقد حرَّر شيخ الإسلام مذهب أهل السنة والجماعة في أفعال العباد بقوله: «مذهب أهل السنة والجماعة أنَّ الله تعالى خالق كل شيء وربه ومليكه، لا رب غيره، ولا خالق سواه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، والعبد مأمور بطاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ، منهيٌّ عن معصيته، ومعصية رسوله ﷺ، فإن أطاع كان ذلك نعمة، وإن عصى كان مستحقًا للذم والعقاب، وكان لله عليه الحجة البالغة، ولا حجة لأحد على الله تعالى، وكل ذلك كائن بقضائه وقدره ومشيئته وقدرته، لكن يحب الطاعة، ويأمر بها، ويثيب أهلها على فعلها ويكرمهم، ويبغض المعصية، وينهى عنها، ويعاقب أهلها وينهاهم، وما يصيب العبد من النعم فالله أنعم بها عليه، وما يصيبه من الشر فبذنوبه ومعاصيه.»[١]

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٨/ ٦٣).

المبحث الخامس
ثمار الإيمان بالقضاء والقدر

عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر ذات أثر عظيم في حياة الإنسان يترتب عليها سعادته في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا لا يأسىٰ على ما فاته ولا يحزن على مالم ينله، وأيضًا لا يفرح بما حصل عليه من الحظوظ الفانية، وإنما تراه منهمكًا في تتبع مراضي ربه، حريصًا على فعلها، وتراه حذرًا من الوقوع في مساخطه، يدفع أقدار الشر بالخير، وأقدار الجوع بالطعام، وأقدار المرض بالدواء، وأقدار الفقر بالسعي في طلب الرزق، يأخذ بالأسباب ولا يعتمد عليها، بل يطلب من ربه العون على ما عجز منها، وحين استقرت هذه العقيدة في نفوس الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أثمرت ثمار الخير، وسكبت في قلوبهم السكينة وأفاضت على نفوسهم الطمأنينة، وعرفوا ما هو المطلوب منهم، فقاموا به خير قيام فارتاحت أعصابهم، وانطلقوا يبلغون دين الله، ويفتحون القلوب قبل البلدان، بعد أن استصغروا جميع قوى الأرض، بما أفاضته عقيدة الإيمان بالقدر على قلوبهم من الشجاعة، فحققوا من الأعمال مايشبه الخوارق، وأنجزوا من الفتوحات ما لايزال مثار دهشة وإعجاب جميع أمم الأرض، في زمن قياسي قصير، وما ذاك إلاَّ ثمرة الإيمان بالقدر، وعلمهم أنَّ ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، وأنَّ أهل الأرض لو اجتمعوا عليهم لم يضروهم إلاَّ بشيء قد كتبه الله عليهم، وأنَّ نفوسهم لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، ويمكن حصر

ثمار الإيمان بالقدر في التالي:

١ـ الشعور بالرضا والارتياح إزاء كل الأقضية والأقدار، لعلم المؤمن أنَّ هذه المقادير إنما تجري بأمر الله وتدبيره، وأنَّ الخير دائمًا فيما يختاره الله، يقول عزَّوجل: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾[1]. فيصبر عند المصيبة، ويشكر عند النعمة، ويكون بهذا سالكًا سبيل المؤمنين بين منزلتي الصبر والشكر، التي لايسلكها إلاَّ الأخيار في هذه الأمة، ففي الحديث الصحيح يقول عليه الصلاة والسلام: «**عجبًا للمؤمن إنَّ أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلَّا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له**»[2].

إنَّ المحروم من عقيدة الإيمان بالقدر لا يصمد أمام الشدائد، ولا يتحمل ضغط المصائب، وقد يصاب بعضهم بالأمراض، وقد يلجأون إلى تعاطي المخدرات، أو إلى الانتحار هروبًا من واقعهم المر الذي يعانون منه، والعياذ بالله.

٢ـ السلامة من الأمراض الاجتماعية الخطيرة، التي تفتك بالمجتمعات وتؤدي إلى الضغائن، وزرع الأحقاد، مثل الحسد، وكراهية الناس من أجل ما أنعم الله به عليهم من النعم، وتمني زوالها، وذلك لأنَّ المؤمن يعلم أنَّ هذا الرزق الذي أعطاهم الله، إنما كان بقدره سبحانه، وأنَّ حرمانه من مثل هذا الرزق أيضًا

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.
(٢) رواه مسلم ح: (٢٩٩٩).

إنما كان بقدر الله، ولذا يرضى بقضاء الله ولا يعترض على قدره، فيثمر ذلك راحة وسرورًا وأمنًا وطمأنينة.

٣ـ التوكل الصادق والاعتماد الجازم على الله في جميع الأحوال، وفي كل الظروف، ليقين العبد أنه لا يصيبه إلاَّ ما قدَّر الله عليه، وأنَّ الناس لا يملكون لأنفسهم ـ فضلاً عن غيرهم ـ نفعًا ولا ضرًا ولا يملكون موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

٤ـ التسليم لله عزَّوجل وترك الاعتراض على أحكامه سبحانه، وتقبل ذلك بصدر رحب، وقلب منشرح، مما يُضفي على القلب الأمن، واليقين وينزع منه القلق والاضطراب.

٥ـ الجدية في مباشرة الأمور، والحزم في معالجة القضايا، وعدم العجز والكسل والانهزام أمام الأحداث، والحرص على ما ينفع استجابة للتوجيه النبوي الكريم: «**إحرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء لا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان**»[1].

٦ـ علو الهمة وعدم اليأس والاستسلام للواقع السيء، فيدفعه إيمانه بالقدر إلى بذل الجهد، واستنفاد الطاقة في سبيل نصرة الحق والدفاع عنه.

٧ـ عزة النفس، والشعور بالقناعة، والتحرز من الخضوع لغير الله، لأنَّ المؤمن يعلم أنَّ رزقه مكتوب ومقدر، وأنه لن يموت إلاَّ بعد استكمال هذا الرزق وأنَّ العباد مهما حاولوا منع الرزق عنه فإنَّ

---

(١) رواه مسلم ح: (٢٦٦٤).

رزقه الذي قد كتبه الله له سوف يصل إليه، ولذا لا داعي للقلق، أو الخضوع والتكالب والحرص، وإنما يجب تعلق القلب بالله عزَّوجل، الذي بيده مقاليد الأمور وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

٨ـ سكون القلب وطمأنينة النفس، وهي من أعظم ما يحرص الإنسان على تحقيقه لأنه عنصر السعادة، وسبب الارتياح، فهي هدف كل كائن، ومطلب كل حيٍّ، وما التطاحن والتنافس المشهود في كافة بقاع الأرض إلاَّ لتحقيق أكبر قدر من السعادة، ولكنهم أخطأوا الطريق إليها، حين خلت قلوبهم من عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، ولذا تجد عند عوام المسلمين من اليقين والراحة ما لا تجده عند كبار الأغنياء والأثرياء، حتى شهد بذلك أحد الغربيين ويدعي «بودلي» الذي كتب مقالاً بعنوان: «عشت في جنة الله» يقول فيه: «في عام ١٩١٨، ولَّيت ظهري العالم الذي عرفته طيلة حياتي ويمَّمت شطر أفريقيا الشمالية الغربية، حيث عشت بين الأعراب في الصحراء، وقضيت هناك سبعة أعوام، أتقنت خلالها لغة البدو، وكنت أرتدي زيهم، وآكل من طعامهم، وأتخذ مظاهرهم في الحياة، وغدوت مثلهم أمتلك أغنامًا، وأنام كما ينامون في الخيام، وقد تعمقت في دراسة الإسلام، حتى إنني ألفت كتابًا عن محمد ﷺ عنوانه «الرسول» وكانت تلك الأعوام السبعة التي قضيتها مع هؤلاء البدو الرُّحَّل من أمتع سني حياتي، وأحفلها بالسلام والاطمئنان والرضا بالحياة.

وقد تعلمت من عرب الصحراء كيف أتغلب على القلق، فهم بوصفهم مسلمين يؤمنون بالقضاء والقدر، وقد يساعدهم هذا الإيمان على العيش في أمان، وأخذ الحياة مأخذًا سهلاً هينًا، فهم لايتعجلون أمرًا، ولا يلقون بأنفسهم بين براثن الهمِّ قلقًا على أمر، إنهم مؤمنون أنَّ ماقدَّر يكون، وأنَّ الفرد منهم لن يصيبه إلاَّ ما كتب الله له، وليس معنى هذا أنهم يتواكلون أو يقفون في وجه الكارثة، مكتوفي الأيدي كلا»[١].

---

(١) دع القلق وابدأ الحياة: ديل كارنيجي: (٢٩٠)، نقلاً من كتاب الإيمان والقدر للشيخ محمد إبراهيم الحمد: (٣٢،٣٣).

الباب التاسع
بقية أركان الإيمان

وتحته مباحث:

المبحث الأول: **الإيمان بالملائكة**

المبحث الثاني: **الإيمان بالكتب المنزلة**

المبحث الثالث: **الإيمان بالرسل**

المبحث الأول
وجوب الإيمان بالملائكة

الملائكة نوع من المخلوقات، خلقهم الله عزَّوجل، وأوكل إليهم القيام ببعض المهمات والوظائف، والإيمان بهم والتصديق بوجودهم جزء من عقيدة المؤمن، وهو ركن من أركان الإيمان لايصح إيمان العبد إلاَّ به، وقد خلقهم الله وجبلهم على الطاعة والعبادة وعدم المعصية يقول عزَّوجل: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾(١) ويقول سبحانه: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾(٢) ويقول تعالى في شأنه: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧﴾(٣) وأهل السنة والجماعة يقررون وجوب الإيمان بهم وبوظائفهم حسبما جاءت به النصوص الصحيحة، وأنهم ليسوا بنات الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيرًا، كما زعم المشركون ذلك وأوضح الله كذبهم بقوله سبحانه: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ۝١٩﴾(٤)، وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٩، ٢٠.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٦، ٢٧.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ١٩.

وقد استدل علماء أهل السنة والجماعة على ذلك بالكتاب والسنة، ومن ذلك:

أولاً: من القرآن الكريم:

١ـ قوله تعالى: ﴿۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[١].

٢ـ قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[٢].

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[٣]

ثانيًا من السنة المطهرة:

حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وفيه أنَّ جبريل عليه السلام، حين سأل النبي ﷺ عن الإيمان، أجابه بقوله: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[٤].

المهمات التي أوكلت إلى الملائكة:

لقد أوضحت الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة أنَّ الله قد كلف الملائكة بالقيام ببعض المهام والوظائف، وأنهم يقومون بتلك الأعمال من غير تقصير أو تهاون، ووفقًا لأمر الله عزَّوجل،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

(٤) رواه البخاري ح: (٥٠)، ومسلم ح: (٨).

وهذه الوظائف كثيرة ومتنوعة ومنها مايلي:

١ـ التعظيم لله عزَّوجل بالتنزيه والتسبيح: وهذه الوظيفة الرئيسية للملائكة، ولذا قدمها الله في الذكر على الإيمان في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾(١) رغم أنَّ الإيمان أساس في قبول جميع الأعمال ولكن لاختصاص الملائكة بالتسبيح جرى تقديمه في الذكر للاختصاص، وهذا التسبيح يصدر عن الملائكة بصفة دائمة وبطريقة تلقائية، ومن غير ملل أو سآمة يقول عزَّوجل: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾(٢) ويقول سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ۩ ﴿٣٨﴾﴾(٣).

٢ـ إبلاغ الأنبياء والرسل بالرسالات السماوية، فهم حملة الوحي الذي ينزله الله على من وقع عليه الاختيار من البشر ليكون نبيًا أو رسولاً وهذا من أعظم أنواع التكريم، لأنَّ أمانة إبلاغ الوحي من المهام العظيمة التي تتطلب قدرًا كبيرًا من الأمانة، ولذا وصف الله جبريل ـ عليه السلام ـ بالروح الأمين يقول سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾﴾(٤).

---

(١) سورة غافر، الآية: ٧
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٩
(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٨
(٤) سورة الشعراء، الآية: ١٩٢ـ ١٩٥.

٣ـ تدوين أعمال المكلفين: فقد وكَّل الله بكل إنسان اثنين من الملائكة أحدهما يسجل الحسنات والآخر يسجل السيئات قال عزَّوجل: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾[١]، وقد نقل ابن كثير ـ رحمه الله ـ خلاف العلماء في الكلام الذي تكتبه الملائكة وهل هو كل كلام يتلفظ به الإنسان كما هو قول الحسن وقتادة أم أنه الكلام الذي يترتب عليه ثواب أوعقاب كما هو قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ثم رجَّح ما دلت عليه الآية من عموم الكلام[٢].

٤ـ قبض أرواح البشر: وذلك عند انتهاء آجالهم وانقضاء أعمارهم حيث كتب الله الفناء والموت على جميع الخلق مهما كانت درجاتهم أو مراكزهم وجعل هذه المهمة لأحد الملائكة وهو ملك الموت يقول عزَّوجل: ﴿۞قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١١﴾[٣] ويقول سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ٦١﴾[٤].

٥ـ البحث عن مجالس الذكر وحف الجالسين فيها: فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون**

(١) سورة ق، الآية: ١٨.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير: (٤/ ٢٢٤).
(٣) سورة السجدة، الآية: ١١.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٦١.

أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلَّا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[(١)].

بل إنَّ من الملائكة من يقومون بالبحث عن مجالس الذكر ومتابعتها فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاء، يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضًا بأجنحتهم، حتى يملأوا مابينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، قال فيسألهم الله عزَّوجل ـ وهو أعلم بهم ـ من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك، قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك، قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا أي رب، قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك، قال: ومم يستجيرونني، قالوا: من نارك يارب قال: و هل رأوا ناري؟ قالوا: لا، قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك، قال: فيقول: قد غفرت لهم فأعطيتهم، ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا، قال: فيقولون: رب فيهم فلان عبد خطَّاء، إنما مرَّ فجلس معهم قال: فيقول وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[(٢)].

(١) رواه مسلم ح: (٢٦٩٩).

(٢) رواه البخاري ح: (٦٤٠٨)، ومسلم ح: (٢٦٨٩).

٦ـ تهنئة المؤمنين بدخول الجنة: وذلك بدخول الملائكة على أهل الجنة من كل باب واستقبالهم وإلقاء السلام عليهم وتهنئتهم بهذا الفوز العظيم الذي نسأل الله الكريم أن يجعلنا من أهله يقول تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾(١) ويقول سبحانه: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾(٢).

٧ـ القيام بتعذيب أهل النار: فهم خزنة جهنم والقائمون على تعذيب أهلها عياذًا بالله من ذلك وحتى يكون الألم شديدًا خلقهم الله في غاية الغلظة والشدة والقسوة يقول عزّوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾(٣) ويقول جل ذكره: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾(٤).

وجملة القول أنَّ للملائكة وظائف كثيرة ليس من السهل الإحاطة بها ونكتفي بما ذكرنا منها وبما قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «فإنهم موكلون بتخليق الإنسان ونقله من طور إلى طور وتصويره وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث، وكتابة رزقه، وعمله،

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧٣.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٣، ٢٤.
(٣) سورة التحريم، الآية: ٦.
(٤) سورة المدثر، ا لآية: ٢٧، ٣١.

وأجله، وسعادته، وشقاوته، وملازمته في جميع أحواله، وإحصاء أقواله وأفعاله، وحفظه في حياته، وقبض روحه عند وفاته، وعرضها على خالقه وفاطره، وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ وبعد البعث وهم الموكلون بعمليات النعيم والعذاب وهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله والمعلمون له ما ينفعه والقائلون الذابون عنه، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة، وهم الذين يعدونه بالخير، ويدعونه إليه، وينهونه عن الشر، ويحذرونه عنه، فهم أولياؤه، وأنصاره، وحفظته ومعلموه، وناصحوه، والداعون له، والمستغفرون له، وهم الذين يصلون عليه مادام في طاعة ربه، ويصلون عليه مادام يعلم الناس الخير ويبشرونه بكرامة الله ، تعالى في منامه وعند موته، ويوم بعثه وهم الذين يزهدونه في الدنيا ويرغبونه في الآخرة، وهم الذين يذكرونه إذا نسي وينشطونه إذا كسل ويثبتونه إذا جزع وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته، فهم رسل الله في خلقه وأمره وسفراؤه بينه وبين عباده، تتنزل بالأمر من عنده في أقطار العالم وتصعد إليه بالأمر(١).

أعداد الملائكة وحجم خلقتهم:

وردت الأدلة التي توضح بأنَّ عدد الملائكة من الكثرة بحيث لا يحصيهم إلاَّ الله يقول عزَّوجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا

---

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم: (٢/ ١٢٥).

كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾[١].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش، رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام، يقول ذلك الملك سبحانك حيث كنت»[٢] ويجب الإيمان ببعض الملائكة على وجه التفصيل كجبريل وميكائيل، وإسرافيل ومالك خازن النيران، ورضوان خازن الجنان، ورقيب وعتيد.

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٣١.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير برقم: (٤١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٨٥٣،ص٢٠٨).

المبحث الثاني
الإيمان بالكتب المنزلة

وجوب الإيمان بالكتب المنزلة

الكتب السماوية هي التي أنزلها الله على رسله وحيًا عن طريق جبريل ـ عليه السلام ـ متضمنة أوامر الله ونواهيه، وشرائعه وأحكام دينه، وهي كثيرة نزلت في أماكن متعددة وبلغات مختلفة، يقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾[١] وقد حوت هذه الكتب شرائع الأمم التي توافق أحوالهم وأزمنتهم يقول عزَّوجل: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾[٢] غير أنَّ جميع هذه الكتب جاءت لإثبات توحيدالله وعبادته وحده لاشريك له، يقول عزَّوجل: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾[٣]، ويقول عليه الصلاة والسلام: **«الأنبياء أخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد»**[٤].

وأهل السنة والجماعة يقررون وجوب الإيمان بجميع الكتب السماوية التي أنزلت على الرسل، سواءً ما ذكر منها في القرآن أو لم يذكر وأنها كلام الله سبحانه وتعالى، باعتبار ذلك ركن من أركان الإيمان، لا يتم إيمان العبد إلاَّ به، وقد استدلوا على ذلك بما يلي:

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٨.
(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.
(٤) رواه مسلم ح: (٢٣٦٥).

أولاً: من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾[1].

٢ـ قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾[2].

٣ـ قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤﴾[3].

ثانيًا: من السنة المطهرة:

حديث جبريل المشهور وفيه جواب الرسول ﷺ على جبريل عندما سأله عن الإيمان فقال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١ـ٤.

(٤) رواه البخاري ح: (٥٠)، ومسلم ح: (٨).

القــرآن الكـريـم

هو كلام الله المنزل على رسوله ﷺ عن طريق جبريل ـ عليه السلام ـ والمدون بالمصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس، وقد تكفل الله بحفظه فلا تمتد له الأيدي بالتحريف أو التبديل؛ لأنَّ الله أراد له الخلود والبقاء باعتباره آخر الكتب الذي أنزل على آخر الرسل محمد ﷺ، قال عزَّوجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[1] وقد حقق الله وعده بحفظ كتابه فها نحن اليوم وقد مضى على نزول القرآن أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمن وهو محروس من الزيادة والنقصان، رغم كيد الكائدين وحرص الشياطين على إطفاء نوره المبين، ولكن: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[2].

والقرآن هو الكتاب السماوي الناسخ لجميع الكتب السماوية التي نزلت قبله يقول عزَّوجل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[3] ولذا لا يسع أي إنسان على وجه الأرض من بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى قيام الساعة إلاَّ أن يؤمن به ويعمل بشريعته، ولن يقبل الله دينًا غير الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ يقول عليه الصلاة والسلام: «**والذي نفسي محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلَّا كان من أصحاب النار**»[4].

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٤) رواه مسلم ح: (١٥٣).

وقد وصفه الله بأوصاف كثيرة منها:

١ـ أنه معجز لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله أو بعشر سور منه أو بسورة واحدة يقول عزَّوجل: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾[1].

٢ـ أنه حق محض ليس للباطل إليه سبيل يقول سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾[2].

٣ـ أنه مشتمل على الآيات البينات والدلائل القاطعات على جميع قضايا العقيدة والعبادة والسلوك والأخلاق، يقول سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩﴾[3].

فتنة القول بخلق القرآن:

لعل من المناسب أن أشير باختصار إلى فتنة القول بخلق القرآن والتي عانت منها أمة الإسلام وعلماء أهل السنة والجماعة الشيء الكثير في أواخر عصر التابعين. وكان أول من أظهر هذه الفتنة الجهم بن صفوان، الذي قال بالعديد من الكفريات ومنها القول بخلق القرآن، وقد تلقى هذه المقالة الباطلة عن الجعد بن درهم[4] الذي طارده خلفاء بني أمية بعد إظهاره لهذه المقولة

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٤١، ٤٢.
(٣) سورة النحل، الآية: ٨٩.
(٤) الجعد بن درهم: من موالي بني مروان سكن دمشق، وكان يتردد على وهب =

الخبيثة، فهرب منهم وسكن في الكوفة، وهناك التقى بالجهم بن صفوان، وألقى عليه هذه الفكرة، ثم يسَّر الله هلاك الجعد بن درهم على يد خالد بن عبدالله القسري[(١)]، الذي قتله يوم عيدالأضحى بعد أن خطب الناس خطبة العيد ثم قال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضحٍ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلِّم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه في أصل المنبر وذلك سنة ١١٤هـ»[(٢)].

وقد أخذ الجعد بن درهم هذه البدعة عن رجل يقال له بيان بن سمعان[(٣)] الذي تلقاها عن طالوت[(٤)] ابن أخت لبيد بن

= ابن منبه يسأله عن الصفات مشككاً ثم خرج على الناس ببدعة خلق القرآن، ونفي صفات الرحمن وأنكر أن يكون الله قد كلم موسى تكليماً، أو اتخذ إبراهيم خليلاً، وقد قبض عليه خالد القسري وقتله يوم العيد عام ١١٤هـ. الكامل لابن الأثير (٤/ ٢٥٥).

(١) خالد بن عبدالله القسري: أحد خطباء العرب وكرمائهم كان والياً لبني أمية في عدة بلدان، ضحى بالجعد بن درهم يوم الأضحى وكان يرمى بالزندقة والميل إلى دين النصارى لأن أمه نصرانية، سجنه يوسف بن عمر الثقفي ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد. شذرات الذهب (١/ ١٧٠).

(٢) انظر: الشريعة للآجري (٣٢٨).

(٣) بيان بن سمعان النهدي: من بني تميم ظهر بالعراق وقال بإلهية علي ثم من بعده ابنه محمد بن الحنفية ثم في أبي هاشم بن محمد بن الحنفية كتب بهذا كتاباً إلى أبي جعفر الباقر يخبره بأنه نبي وقد قتله خالد القسري. انظر: الملل والنحل (١/ ٢٠٣).

(٤) طالوت: زنديق ينادي بزندقته، أخذ عن خاله لبيد بن الأعصم القول بخلق التوراة ثم زعم أن القرآن مخلوق، وتلقى بيان بن سمعان عنه ذلك وعلمه =

الأعصم[(١)] اليهودي الذي سحر النبي ﷺ ثم تقلَّد هذا المذهب بشر ابن غياث المريسي المتكلم شيخ المعتزلة، وأحمد بن أبي داؤد[(٢)]، وعندها أخذت هذه البدعة على أيديهما بعداً سياسياً حيث استطاعا إقناع الخليفة العباسي المأمون[(٣)] الذي كان قد تشبع بأفكار المعتزلة فتبنى هذا القول ـ أعني القول بخلق القرآن ـ وحمل الناس على القول به، وخاض معركة شرسة ضد أئمة السنة لإجبارهم على القول بخلق القرآن وتعرضوا للأذى الشديد والمحن القاسية من الحبس، والضرب، والقتل، بما لم يحدث له مثيل في تاريخ الأمة الإسلامية، وماكان هذا ليحدث لو أن علماء أهل السنة والجماعة كانوا هم السابقين إلى قلب الخليفة بإقناعه بالحق وحمله على الوقوف في وجه هذه البدعة المنكرة، ومحاربتها والقضاء على القائلين بها كما حصل للجعد بن درهم، والجهم بن صفوان، ولكن ذكاء بشر المريسي وابن أبي دؤاد، وقيامهما باستمالة قلب الخليفة

= الجعد بن درهم الذي نقله إلى الجهم بن صفوان ثم إلى بشر المريسي. الكامل لابن الأثير (٥/ ٣٩٤).

(١) لبيد بن الأعصم: اليهودي اللعين الذي سحر النبي ﷺ كان يقول بخلق التوارة، وقد ألقى هذا إلى ابن أخيه طالوت. الكامل (٥/ ٢٩٤).

(٢) أحمد بن أبي دؤاد: رأس المعتزلة وعدو إمام السنة أحمد بن حنبل وداعية القول بخلق القرآن له كرم وسخاء وأدب ومكارم لكنه أطفأ ذلك ببدعته وتأليبه على قتل الإمام أحمد، مات منكوباً في عهد المتوكل. سير أعلام النبلاء (١١/ ١٦٩).

(٣) الخليفة العباسي عبدالله بن هارون الرشيد، ولد سنة ١٧٠هـ، وقرأ العلم والأدب والفلسفة وفتن الناس ببدعة خلق القرآن وكانت له محاسن في حكمه وسياسته. سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٨٢).

المأمون، واستغلال سلطته في نشر هذا المذهب الباطل، وحمل الناس عليه بالقوة، أدَّى إلى ما حدث من بلاء على الأمة وعلمائها، ولعل في هذه الحادثة ما يدعو إلى العظة والاعتبار من قبل العاملين للدعوة في هذا العصر، وفي كل زمان فيعملوا على مد جسور التواصل والتواصي مع ولاة الأمر والحكام، وإزالة الجفوة المفتعلة التي يفتعلها أعداء هذا الدين؛ لأن الداعية الإيجابي من يَقْدِر على جعل السلطان نصيراً له، لا ظهيراً عليه، واستثارة الحكام واكتساب عداوتهم أمر سلبي، جرَّ على الدعوات كثيراً من الويلات والمصائب كان بالإمكان تلافيها، لو أن الدعاة أحسنوا التعامل مع الحكام بعدم إثارتهم واستقطاب عداوتهم، وعملوا على التلطف معهم والدعاء والنصح والتوجيه لهم، لأن في معاونة الحاكم للدعاة حماية للدعوة وتحقيقًا لكثير من المصالح، ولعل أقرب مثال على صحة ذلك ما وفق إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب[1] رحمه الله من التعامل السديد مع الحاكم في زمنه وهو الإمام محمد بن سعود[2] الذي

(١) محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي: زعيم النهضة الإصلاحية في جزيرة العرب، ولد في العيينة سنة ١١١٥هـ، ورحل إلى الحجاز والعراق والشام في طلب العلم، وقد دعا إلى العودة إلى منهج السلف الصالح وتجريد التوحيد الخالص وترك البدع والخرافات. عرض دعوته على الأمير محمد بن سعود فقبلها، ونصره وآزره حتى مكَّن الله له في الأرض وارتفعت راية التوحيد، مات رحمه الله سنة ١٢٠٦هـ، وله مؤلفات عديدة منها كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، وغيرها. الأعلام للزركلي (٦/ ٢٥٧).

(٢) محمد بن سعود بن محمد بن مرخان: أول من لقب بالإمامة من آل سعود في نجد، كان مقامه في الدرعية، وقد ولي الإمارة بعد أبيه وحسنت سيرته وقويت=

تدرج في هدايته وتلطف في دعوته، حتى كان في استجابته للدعوة من العون والتأييد والنصر والتمكين لهذا الدين ما سعدت به قلوب المؤمنين، وقرَّت به أعين الموحدين، منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا، فقد أثمرت دعوته ثمارها وأعادت للملة والعقيدة صفاءها وخلوصها، وأزالت عنها أوضار الشرك وضلالات البدعة والخرافة، وانتشرت هذه الدعوة الإصلاحية، حتى عمَّت جميع أرجاء الأرض خصوصاً بعد تأسيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وقيامها باستقبال الآلاف من طلبة العلم من جميع الديار ثم تعلمهم للعقيدة الصحيحة وعودتهم إلى بلادهم وأوطانهم دعاة للحق وهداة إلى السنة. أما الابتعاد عن الحاكم وترك المجال خالياً لأهل السوء للوصول إليه وكسب محبته فإن ذلك يولِّد الضغائن ويؤدي إلى سوء الظنون ويجر إلى المحن والمصائب مثل ما وقع من الخليفة المأمون»[١].

وعلماء أهل السنة والجماعة يقررون القول بأن القرآن كلام الله المنزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وهذه بعض أقوالهم:

أولاً: ذكر من قال ذلك من الصحابة:

لما كانت مسألة القول بخلق القرآن من المسائل التي وقعت بعد انقراض الصحابة رضوان الله عليهم، فإن الآثار التي رويت

= شوكته، وقد وفد عليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب عارضاً عليه مناصرته فتعاهدا على أن يكون حارساً للدين وناصراً للسنة، وأن يستمر ابن عبدالوهاب على الجهر بالدعوة. توفي بالدرعية عام١١٧٩هـ. الأعلام للزركلي (٦/ ١٣٨).

(١) انظر المزيد من أخبار محنة القول بخلق القرآن في البداية والنهاية (١٠/ ٢٩، ٢٨٤) لابن كثير.

عنهم قليلة جدًّا وهذا القليل مشكوك في صحته من ذلك ما روى عن عمرو بن دينار[١] أنه قال: «أدركت تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون من قال القرآن مخلوق فهو كافر»[٢].

ثانياً ذكر إجماع التابعين :

١ـ عن سفيان بن عيينة قال: سمعت عمرو بن دينار يقول: «أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود»[٣].

٢ـ وعن عبدالله بن المبارك قال: سمعت الناس منذ تسعة وأربعين عاماً يقولون: من قال القرآن مخلوق فامرأته طالق ثلاثاً بتة قلت ولم ذلك؟ قال: لأن امرأته مسلمة ومسلمة لا تكون تحت كافر قلت أنا ـ أي اللالكائي ـ فقد لقى عبدالله بن المبارك جماعة من التابعين مثل سليمان التيمي[٤] وحميد الطويل[٥] وغيرهما وليس

(١) عمرو بن دينار: الإمام الكبير الحافظ أبومحمد الجمحي أحد الأعلام وشيخ الحرم في زمانه ولد سنة ٤٦هـ، وسمع من بعض الصحابة. قال عنه ابن عيينة: عمرو ثقة ثقة ثقة. وقال شعبة: ما رأيت في الحديث أثبت من عمرو ابن دينار. وقال عنه النسائي: عمرو ثقة ثبت. سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٠٠).

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢/ ٢٥٣ـ٢٥٩)، وتعليق المحقق.

(٣) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ص(١١٧).

(٤) سليمان بن قته التيمي المقرىء: من فحول الشعراء عرض ختمة على ابن عباس وسمع من بعض الصحابة، وقد وثقه ابن معين، وقته هي أمه. سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٦).

(٥) حميد بن أبي حميد الطويل الإمام الحافظ أبوعبيدة البصري، ولد سنة ٦٨هـ، =

الاسم في وقته أكثر رحلة منه وأكثر طلباً للعلم وأجمعهم له وأجودهم معرفة به وأحسنهم سيرة وأرضاهم طريقه مثله ولعله يروي عن ألف شيخ من التابعين فأي إجماع أقوى من هذا»[١].

ثالثاً ذكر كلام بعض أئمة الفقهاء المشهورين :

١ـ الإمام أبوحنيفة، كان موقفه من هذه الفتنة هو موقف السلف من علماء أهل السنة والجماعة ولم يثبت بطريق صحيح أنه قال بغير ما قاله علماء أهل السنة وماذكره الإمام عبدالله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة من نقولات لم تثبت. بل الثابت خلاف ذلك فقد ذكر البيهقي عن محمد بن أبي أيوب[٢] قال: سألت أبايوسف فقلت أكان أبوحنيفة يقول: القرآن مخلوق قال: معاذ الله ولا أنا أقوله فقلت: أكان يرى رأي جهم فقال: معاذ الله ولا أنا أقوله ثم قال رواته ثقات»[٣]. أما هذا الاتهام الباطل فينفيه الإمام أحمد ابن حنبل فيما يرويه أبوبكر المروزي قال: سمعت أباعبدالله أحمد بن حنبل يقول: لم يصح عندنا أن أباحنيفة كان يقول القرآن مخلوق»[٤].

= كان قصير القامة طويل اليدين مات رحمه الله وهو يصلي سنة ١٤٣هـ. سير أعلام النبلاء (٦/ ١٦٣).

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي برقم (٤٠٥).

(٢) لم أجده في مشايخ البيهقي، وإنما وجدت محمد بن أيوب بن ضُريس المحدث الثقة. ولد عام ٢٠٠هـ ومات سنة ٢٩٤هـ. سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٤٩.

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (٢٥١).

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٣/ ٣٨٤).

٢ـ قول الإمام مالك بن أنس عن إسماعيل بن أبي أويس[١]، قال: «سمعت خالي مالك بن أنس وجماعة العلماء بالمدينة فذكروا القرآن فقالوا كلام الله وهو منه وليس من الله شيء مخلوق»[٢].

٣ـ قول الإمام الشافعي وعن الربيع بن سليمان[٣] قال: سمعت الشافعي يقول: «من قال القرآن مخلوق فهو كافر»[٤].

٤ـ قول الإمام أحمد بن حنبل روى عنه ابنه عبدالله قوله: «من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر؛ لأن القرآن من علم الله وفيه أسماء الله»[٥].

ويروى عنه قوله وقد سئل عن القرآن فقال: «كلام الله عز وجل وليس بمخلوق»[٦].

وموقف الإمام أحمد بن حنبل من فتنة خلق القرآن موقف عظيم لا أجد كلاماً أفضل مما سطَّره شيخ الإسلام ابن تيمية

---

(١) إسماعيل بن أبي أويس الإمام الحافظ الصدوق، قرأ القرآن على نافع وكان عالم أهل المدينة ومحدثهم، وثَّقه أحمد وضعفه غيره مات سنة ٢٢٦هـ. سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٩١).

(٢) الشريعة للآجري ص(٧٩).

(٣) الربيع بن سليمان الأزدي سمع من ابن وهب ومن الشافعي، وروى عنه أبوداود والنسائي والطحاوي وآخرون، مات سنة ٢٥٦هـ. سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٩١).

(٤) الشريعة للآجري (٨٢).

(٥) كتاب السنة للإمام عبدالله بن أحمد(١/ ١٠٢). تحقيق محمد سعيد القحطاني، برقم ١.

(٦) طبقات الحنابلة (١/ ١٨٩).

ـ رحمه الله ـ حيث يقول:

«إن الإمام أحمد صار مثلاً سائراً يضرب به المثل في المحنة والصبر على الحق وأنه لم تكن تأخذه في الله لومة لائم، حتى صار اسم الإمام مقروناً باسمه في لسان كل أحد فيقال: الإمام أحمد وهذا مذهب الإمام أحمد لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[1] فإنه أعطي من الصبر واليقين ما يستحق به الإمامة في الدين وقد تداوله ثلاثة خلفاء مسلطون من شرق الأرض إلى غربها ومعهم من العلماء المتكلمين والقضاة والوزراء والسعاة والأمراء والولاة من لا يحصيهم إلاَّ الله فبعضهم بالحبس، وبعضهم بالتهديد الشديد بالقتل وغيره، وبالترغيب في الرياسة والمال ماشاء الله، وبالضرب، وبعضهم بالتشريد والنفي، وقد خذله في ذلك عامة أهل الأرض حتى أصحابه العلماء والصالحون والأبرار، وهو مع ذلك لم يعطهم كلمة واحدة مما طلبوه منه، وما رجع عما جاء به الكتاب والسنة، ولا كتم العلم، ولا استعمل التقية، بل قد أظهر من سنة رسول الله ﷺ وآثاره، ودفع من البدع المخالفة، لذلك مالم يتأت مثله لعالم من نظرائه وإخوانه المتقدمين والمتأخرين»[2].

٥ـ أوضح الإمام الآجري أن القول بأن القرآن هو كلام الله المنزل غير مخلوق هو قول المسلمين الذين وفقوا للرشاد، فيقول: «اعلموا رحمنا الله وإياكم أن قول المسلمين الذين لم تزغ قلوبهم

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٢) فتاوى ابن تيمية (١٢/ ٤٣٩).

عن الحق ووفقوا للرشاد قديماً وحديثاً أن القرآن كلام الله عز وجل ليس بمخلوق لأن القرآن من علم الله تعالى وعلم الله عز وجل لا يكون مخلوقاً تعالى الله عز وجل عن ذلك. دل على ذلك القرآن والسنة وقول الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقول أئمة المسلمين رحمة الله تعالى عليهم لا ينكر هذا إلاَّ جهمي خبيث»[١].

وقد استدل علماء أهل السنة والجماعة على عقيدتهم بأن القرآن الكريم كلام الله المنزل غير مخلوق بأدلة كثيرة اكتفى بإيراد بعضها مما ذكره الإمام أبوالحسن علي بن إسماعيل الأشعري[٢] في

(١) الشريعة للآجري (٧٥).

(٢) علي بن إسماعيل الأشعري: العلامة أبوالحسن علي بن إسماعيل من نسل الصحابي الجليل أبوموسى الأشعري، ولد سنة ستين ومائتين وكان عجباً في الذكاء وقوة الفهم، نشأ في أكناف المعتزلة فقد تربى في حجر زوج أمه أبوعلى الجبائي شيخ المعتزلة في عصره، وتعلم عليه ولما برع في معرفة الاعتزال كرهه وتبرأ منه وصعد للناس وتاب إلى الله تعالى منه ثم أخذ يرد على المعتزلة ويهتك عوارهم وقد أعلن توبته من مذهب المعتزلة على منبر البصرة، فقد صعد المنبر وقال: إني كنت أقول بخلق القرآن، وإن الله لا يرى بالأبصار وأن الشر فعلي ليس بقدر وإني تائب. وقد أبان ـ رحمه الله ـ عقيدته التي يدين الله بها في كتاب سماه الإبانة عن أصول الديانة قرر فيه أن مذهبه ومعتقده هو مذهب أهل السنة والجماعة يقول: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٥/ ٨٥ـ٨٩). والإبانة للأشعري ص(٨).

كتابه الإبانة حيث يقول:

«إن سأل سائل عن الدليل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق قيل له. الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾(١) وأمر الله هو كلامه وقوله فلما أمرهم بالقيام فقامتا لا تهويان كان قيامهما بأمره وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾(٢) فالخلق جميع ما خلق داخل فيه؛ لأن الكلام إذا كان لفظه عاماً فحقيقته أنه عامٌ ولا يجوز لنا أن نزيل الكلام عن حقيقته بغير حجة ولا برهان فلما قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ كان هذا في جميع الخلق ولما قال والأمر ذكر أمراً غير جميع الخلق فدل ما وصفنا على أن أمر الله غير مخلوق».

ثم قال ـ رحمه الله ـ: «ومما يدل من كتاب الله على أن كلامه غير مخلوق قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾(٣) فلو كان القرآن مخلوقاً لوجب مقولاً له كن فيكون، ولو كان الله عز وجل قائلاً للقول كن لكان للقول قولاً وهذا يوجب أحد أمرين:

١ـ إما أن يؤول الأمر إلى أن قول الله غير مخلوق.

٢ـ أو يكون كل قول واقع بقول لا إلى غاية وهو ما يسمى بالدور والتسلسل وذلك محال وإذا استحال ذلك صح وثبت أن لله عز وجل قولاً غير مخلوق».

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٠.

كما استدل ـ رحمه الله ـ بقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝١٠٩﴾[١]. «فلو كانت البحار مداداً كتبت لنفدت البحار وتكسرت الأقلام ولم يلحق الفناء كلمات ربي، كما لا يلحق الفناء علم الله عز وجل، ومن فني كلامه، لحقته الآفات، وجرى عليه السكوت، فلما لم يجز ذلك على ربنا عز وجل، صح أنه لم يزل متكلماً، لأنه لو لم يكن متكلماً لوجب عليه السكوت والآفات تعالى ربنا عن قول الجهمية علواً كبيراً»[٢].

وليس المراد هنا هو الاستقصاء والتوسع في إيراد الحجج الدامغة والبراهين الساطعة التي أطلقها علماء أهل السنة والجماعة لإبطال ضلالات ومقولات المبتدعة في هذه المسألة؛ لأن ذلك يؤدي إلى الخروج عن موضوع هذا الكتاب، وإنما الهدف بيان موقف السلف من هذه البدعة الضالة.

حكم من قال بخلق القرآن:

لم يتردد علماء أهل السنة والجماعة في إطلاق الكفر على من زعم أنَّ القرآن مخلوق لكن على غير المعين كما سبق أن أوضحنا وقد ورد ذلك عنهم وهذا طرف من أقوالهم:

١ـ الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ فعن يحيى بن خلف المقري[٣] قال: «كنت عند مالك بن أنس سنة ثمان وستين ومائة، فأتاه

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.

(٢) الإبانة لأبي الحسن الأشعري (٧٢) وما بعدها.

(٣) لم أجد له ترجمة.

رجلٌ فقال: ياأبا عبدالله ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ قال مالك بن أنس: أقتلوه كافر. فقال: ياأبا عبدالله إني لم أقله إنما قلت لك قال إنسان! قال مالك: إنما سمعته منك»[١].

٢ـ قال سفيان بن عيينة ـ وكان عنده مجموعة من العلماء ـ فتشوَّش الناس فقال ابن عيينة: ما هذا؟ قالوا: قدم بشر المريسي. قال: ما يقول؟ قالوا: يقول القرآن مخلوق. قال: جيئوني بشاهدين حتى آمر الوالي بضرب عنقه[٢].

٣ـ قال عبدالرحمن بن مهدي[٣]: «لوددت أن أقوم على رأس الجسر فلا يمر أحد إلاَّ سألته فإن قال القرآن مخلوق ضربت عنقه وألقيته في الماء»[٤].

ولكن جمهور العلماء على القول بتكفيرهم تكفيراً مطلقاً حيث أورد اللالكائي في شرح أصول أهل السنة والجماعة أسماء أكثر من خمسمائة وخمسين شخصاً من علماء السلف كلهم قالوا بكفر من قال بخلق القرآن وقد اتفقوا على عبارة واحدة تقريباً وهي: من قال بخلق القرآن فهو كافر[٥].

---

(١) ذكره البيهقي في الأسماء والصفات (٢٤٧).

(٢) ذكره اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم (٥٠١).

(٣) عبدالرحمن بن مهدي بن حسان العنبري أبوسعيد البصري، ثقة ثبت حافظ عارف بالرجال وبالحديث قال عنه ابن المديني: ما رأيت أعلم منه. مات سنة ٩٨هـ، وعمره ٧٣ سنة. تقريب التهذيب ٣٥١.

(٤) انظر الشريعة للآجري (٧٩).

(٥) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢/ ٣٠٠ـ٣٤٤).

ونظراً لخطورة إطلاق الكفر دون مراعاة للضوابط والقواعد الشرعية التي توضح نوعية الكفر وهل هو مخرج من الملة أم لا، ولأن الجزم بتكفير المعين وإخراجه من دائرة الإسلام فيه خطورة عظيمة، لما يترتب عليه من الآثار والأحكام الشرعية كتحريم زوجته عليه، وعدم حل ذبيحته، وعدم جواز تغسيله والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين، وعدم جواز الاستغفار له بعد موته، ولأنه قد ورد الوعيد الشديد لمن أطلق كلمة الكفر على مسلم، ففي الحديث المتفق عليه: «**من قال لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما**»[١].

وبما أن مسألة التكفير من المسائل الخطيرة التي ينبغي التحرز فيها إذ ليس كل من قال العلماء بتكفيره يكون كافراً إلاَّ إذا وجدت الشروط في حق ذلك المعين وانتفت الموانع التي تمنع من استحقاقه لذلك الحكم.

والإنسان قد يقول الكفر أو يعمله باجتهادٍ منه يظنه حقًّا ويكون بذلك مخطئاً ولا يكفر لأن الحقيقة لم تتضح له. لذا يلزم الاحتراز والتوقي من إطلاق الكفر على المعين، إلاَّ بعد النظر والتروي والتحقق الكامل من توفر الشروط وانتفاء الموانع، والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري رقم (٦١٠٣)، ومسلم رقم (٦٠).

المبحث الثالث

وجوب الإيمان بالرسل

حينما خلق الله الإنسان، أراد منه أن يؤدي دوره الذي خُلق من أجله، وهو العبادة يقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[(١)] وحتى يكون قادرًا على ذلك فطره الله على العبادة وزوده بالعقل الذي يفرق به بين الخير والشر، والحق والباطل، ولكن ليس بإمكان الإنسان مهما كان ذكاؤه أن يتعرف على ما يرضي الله وما يسخطه، فاقتضت حكمته سبحانه أن يبعث الرسل إلى الناس لإقامة الحجة عليهم، يقول سبحانه: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٦٥﴾[(٢)] ولذا بعث الله الرسل إلى جميع الأمم يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾[(٣)]، وهؤلاء الرسل وقع عليهم الاختيار من الله عزَّوجل واختصهم برسالته وارتضاهم لحمل الأمانة وأهَّلهم لهذه المهمة، يقول عزَّوجل: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[(٤)]، وقد قاموا بها خير قيام فأدوا الأمانة ونصحوا الأمم، وبلغوا رسالات

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

ربهم، وأقاموا حجة الله عليهم، ولم يكتموا شيئًا مما أمروا أن يبلغوه، ولم يبدلوا شيئًا مما أرسلوا به.

وأهل السنة والجماعة يؤكدون على وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل دون تفريق بينهم، لأنَّ من يكفر برسول واحد منهم فهو كافر بجميع الرسل، يقول عزَّوجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾﴾[1].

وفي حديث جبريل حينما سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال له: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»**[2].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٠-١٥٢.

(٢) رواه البخاري ح: (٥٠)، ومسلم ح: (٨).

عددالأنبياء والرسل

لقد أخبرنا الله في كتابه الكريم عن خمسة وعشرين نبيًا ذكر منها ثمانية عشر في قوله عزَّوجل: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[1]، أما السبعة الباقون فقد ذُكروا في آيات متفرقة من القرآن الكريم، وهم آدم وإدريس وهود وصالح وشعيب وذوالكفل، أما شيث ـ عليه السلام ـ فقد ذكر في السنة المطهرة، لكن هناك من الأنبياء من لم يقص الله علينا خبرهم ويجب علينا الإيمان بهم يقول عزَّوجل: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ ﴾[2] والرسل يتفاضلون فيما بينهم كماأخبر الله عزَّوجل في قوله: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ ﴾[3]، وأفضل الرسل هم أولوا العزم وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وقد جاء ذكرهم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٣ـ٨٦.

(٢) سورة غافر، الآية: ٧٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾[١] وأفضل أولوا العزم محمد صلوات الله وسلامه عليه، ولا تحصل النبوة بالكسب ولكنها بالاختيار والاصطفاء من قبل الله عزَّوجل يقول سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[٢].

الفرق بين النبي والرسول:

شاع عند كثير من العلماء أنَّ النبي هو من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه فإن أمر بتبليغه فهو رسول فبينهما عموم وخصوص مطلق، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول[٣]، إلاَّأنَّ هذا التعريف لا يستقيم مع مادلت عليه الآية الكريمة: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾[٤]، فإنها قد صرحت بأنَّ كلا منهما مرسل وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ إلى تعريف أفضل وتفريق أكمل فقال: «والنبي هو الذي ينبؤه الله وهو ينبيء بما أنبأه الله به فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول وأما إذا كان يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول إلى أن قال ـ رحمه الله ـ فقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ ﴾ دليل على أنَّ النبي مرسل ولا يسمى رسولاً عند الإطلاق لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه بل كان يأمر المؤمنين بما

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٥.

(٣) لوامع الأنوار للسفاريني: (١/ ٤٩).

(٤) سورة الحج، الآية: ٥٢.

يعرفون أنه حق»[١].

وإلى هذا المعنى أيضًا ذهب الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في كتابه أضواء البيان، حيث يقول: «النبي الذي هو رسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي تثبت بها نبوته وأنَّ النبي المرسل الذي هو غير الرسول هو من لم ينزل عليه كتاب وإنما أوحى إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة[٢]

(١) النبوات لابن تيمية: (٢٥٥).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي: (٥/ ٧٣٥).

دلائل النبوة

لقد أقام الله الحجة على الخلق بما بثه في أنفسهم وفي الآفاق حولهم من الآيات الدالة عليه وبما فطرهم عليه وغرز في طباعهم من ضرورة الإيمان به، وأيضًا بما منحهم من العقول القادرة على النظر والتأمل إلاَّ أنه سبحانه رحمة بعباده وقطعًا لحجة الناس اقتضت حكمته أن يرسل الرسل مبشرين ومنذرين يذكرون الناس ويستنقذون فطرهم من ركام الشهوات وطغيان النزوات.

وهؤلاء الرسل وهم يخبرون عن أنفسهم بأنهم رسل من عندالله ويطلبون من الناس اتباعهم بفعل ما أمر الله به وترك ماحرمه الله مما تدعو إليه الأنفس والأهواء والشهوات يحتاجون إلى أدلة وبراهين تبين للناس صدقهم ولذا أيَّدالله رسله بالمعجزات الدالة على صدقهم يقول عزّوجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾[1].

وهذه المعجزات هي التي تبين صدق النبي ويعرف بها كذب المدعي للنبوة.

ورسولنا ﷺ باعتباره خاتم الأنبياء وسيد المرسلين فقد أمده الله بالعديد من الآيات والمعجزات والدلائل والبينات ما فاق بها جميع الأنبياء قبله، ومنها معجزة القرآن الكريم الذي أراد الله أن يكون رسالة مفتوحة موجهة إلى الأمم لا يحدها زمان ولا يحويها مكان، تراها الأجيال على مر العصور وتكرار الدهور، وقد أشار صلوات الله وسلامه عليه إلى اختلاف معجزته عن معجزات الأنبياء

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

المسموم، وانقياد الشجر له، وغيرها مما لايتسع المجال لحصره.

ومن دلائل النبوة أنَّ ماجاءوا به من الشرائع في غاية الكمال والإتقان والسلامة عن النقص والتناقض مما يعلم معه أنَّ هذه الشرائع لم تصدر إلاَّ عن الله ومن الدلائل تأييد الله للأنبياء ونصرهم، وإظهار أمرهم، بعكس ما يحصل للكذَّابين من مدعي النبوة، فإن الله فضحهم وأظهر كذبهم وأذهب ذكرهم فليس على ظهر الأرض اليوم من يشهد أنَّ مسيلمة الكذاب أو الأسود العنسي أو سجاح بنت الحارث أنَّ هؤلاء أنبياء وذلك لكذبهم وادعائهم.

عصمة الأنبياء

والمراد بها حفظ الله لأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم من الوقوع في شيء من الذنوب والمعاصي أو الخطأ في تبليغ رسالات ربهم، وعلماء أهل السنة والجماعة مجمعون على عصمة الأنبياء فيما يخبرون عن الله تعالى وفي تبليغ رسالاته لأنَّ هذه العصمة هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة، فإنَّ من مقتضيات كونه رسولاً من عندالله أن يعصمه الله ولا يقره على خطأ فيما يبلغ عنه سبحانه، لكنهم اختلفوا في عصمتهم من الذنوب والمعاصي فقال بعضهم: بعصمتهم منها على الإطلاق، كبيرها وصغيرها، لأنَّ مقام النبوة أعظم من مقارفة شيء منها عمدًا، ولأنَّ الخلق قد أمروا بالتأسي بالأنبياء وهذا غير ممكن مع وقوع المعصية منهم، والأمر بالاقتداء بهم يقتضي أن تكون أفعالهم كلها طاعة، لكن جمهور أهل العلم قالوا: بجواز وقوع الصغائر منهم لكنهم لا يصرون عليها فيتوبون منها، فيكونون معصومين من الإصرار على المعاصي ويكون الاقتداء بهم في التوبة منه.

وهذا للجمع بن الأدلة التي وردت في هذا الشأن.

دعوة الأنبياء واحدة ودينهم الإسلام

المتأمل لكتاب الله عزَّوجل يجد أنَّ جميع الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ جاءوا يدعون إلى توحيد الله عزَّوجل وعبادته والخضوع لتعاليم دينه الذي ارتضاه لهم وهو الإسلام يقول عزَّوجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(١) ويقول سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾(٢) وأخبر سبحانه أنَّ جميع الأمم تمثل في حقيقتها أمة واحده فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾(٣) وأنَّ الدين الذي ارتضاه لهم هو الإسلام الذي لايقبل غيره فقال عزَّوجل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾(٤) وقال عزَّوجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾(٥) كما أخبر عن جميع الأنبياء بأنهم يصرحون بأنَّ دينهم هو الإسلام فقال عزَّذكره عن نبيه نوح ـ عليه السلام ـ ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾(٦) وقال عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿مَا

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٥٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٦) سورة النمل، الآية: ٩١.

كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾(١) وقال عنه أيضًا: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢) وقال عن موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾(٣) وعن المسيح يقول عزّوجل: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾(٤) وعن ملكة سبأ يقول عزّوجل: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٥).

وهكذا يتضح أنَّ دين الله هو الإسلام وأنَّ الله لم يبعث جميع الرسل إلاَّ بدين الإسلام ومانراه أو نسمعه من يهودية أو نصرانية ليست إلاَّ ضلالات أتى بها الشيطان ليفسد الناس بعد أن بيَّن الله لهم أنَّ دينه هو الإسلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾(٦) وقد يقول قائل كيف يكون دين الأنبياء والرسل هو الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ ونحن نعلم أنَّ أركان الإسلام خمسة، وأنَّ أولها شهادة أن لاإلٰه إلاَّ الله وأنَّ محمدًا رسول الله فكيف تشهد الأمم برسالة النبي ﷺ ولم يبعث بعد؟

والجواب أنَّ إسلام كل أمة يبدأ بشهادة أن لاإلٰه إلاَّ الله وأنَّ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣١.
(٣) سورة يونس، الآية: ٨٤.
(٤) سورة المائدة، الآية: ١١١.
(٥) سورة النمل، الآية: ٤٤.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

النبي الذي أرسله الله إليهم هو رسول من عندالله، أما بقية أركان الإسلام فقدتضمنتها جميع الرسالات، فالصلاة والزكاة مثلاً يقول الله عزَّوجل فيها: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[(١)] ويقول سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾[(٢)] وكذلك الصيام فرضه الله على جميع الأمم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[(٣)].

أما الحج فقد أداه جميع الأنبياء وجاء إبراهيم ليطهر البيت الحرام وليعيد إليه قداسته وكان يحج إليه كل عام، وأقام إسماعيل حول بيت الله وأقام شعائر الله.

وهكذا يتضح ما كان عليه الإسلام من قبل بعث خاتم الأنبياء فقد كانت أركان دين الله في جميع الأمم بشهادة أن لاإله إلاَّ الله وأنَّ النبي المبعوث فيهم هو رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وأداء ما كتب عليهم من صيام وحج، حتى ختم الله رسالاته للناس وأتم لهم الدين ببعثة محمد ﷺ ليكون رسولاً لأهل زمانه ولمن يأتي بعده إلى يوم القيامة.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

الباب العاشر
الإيمان باليوم الآخر

وفيه مباحث:

المبحث الأول: **وجوب الإيمان باليوم الآخر.**

المبحث الثاني: **عذاب القبر ونعيمه.**

المبحث الثالث: **مستقر الأرواح**

المبحث الرابع: **البعث بعد الموت.**

المبحث الخامس: **المقام المحمود**

المبحث السادس: **الشفاعة.**

المبحث السابع: **الحوض.**

المبحث الثامن: **الصراط**

المبحث التاسع: **الميزان.**

المبحث العاشر: **الجنة والنار**

المبحث الأول
وجوب الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان ومبنى من مبانيه العظام ولا يتم إيمان المكلف إلاَّ بعد تحقيقه والإقرار به وبمقتضياته، وهو الاعتقاد الجازم الذي لايخالطه شك بجميع ما أخبر الله به في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ في سنته من قضايا الآخرة، بدءًا بالموت والساعة، ومايحدث من أحداث في يوم القيامة، حتى استقرار الناس، إما في نعيم في دار النعيم وهي الجنة جعلنا الله من أهلها، أو في دار العذاب وهي النار، أجارنا الله منها.

وأهل السنة والجماعة يقررون ذلك في كتبهم ويؤكدون عليه باعتباره أمرًا هامًا في حياة المسلم، وقد استدلوا على ذلك بالكتاب والسنة فمن ذلك:

أولاً: من القرآن الكريم:

١ـ قوله تعالى: ﴿۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[(١)].

٢ـ قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾(١).

٣ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾(٢).

ثانيًا من السنة المطهرة:

حديث جبريل الذي جاء إلى النبي ﷺ وسأله ليعلم الصحابة أمر دينهم وقد سأله عن الإيمان فقال ﷺ: **«الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»**(٣).

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٢.

(٢) سورة النمل، الآية: ٣.

(٣) رواه البخاري ح: (٥٠)، ومسلم ح: (٨).

المبحث الثاني
عذاب القبر ونعيمه وسؤال منكر ونكير

القبر أول منزل من منازل الآخرة. فبعد موت الإنسان وانقطاع حياته ينتقل إلى الآخرة عن طريق أول منازلها وهو القبر. ليبدأ الجزاء على الأعمال فمن كان محسناً كافأه الله على إحسانه بالنعيم في القبر بتحويله إلى روضة من رياض الجنة. ومن كان مسيئاً والعياذ بالله عاقبه الله في قبره بتحويله إلى حفرة من حفر النار. ثم يستمر النعيم أو العذاب في القبر إلى أن تقوم الساعة ويُبعث الناس من قبورهم للحساب ثم إلى الجنة أو إلى النار.

والإيمان بعذاب القبر ونعيمه هو معتقد أهل السنة والجماعة المقرر في أصولهم. وهذه بعض أقوال أئمتهم وعلمائهم:

١ ـ قال الإمام أحمد رحمه الله: عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال مضل[١].

٢ ـ وقال محمد بن حسين الآجري: بعدأن سرد الأحاديث والآثار التي تدل على ثبوت عذاب القبر ونعيمه: ما أسوأ حال من كذَّب بهذه الأحاديث، لقد ضل ضلالاً بعيداً وخسر خسراناً مبيناً[٢].

٣ ـ وصنف ابن رجب الحنبلي رحمه الله كتاباً بعنوان أهوال القبور

(١) طبقات الحنابلة ١/ ٦٢.

(٢) الشريعة للآجري ٣٦٤.

تحدث فيه في الباب السادس عن عذاب القبر ونعيمه فقال: وقد دلَّ القرآن على عذاب القبر في مواضع كثيرة ثم ساق بعض الآيات الكريمة وأقوال المفسرين حولها. كما ذكر كثيراً من الأحاديث الدالة على عذاب القبر ونعيمه[١].

أدلة أهل السنة والجماعة:

استدل أهل السنة والجماعة على ما ذهبوا إليه من إثبات عذاب القبر ونعيمه بنصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

أولاً: من القرآن الكريم:

١ ـ قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾[٢] وقد فسرها النبي ﷺ بأنها نزلت في عذاب القبر فعن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا أقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت. نزلت في عذاب القبر**»[٣].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[٤] قال قتادة: يقال لهم: ياآل فرعون هذه منازلكم توبيخاً وصغاراً ونقيصة. وقال ابن سيرين[٥]: كان

---

(١) أهوال القبور لابن رجب ٣٩ ـ ٨١.

(٢) إبراهيم: ٢٧.

(٣) رواه البخاري ١٣٦٩ ومسلم ح٢٨٧١.

(٤) غافر: ٤٦.

(٥) أبوبكر محمد بن سيرين أبوه مولى أنس بن مالك اشتراه أنس ثم كاتبه قال عنه=

أبوهريرة يأتينا بعد صلاة العصر فيقول عرجت الملائكة وهبطت الملائكة وعرض آل فرعون على النار فلا يسمعه أحد إلاَّ تعوَّذ بالله من النار[١].

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[٢] قال ابن جرير الطبري: اختلف أهل التأويل في العذاب الذي توعَّد الله به هؤلاء الظلمة دون يوم الصعقة فقال بعضهم هو عذاب القبر، ونقل هذا عن البراء بن عازب وابن عباس رضي الله عنهما[٣].

ثانياً: من السنة المطهرة:

١ ـ ما روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن العبد إذا وضع في قبره وتولى أصحابه إنه يسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل ـ لمحمد ﷺ ـ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبدالله ورسوله ﷺ فيقال له. انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، قال: فيراهما جميعاً، وأما الكافر أو المنافق فيقول لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، فيضرب

= ابن سعد: كان ثقة مأموناً عالياً رفيعاً فقيهاً إماماً كثير العلم ورعاً وهو من التابعين ولد سنة ٣٣، وتوفي ١١٠ بالبصرة روى عن أنس بن مالك وزيد بن ثابت وغيرهما) انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ١٩٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٢٦٧ والأعلام للزركلي ٦/ ١٥٤.

(١) ذكرهما السيوطي في الدر المنثور ٧/ ٢٩١.

(٢) الطور: ٤٧.

(٣) جامع البيان للطبري ٢٧/ ٣٦.

بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين[١].

قال ابن حجر عند شرح هذا الحديث وغيره: وفي أحاديث الباب من الفوائد إثبات عذاب القبر وأنه واقع على الكفار ومن شاء الله من الموحدين[٢].

٢ ـ حديث عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر قال: نعم عذاب القبر حق، قالت عائشة: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد ذلك صلى صلاة إلا تعوَّذ من عذاب القبر[٣].

٣ ـ حديث أبوهريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال**»[٤].

ووجه الاستدلال بالأحاديث على إثبات عذاب القبر ونعيمه ظاهر ولله الحمد والمنة.

---

(١) رواه البخاري ح١٣٧٤ ومسلم ح٢٨٧٠.
(٢) فتح الباري لابن حجر ٣/ ٢٨٣.
(٣) رواه البخاري ح١٣٧٢.
(٤) رواه البخاري ح١٣٧٧ ومسلم ح٥٨٨.

المبحث الثالث
مستقر الأرواح

اختلفت أقوال العلماء في مستقر الأرواح وذلك باختلاف تفاوت درجات تلك الأرواح وقسموها إلى ثلاثة أقسام.

الأول: أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فهذه بلا خلاف عند ربها في أعلى عليين. والدليل ما ثبت في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: «**إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخيَّر فلما نُزِلَ به ورأسه على فخذي غشي عليه ساعة ثم أفاق فأشخص ببصره إلى السقف ثم قال: اللهم الرفيق الأعلى. قلت: إذاً لا يختارنا وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا به. قالت: فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها النبي ﷺ قوله: اللهم الرفيق الأعلى**»[١].

الثاني: أرواح الشهداء الذين صرحت الأدلة بأن أرواحهم في أجواف طيور خضر معلقة بالعرش منها ما ثبت في صحيح مسلم عن مسروق قال: سألنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[٢] قال: «**أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال**[٣] **أرواحهم في جوف طير خضر لها**

(١) رواه البخاري ح/ ٦٩٠٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

(٣) قال النووي وهذا الحديث مرفوع لقوله إنا قد سألنا عن ذلك فقال يعني النبي ﷺ/ شرح صحيح مسلم للنووي ١٣/ ٣٤ ح رقم ١٨٨٧.

قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يارب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»[١].

الثالث: أرواح المكلفين من المؤمنين وغيرهم وهؤلاء تباينت أقوال العلماء حولهم وأرجح الأقوال فيها أن أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكافرين في النار وهو ما ذهب إليه الإمام أحمد رحمه الله فقد روى ابنه عبدالله قوله: أرواح الكفار في النار وأرواح المؤمنين في الجنة[٢].

وهو ما يرجحه ابن تيمية رحمه الله حيث يقول: «وأرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكافرين في النار تنعم أرواح المؤمنين وتعذب أرواح الكافرين إلى أن تعاد إلى الأبدان»[٣].

أما الفرق بين حياة الشهداء البرزخية في الجنة وحياة من عداهم من المؤمنين فقد أشار إليه ابن رجب بقوله: «والفرق بين حياة الشهداء وغيرهم من المؤمنين الذين أرواحهم في الجنة من وجهين:

أحدهما: أن أرواح الشهداء يخلق لها أجساد وهي الطير التي

(١) رواه مسلم ح١٨٨٧.
(٢) طبقات الحنابلة ١/ ١٨١.
(٣) الفتاوى لابن تيمية ٤/ ٣١١.

تكون في حواصلها. ليكمل بذلك نعيمها ويكون أكمل من نعيم الأرواح المجردة عن الأجساد فإن الشهداء بذلوا أجسادهم في سبيل الله فعوضوا عنها بهذه الأجساد في البرزخ.

الثاني: أنهم يرزقون من الجنة وغيرهم لم يثبت له في حقه مثل ذلك، فإنه جاء أنهم يعلقون في شجر الجنة وروى يعلقون بفتح اللام وضمها فقيل إنهما بمعنى واحد وأن المراد الأكل من الشجر قال ابن عبدالبر وقيل رواية الضم معناها الأكل ورواية الفتح معناها التعلق ذكره ابن الجوزي وبكل حال فلا يلزم مساواتهم للشهداء في كمال تنعمهم في الأكل والله أعلم»[1].

---

(١) أهوال القبور لابن رجب الحنبلي ١٢٥.

شـــبهة وردّهـــا

يورد بعض الناس شبهة على وقوع عذاب القبر ونعيمه فيما إذا لم يدفن الميت في قبر كمن تعرض للغرق أوالحريق أو أكلته السباع، وقد أجاب علماء أهل السنة والجماعة على هذه الشبهة وأبطلوها يقول شارح الطحاوية ـ رحمه الله :

«وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً. وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به ولا نتكلم في كيفيته إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار والشرع لا يأتي بما يحيله المعقول ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول. فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا».

إلى أن قال رحمه الله: «واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أو لم يقبر أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلاعه ونحو ذلك فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير فلا يُحمَّل كلامه ما لا يحتمله ولا يُقصَّر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان فكم حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله بل سوء الفهم عن الله

ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام. وهو أصل كل خطأ في الفروع والأصول ولاسيما أن أضيف إليه سوء القصد والله المستعان»[١].

(١) شرح الطحاوية ٢/٥٧٨ ـ ٥٨٠.

المبحث الرابع
البعث بعد الموت

البعث بعد الموت حقيقة دلَّت عليه الفطر السليمة وصرحت به جميع الكتب السماوية وأخبر به جميع الأنبياء والرسل. والإيمان به أحد أركان الإيمان الستة التي لا يصح إيمان العبد إلا بتحقيقها.

وإلى هذا ذهب أئمة وعلماء أهل السنة والجماعة حيث يقررون أهمية الإيمان بالبعث بعد الموت لما له من تأثير عظيم في استقامة الإنسان وحمله على العمل الصالح والابتعاد عن المعاصي والظلم والعدوان والبغي والفساد. وهذه بعض أقوالهم:

١ ـ قال الإمام أحمد بن حنبل: «والصور حق ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام فيموت الخلق ثم ينفخ فيه أخرى فيقومون لرب العالمين عزوجل للحساب والقصاص والثواب والعقاب، والجنة والنار، ويعرض عليه العباد يوم الفصل والدين ويتولى حسابهم بنفسه لا يولي ذلك غيره عزوجل»[١].

٢ ـ وقال ابن عبدالبر: «وفي هذا الحديث من الفقه أن من شرط الشهادة التي بها يخرج من الكفر إلى الإيمان مع الإقرار بألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. الإقرار بالبعث بعد الموت. وقد أجمع المسلمون على أن من أنكر البعث فلا إيمان له ولا شهادة. وفي ذلك ما يغني ويكفي مع ما في القرآن من تأكيد

---

(١) طبقات الحنابلة ١/ ٢٧.

الإقرار بالبعث بعد الموت، فلا وجه للإنكار في ذلك»[١].

٣ ـ وقال شارح الطحاوية: «الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز وأقام الدليل عليه وردَّ على منكريه في غالب سور القرآن وذلك أن الأنبياء عليهم السلام كلهم متفقون على الإيمان بالآخرة. فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم وهو فطري كلهم يقر بالرب إلا من عاند كفرعون بخلاف الإيمان باليوم الآخر فإن منكريه كثيرون ومحمد ﷺ لما كان خاتم الأنبياء وكان قد بعث هو والساعة كهاتين[٢] وكان هو الحاشر المقفي[٣] بيَّن تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء»[٤].

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر ٩/ ١١٦.

(٢) يشير إلى ما ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين» رواه البخاري ح٦٥٠٤ ومسلم ح٢٩٥١.

(٣) ثبت في الصحيحين من حديث جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي» رواه البخاري ح٤٨٩٦ ومسلم ح٢٣٥٤.

(٤) شرح الطحاوية ٢/ ٥٨٩.

أدلة البعث بعد الموت

الإيمان بالبعث من الإيمان بالغيبيات الذي هو أول ما ينبغي أن يصدِّق به المؤمن وهو الصفة البارزة من صفات المؤمنين المتقين. يقول عزوجل: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾(١) ولا سبيل إلى معرفة البعث إلا عن طريق النص الموحى به من الكتاب الكريم أو السنة المطهرة.

أولاً: من القرآن الكريم:

لقد عنى القرآن الكريم بقضية البعث عناية فائقة وجاءت الأدلة الكثيرة وتعددت الأساليب المتنوعة لتقرير هذه العقيدة لما لثباتها في قلب المؤمن من أثر فعال في استقامة خطوه على درب الحياة. وسأكتفي بذكر بعض تلك الأساليب. وهي:

الأول: الاستدلال على وقوع البعث والنشأة الأخرى بما نشاهده يومياً من الخلق والإحياء الدال على قدرة الله وبالتالي القدرة على إعادة خلقهم، وقد جاء هذا كثيراً في القرآن الكريم، يقول عزوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢.

مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝﴾[1].

فالقادر على هذا الخلق المشاهد والمعلوم قادر على إعادته مرة أخرى.

ويقول سبحانه: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ۝﴾[2].

ويقول عزوجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝﴾[3].

الثاني: تأكيده وقوع البعث بالأمر للنبي ﷺ بأن يقسم بأنه كائن لا محالة وذلك في قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝﴾[4]. وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ۝﴾[5]. وقوله تعالى: ﴿۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝﴾[6].

الثالث: عرض مشاهد لما سيكون من حوار في الآخرة بين

---

(١) سورة الحج، الآية: ٥ ـ ٧.
(٢) سورة مريم، الآية: ٦٦ ـ ٦٧.
(٣) سورة الروم، الآية: ٢٧.
(٤) سورة التغابن، الآية: ٧.
(٥) سورة سبأ، الآية: ٣.
(٦) سورة يونس، الآية: ٥٣.

أهل الإيمان المصدقين بالبعث وهم في الجنة يتنعمون وبين أهل الكفر والتكذيب بالبعث وهم في النار يعذبون وبيان أن كفرهم وتكذيبهم بالبعث بعد الموت أدَّى بهم إلى هذا المصير السيء: يقول عزوجل: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝٥٤ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝٥٥ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۝٥٧ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٦٠ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾[1].

ويقول عزوجل: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ۝٥٠ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۝٥١﴾[2].

الرابع: أن مقتضى العدل الذي قامت عليه السموات والأرض أن يبعث الله العباد ليجزيهم على أعمالهم. لأن سوق الحياة ينفض دون أن يتحقق العدل الكامل والإنصاف الشامل في تصرفات الناس فالله أرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان الطريق الذي يحبه الله وقد انقسم الناس إلى فريقين فريق استقام على أمر الله وبذل نفسه وماله ومات ولم يجد ثواباً على ذلك وفريق رفض أمر الله وطغى وبغى وملأ الأرض فساداً ومات دون أن يجد عقوبة على فساده فهل يمكن أن يكون مصير الفريقين واحداً إن العقل يجزم بالبعث ويستبعد أن

---

(١) سورة الصافات ٥٠، الآية ـ ٦١.

(٢) سورة الأعراف: ٥٠، الآية ـ ٥١.

يستوي هؤلاء وهؤلاء. يقول عزوجل: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾[١] ويقول سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[٢] ويقول عزوجل: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾[٣].

ثانياً: الأدلة من السنة:

أما أدلة البعث من السنة المطهرة فكثيرة جداً منها:

١ ـ حديث عمر بن الخطاب والمشهور بحديث جبريل وفيه قول النبي ﷺ فأخبرني عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[٤].

٢ ـ قوله ﷺ: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**»[٥].

٣ ـ قوله ﷺ: «**إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا موسى آخذ بالعرش فما أدري أكان فيمن صعق**»[٦] ووجه الدلالة في هذه الأحاديث على إثبات وقوع البعث بعد الموت واضح ولله الحمد والمنة.

---

(١) سورة القلم، الآية: ٣٥ ـ ٣٦.
(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢١ ـ ٢٢.
(٣) سورة ص، الآية: ٢٧ ـ ٢٨.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) رواه مسلم ح٢٨٧٨.
(٦) رواه البخاري ح٦٥١٨ ومسلم ح٢٣٧٣.

المبحث الخامس
المقـــام المحمـــود

المقام المحمود من الفضائل العظيمة التي وُعد بها نبينا محمد ﷺ يوم القيامة وورد بيانها في السنة المطهرة وقررها علماء أهل السنة والجماعة.

وقد اختلف العلماء في تعيين المقام المحمود الذي وعد الله به نبيه يوم البعث على ثلاثة أقوال:

القول الأول: وهو قول الجمهور وغالب أهل العلم أن المقام المحمود هو الشفاعة كما صرحت بذلك الأحاديث الصحيحة فقد روى البخاري في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً كل أمة تتبع نبيها يقولون يافلان أشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود[١].

كما روى أيضاً في الصحيح عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما. أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة**»[٢] قال ابن حجر: وقال ابن الجوزي: والأكثر على أن المراد بالمقام

(١) رواه البخاري ح٤٧١٨.
(٢) رواه البخاري ح٦١٤.

المحمود الشفاعة[١].

وقد روى أبوهريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩﴾ وسئل عنها قال: «**هي الشفاعة**»[٢].

وعن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة كنت أنا وأمتي على تل فيكسوني حلة خضراء ثم يأذن لي تبارك وتعالى أن أقول ما شاء الله أن أقول وذلك المقام المحمود**»[٣].

القول الثاني: أن المقام المحمود هو إعطاؤه صلوات الله وسلامه عليه لواء الحمد يوم القيامة، وقد جمع الشوكاني بين هذا القول والقول الأول فقال: ويمكن أن يقال إن هذا لا ينافي القول الأول إذ لا منافاة بين كونه قائماً مقام الشفاعة وبيده لواء الحمد[٤].

القول الثالث: أن المقام المحمود هو أن يجلس الرسول ﷺ

---

(١) فتح الباري ٢/ ١١٣.

(٢) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن كتاب التفسير باب ١٨ ٥/ ٣٠٣ وقد صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٣٦٩، ٢٣٧٠ ورواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة ٢/ ٣٥٠.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٤٥٦ وابن أبي عاصم في السنة ٢/ ٣٥٠ وقال عنه الألباني: إسناده جيد ورجاله كلهم ثقات، ولطرفه الأخير شاهد من حديث جابر مرفوعاً ـ يعني به حديث البخاري رقم ٦١٤.
كما أخرجه الحاكم ٤/ ٥٧٠ وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٤) فتح القدير للشوكاني ٣/ ١٥٢.

مع الله سبحانه وتعالى على كرسيه. وقد نقل الطبري ذلك في التفسير عن عبدالله بن سلام ولكن في إسناده مجهول وهو سيف السدوسي[١].

كما نقل الطبري في تفسيره ذلك عن ليث عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ قال يجلسه معه على عرشه[٢].

وقد دعم هذا القول الخلال في كتابه السنة ونقله عن عدد كبير من علماء عصره حتى اتهموا من لم يقل به بالكفر والتجهم والزندقة والعياذ بالله[٣].

وبتأمل تلك الأقوال والأدلة التي اعتمد عليها القائلون بها ونظراً إلى أن منهج أهل السنة والجماعة يعتمد في الاستدلال في أمور العقيدة وغيرها على تقديم الكتاب الكريم ثم السنة المطهرة ثم كلام الصحابة رضوان الله عليهم. فإنه يتضح ما يلي:

أولاً: أن القول الأول قد اعتمد على قول الرسول ﷺ في تفسير المقام المحمود بأنه الشفاعة يوم القيامة كما هو واضح من الأدلة الصحيحة التي أوضحناها كما اعتمد على القول الصريح

---

(١) تفسير الطبري ١٥/١٤٨ وقد قال الألباني عن سيف السدوسي بأنه لم يجده ولكنه وجد في طبقته سيف السعدي وهو في عداد المجهولين فلعله هو؛ لأن من المحتمل أن السدوسي تحرف على الناسخ من السعدي/ ظلال الجنة في تخريج السنة للألباني ٢/٣٥١.

(٢) تفسير الطبري ١٥/١٤٥.

(٣) انظر: السنة للخلال تحقيق الدكتور عطية الزهراني ٢٠٩ ـ ٢٦٩.

للصحابي الجليل عبدالله بن عمر والذي لا يمكن أن يقول به إلا وقد سمعه من رسول الله ﷺ لأن هذه المسألة من الغيبيات التي لا مجال للاجتهاد فيها.

ثانياً: أن الآثار التي وردت عن مجاهد رحمه الله قد تعارضت فقد روى الطبري في تفسيره عن مجاهد أنه قال: المقام المحمود هو مقام الشفاعة يوم القيامة، وذلك من طريقين: الأول عن ابن أبي نجيح، والثاني عن ابن جريج[(١)].

ورواية مجاهد إن صحت تعارض بالنصوص الصحيحة الصريحة عن رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة ومعارضة بروايته هو كما أسلفنا ولذا أخذ العلماء على مجاهد هذا القول وعدوه من الأقوال المهجورة.

وقد قال ابن عبدالبر: «ليس من العلماء أحد إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ»، ومجاهد وإن كان أحد المقدمين في العلم بتأويل القرآن، فإن له قولين في تأويل آيتين هما مهجوران عند العلماء مرغوب عنهما أحدهما هذا ـ أي القول بأن معنى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ تنظر الثواب والآخرة، وقوله في قول الله عزوجل: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ قال: يوسع له على العرش فيجلسه معه وهذا قول مخالف للجماعة من الصحابة ومن بعدهم فالذي عليه العلماء في تأويل هذه الآية أن المقام المحمود الشفاعة)[(٢)].

---

(١) تفسير الطبري ١٥/ ١٤٤.

(٢) التمهيد لابن عبدالبر ٧/ ١٥٧.

فإن الراجح هو القول الأول ونعوذ بالله من الجهمية والزنادقة وبدعهم كما نعوذ به تعالى من أن ننفي فضيلة ثابتة للرسول صلوات الله وسلامه عليه بل في إثبات القول بأن المقام المحمود هو الشفاعة أعظم فضيلة يحوز عليها بشر فقد تأخر عنها حتى أولو العزم من الرسل ولم يتقدم لها إلا سيد البشر وخاتم النبيين فأي فضيلة أعظم من هذا. والله أعلم.

المبحث السادس
الشفاعة

الشفاعة لغة: هي الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه وأكثر ما تستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى[(١)].

واصطلاحاً: سؤال التجاوز عن الذنوب والآثام[(٢)].

وأهل السنة والجماعة، يذهبون إلى إثبات الشفاعة للنبي ﷺ ولغيره من الأنبياء والملائكة والمؤمنين حسبما وردت به الأدلة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مع نفي الشفاعة التي نفتها الأدلة من الكتاب والسنة.

وتتم الشفاعة ابتداءً حينما يشتد الكرب على الناس في عرصات القيامة ويطول انتظار الخلائق في ذلك الموقف العظيم. فيبحث الناس عمن له منزلة عالية عند الله عزوجل كي يشفع لهم عنده سبحانه في تخليصهم مما هم فيه من الأهوال والكربات. ثم تقع أنواع الشفاعة الأخرى فيما بعد على التفصيل الذي سنذكره إن شاء الله.

وعلماء أهل السنة والجماعة كما أسلفت يثبتون الشفاعة التي أثبتها الكتاب والسنة وهذه بعض أقوالهم:

١ ـ قال الإمام أحمد عن الشفاعة: «وأن الله يخرج أقواماً من النار

---

(١) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ٢٦٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/ ٤٥٨.

بشفاعة محمد ﷺ»[١].

٢ ـ عقد ابن خزيمة باباً مطولاً في كتابه التوحيد بعنوان: «باب ذكر أبواب شفاعة النبي ﷺ التي قد خُصَّ بها دون الأنبياء سواه صلوات الله عليه وسلامه لأمته وشفاعة النبي ﷺ دون غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم وشفاعة بعض أمته لبعض أمته ممن أوبقتهم خطاياهم وذنوبهم فأدخلوا النار ليخرجوا منها بعد ما قد عذبوا فيها بقدر ذنوبهم وخطاياهم التي لا يغفر الله لهم ولم يتجاوز لهم عنها بفضله وجوده بالله نتعوذ من النار. ثم ساق الأحاديث والآثار التي تثبت الشفاعة للنبي ﷺ»[٢].

٣ ـ عقد الإمام الآجري باباً بعنوان وجوب الإيمان بالشفاعة قال فيه: «اعلموا رحمكم الله أن المنكر للشفاعة يزعم أن من دخل النار فليس بخارج منها، وهذا مذهب المعتزلة يكذبون بها وبأشياء سنذكرها إن شاء الله مما لها أصل في كتاب الله عزوجل وسنن رسول الله ﷺ وسنن الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان وقول فقهاء المسلمين. والمعتزلة يخالفون هذا كله لا يلتفتون إلى سنن الرسول ﷺ ولا إلى سنن الصحابة رضي الله عنهم وإنما يعارضون بمتشابه القرآن وبما أراهم العقل عندهم. وليس هذا طريق المسلمين وإنما هذا طريق من قد زاغ عن طريق الحق ولعب به الشيطان وقد حذرنا الله عزوجل ممن هذه صفته وحذرنا هم النبي ﷺ وحذرناهم أئمة المسلمين قديماً

(١) طبقات الحنابلة ١/ ٣٤٤.

(٢) التوحيد لابن خزيمة ٢٤١.

وحديثاً»[١].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على ثبوت الشفاعة للنبي ﷺ ولغيره من الشافعين بنصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة كعادتهم في إثبات جميع عقائدهم:

أولاً: من القرآن الكريم:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾﴾[٢].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾[٣].

٣ ـ قوله عزوجل: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[٤]، وغير ذلك من الآيات الدالة على ثبوت الشفاعة بعد الإذن من الله عزوجل وفي حالة الرضا عن المشفوع.

ثانياً: من السنة المطهرة:

أما أدلة السنة المطهرة فكثيرة جداً منها:

١ ـ حديث أبوهريرة الطويل، قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد يبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون**

(١) الشريعة للآجري ٣٣١.
(٢) سورة النجم، الآية: ٢٦.
(٣) سورة طه: الآية: ١٠٩.
(٤) سورة البقرة الآية: ٢٥٥.

ولا يحتملون فيقول بعض الناس ألا ترون ما أنتم فيه ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم. فيقول بعض الناس لبعض أبوكم آدم ثم ذكر أنهم يأتون آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم وعلى نبينا وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة وأزكى السلام وكلهم يقول: اذهبوا إلى غيري فيأتوني ويقولون: يامحمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يامحمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول: أمتي يارب أمتي يارب أمتي يارب... الحديث»[(١)].

٢ ـ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً»[(٢)].

٣ ـ حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري ٤٧١٢ ومسلم ح١٩٤.
(٢) رواه مسلم ح١٩٦.
(٣) رواه البخاري ح٦٣٠٥، ومسلم ح١٩٩.

شرط وقوع الشفاعة :

الشفاعة التي وردت النصوص الشرعية بإثباتها وردت مقيدة بشرطين أساسيين لا تتحقق الشفاعة إلا بوجودهما وهما :

الأول : الإذن من الله للشافع كي يشفع لأن الشفاعة ملك لله وحده ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾[١] وليس للشافع حق في طلبها إلا بعد الإذن من المالك لها وهو الله .

الثاني : الرضى عن المشفوع فيه بأن يكون أهلاً للشفاعة لأن المشرك لا تنفعه الشفاعة قال عزوجل : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[٢]

وقد جاء هذان الشرطان في قوله تعالى : ﴿ ۞وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ﴾ وهو الشرط الأول ﴿وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[٣] وهو الشرط الثاني .

وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾[٤] والمعنى أن الشفاعة إنما ينتفع بها من أذن له الرحمن وكان له قول يرضي .

---

(١) سورة الزمر، الآية : ٤٤ .
(٢) سورة المدثر، الآية : ٤٨ .
(٣) سورة النجم، الآية : ٢٦ .
(٤) سورة طه، الآية : ١٠٩ .

أنواع الشفاعة

لقد تحدث علماء أهل السنة والجماعة وبسطوا القول في أنواع الشفاعة وقسموها إلى قسمين:

الأول: ما اختص به ﷺ وهي:

١ ـ الشفاعة العظمى في الخلائق كلهم ليخلصوا من هول الموقف وليقضى بينهم حين يقف الناس خاضعين أمام خالقهم ويطلبون من الأنبياء أن يشفعوا لهم إلى الله في تخليصهم من كربات هذا اليوم العظيم وينتهي السؤال إليه ﷺ فيقول: أنا لها. وقد سبق بيان دليل هذا النوع[(١)].

٢ ـ شفاعته ﷺ لأهل الجنة ليدخلوها بعد الفراغ من حسابهم ودليل هذا النوع حديث أنس بن مالك الذي رواه مسلم[(٢)] والذي سبق ذكره.

٣ ـ شفاعته صلوات الله وسلامه عليه لتخفيف العذاب عن عمه أبي طالب لما كان يقوم به من حمايته والدفاع عنه ودليل هذا النوع إجابته صلوات الله وسلامه عليه حينما سئل عن عمه أبي طالب وقيل له: هل نفعت أباطالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك. قال: نعم هو في ضحضاح[(٣)] من نار ولولا أنا

---

(١) رواه البخاري ح٤٧١٢ ومسلم ح١٩٤.

(٢) رواه مسلم ح١٩٦.

(٣) الضحضاح: الماء القليل على وجه الأرض والذي لا يبلغ الكعبين/ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/ ٧٥.

لكان في الدرك الأسفل من النار[١].

٤ ـ الشفاعة لقوم استحقوا دخول النار ألا يدخلوها ودليلها كما يقول ابن حجر في الفتح[٢] حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه والذي فيه: فيمر أولكم كالبرق قال: قلت: بأبي أنت وأمي اي شيء كمر البرق قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار[٣].

٥ ـ شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة ودليل هذا النوع قول ابن عباس: «السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ﷺ»[٤].

---

(١) رواه البخاري ح٦٥٦٤ رواه مسلم ح٢٠٩.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٤٣٦/١١.

(٣) رواه مسلم ح١٩٥.

(٤) رواه الطبراني في الكبير ح١١٤٥٤ وفي سنده موسى بن عبدالرحمن الصنعاني قال الذهبي في الميزان معروف ليس بثقة فإن ابن حبان قال فيه دجال. وقال ابن عدي منكر الحديث وعد هذا الخبر من منكراته. وقال الهيثمي في المجمع ٣٧٨/١٠ بعد أن نسبه إلى الطبراني في الكبير والأوسط وفيه موسى بن عبدالرحمن الصنعاني وهو وضاع.

٦ ـ الشفاعة في رفع درجات بعض المؤمنين من أهل الجنة يدل عليها حديث أم سلمة أن رسول الله ﷺ دخل على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: إن الروح إذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يارب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه[1].

٧ ـ الشفاعة في دخول بعض المؤمنين إلى الجنة بغير حساب ولا عذاب كدعائه لعكاشة بن محصن[2] في أن يكون من ضمن السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**عرضت عليَّ الأمم فأخذ النبي يمر معه الأمة والنبي يمر معه النفر والنبي يمر معه العشرة والنبي يمر معه الخمسة والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير قلت: ياجبريل هؤلاء أمتي قال: لا ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير قال هؤلاء أمتك وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب قلت: ولم قال: كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**

(١) رواه مسلم ح٩٢٠.

(٢) أحد السابقين الأولين البدريين كان من أجمل الرجال، انكسر سيفه يوم بدر فأعطاه النبي ﷺ عرجوناً من نخل فعاد سيفاً في يده قاتل به، وشهد به المشاهد، بعثه خالد بن الوليد مع ثابت بن أقرم طليعة له فظفر بهما طليحة بن خويلد الأسدي فقتلهما سنة ١٢ للهجرة في خلافة أبي بكر أثناء حروب الردة/ سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٣٠٧.

فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم قال: اللهم اجعله منهم ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم قال: سبقك بها عكاشة»[١].

النوع الثاني: الشفاعة المشتركة التي يشاركه صلوات الله وسلامه عليه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون وهو نوع واحد فقط. وهي الشفاعة في أهل الكبائر ممن دخل النار ودليل هذا النوع حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة»**[٢]. قال ابن كثير رحمه الله: وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة فخالفوا به في ذلك جهلاً منهم بصحة الأحاديث وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته[٣].

---

(١) رواه البخاري ح٦٥٤١ ومسلم ح٢٢٠.

(٢) رواه مسلم ح١٩١.

(٣) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ٢/ ١٧٩ وانظر فتح الباري لابن حجر ١١/ ٤٣٣ وكتاب التوحيد لابن خزيمة ٢٤١ ولوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٢١١ وشرح الطحاوية ١/ ٢٨٢.

المبحث السابع
الحـــوض

الحوض في اللغة مجتمع الماء والجمع أحواض وحياض. ولما ظهر لأم إسماعيل ماء زمزم جعلت تحوّضه أي تجعل له حوضاً يجتمع فيه الماء[١].

وشرعاً: ما أثبته الكتاب والسنة وإجماع السلف من وجود حوض يجمع الماء النازل من نهر الكوثر في عرصات القيامة للنبي ﷺ.

والإيمان بالحوض مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة وهذه بعض أقوالهم:

١ ـ قال الإمام أحمد رحمه الله: والإيمان بالحوض وأن لرسول الله ﷺ حوضاً يوم القيامة ترد عليه أمته عرضه مثل طوله مسيرة شهر آنيته كعدد نجوم السماء على ما صحت به الأخبار من غير وجه[٢].

٢ ـ نقل الآجري أن أنس بن مالك رضي الله عنه دخل على جماعة وهم يتذاكرون الحوض فلما رأوني طلعت عليهم قالوا قد جاءكم أنس فقالوا: ياأنس ما تقول في الحوض فقلت: والله ما شعرت أني أعيش حتى أرى أمثالكم تشكون في الحوض لقد تركت عجائز بالمدينة ما تصلِّ واحدة منهن صلاة إلا سألت ربها

(١) لسان العرب لابن منظور ٧/ ١٤١ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/ ٤٦١.

(٢) طبقات الحنابلة ١/ ٢٤٢.

عزوجل أن يوردها حوض محمد ﷺ قال محمد بن الحسين ـ أي الآجري ـ ألا ترون إلى أنس بن مالك رضي الله عنه يتعجب ممن يشك في الحوض إذ كان عنده أن الحوض مما يؤمن به الخاصة والعامة حتى العجائز يسألن الله عزوجل أن يسقيهن من حوضه ﷺ فنعوذ بالله ممن لا يؤمن بالحوض ويكذب به وفيما ذكرناه من التصديق بالحوض الذي أعطاه الله عزوجل نبينا محمد ﷺ كفاية عن الإكثار(١).

٣ ـ وقال ابن عبدالبر: الأحاديث في حوضه ﷺ متواترة صحيحة ثابتة كثيرة والإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب والإقرار به عند الجماعة لازم وقد نفاه أهل البدع من الخوارج والمعتزلة وأهل الحق على التصديق بما جاء عنه في ذلك ﷺ. إلى أن قال رحمه الله: والآثار في الحوض أكثر من أن تحصى وأصح ما ينقل ويروى(٢).

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات الحوض بالكتاب والسنة كما يلي:

أولاً: من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾(٣) روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءةً ثم رفع رأسه مبتسماً فقلت: ما أضحكك

(١) الشريعة للآجري ٣٥٧.
(٢) التمهيد لابن عبدالبر ٢/ ٢٩١.
(٣) سورة الكوثر، الآية: ١.

يارسول الله؟ فقال: «**أنزلت عليَّ آنفاً سورة فقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي خيراً كثيراً هو حوضي ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[١].

وهذه الآية الكريمة تثبت أمرين هما:

الأول: الكوثر وهو نهر من أنهار الجنة وُعِد به رسول الله ﷺ وخصَّ به دون غيره.

الثاني: إثبات الحوض وهو مجمع مصب ماء نهر الكوثر في عرصات القيامة. يرد عليه من تمسك بسنته صلوات الله وسلامه عليه ليشرب شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

ثانياً: من السنة المطهرة:

أما إثبات حوض النبي ﷺ من السنة فقد دلَّت عليه أحاديث كثيرة تبلغ في مجموعها مبلغ التواتر رواها عدد كبير من الصحابة رضوان الله عليهم، يقول ابن حجر رحمه الله في الفتح نقلاً عن القرطبي في المفهم: مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبيه محمداً ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي إذ روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة

---

(١) رواه مسلم ح٤٠٠.

نيف على الثلاثين منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك مما صح نقله واشتهرت رواته ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلم جرا وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف[١].

ومن هذه الأحاديث ما يلي:

١ ـ **حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ليردن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم»[٢].**

٢ ـ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء**»[٣].

٣ ـ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ليردن عليَّ ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[٤].

ووجه الاستدلال في هذه الأحاديث واضح في إثبات أن للنبي ﷺ حوضاً يوم القيامة نسأل الله أن نكون ممن يرد عليه ويشرب منه بمنه وكرمه.

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٤٧٥/١١.

(٢) رواه البخاري ح٦٥٨٣ ومسلم ح٢٢٩٠.

(٣) رواه البخاري ح٦٥٨٠ ومسلم ح٢٣٠٣.

(٤) رواه البخاري ح٦٥٨٢ ومسلم ح٢٣٠٤.

المبحث الثامن
الصــراط

الصراط في اللغة: الطريق الواضح[(١)].

وفي الشرع: جسر منصوب على متن جهنم بين الجنة وأرض المحشر عليه يمر الناس على قدر أعمالهم[(٢)].

والإيمان بالصراط هو مذهب أهل الحق من سلف هذه الأمة وهذا طرف من بعض أقوال أئمتهم وعلمائهم:

١ ـ قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: يوضع الصراط يوم القيامة وله حد كحد الموسى فتقول الملائكة يارب من يمر على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي فيقولون: ياربنا ما عبدناك حق عبادتك[(٣)].

٢ ـ وقال الإمام أحمد بن حنبل: والصراط حق يوضع على شفير جهنم ويمر الناس عليه والجنة من وراء ذلك نسأل الله عزوجل السلامة في الجواز[(٤)].

٣ ـ وقال الإمام ابن بطة العكبري: ثم الإيمان بالبعث والصراط وشعار المؤمنين يومئذٍ سلم سلم والصراط كما جاء في الحديث

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٧/ ٣٤٠ ومختار الصحاح للرازي ١٥١.

(٢) لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ١٨٩.

(٣) ذكره اللالكائي انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم ٢٢٢١.

(٤) طبقات الحنابلة لأبي يعلى ١/ ٢٧.

إنه أحدُّ من السيف وأدقُّ من الشعرة[١].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على وجوب الإيمان بالصراط:

أولاً: بالإشارة الواردة في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾[٢].

ثانياً: من السنة فقد وردت عدة أحاديث تضمنت ذكر الصراط وصفاته وصفة المرور عليه. منها:

١ ـ حديث حذيفة بن اليمان الطويل، وفيه: «**فيأتون محمداً ﷺ فيقوم ويؤذن له وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق قال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال: ألم ترو إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب[٣] معلقة مأمورة بأخذ من أمرت بأخذه فمخدوش ناج ومكدوس في النار**»[٤].

---

(١) الشرح والإبانة لابن بطة العكبري ص٢٢١.

(٢) سورة مريم، الآية: ٧١ـ٧٢.

(٣) كلاليب جمع كلوب وهو حديدة معوجة الرأس/ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/ ١٩٥.

(٤) رواه مسلم ح١٩٥.

٢ ـ حديث أبي هريرة وفيه، قوله ﷺ: «**ويضرب الجسر بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم في ذلك اليوم إلا الرسل، ودعوة الرسل يومئذٍ اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان[١] هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يارسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلَّا الله عزوجل تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم: المخردل ثم ينجو.. إلخ الحديث**»[٢].

٣ ـ حديث أبوسعيد الخدري الطويل وفيه أن النبي ﷺ قال: «**ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فيقولون: اللهم سلم سلم. قيل يارسول الله وما الجسر؟ قال: دحض مزلة[٣] فيه خطاطيف وكلاليب وحسك[٤] تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمن كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب[٥] فناجٍ مسلم ومخدوش مسلم ومكدوس على وجهه في النار**»[٦].

---

(١) السعدان: نبت ذو شوك وهو من جيد مراعي الإبل تسمن عليه/ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/ ٣٦٧.

(٢) رواه البخاري ح٦٥٧٣ ومسلم ح١٨٢.

(٣) الدحض الزَّلَق/ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/ ١٠٤.

(٤) الحسك جمع حسكة وهو شوكة صلبة معروفة/ المصدر السابق ١/ ٣٨٦.

(٥) الركاب الرواحل من الإبل/ المصدر السابق ٢/ ٢٥٦.

(٦) رواه مسلم ح١٨٣.

المبحث التاسع
الميـــزان

الميزان في اللغة: اسم للآلة التي توزن بها الأشياء والوزن هو معرفة قدر الشيء[١].

وفي الشرع: هو ميزان حقيقي له لسان وكفتان توزن به السيئات والحسنات[٢].

ووزن الأعمال يوم القيامة مما وردت به النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسنة المطهرة

وهو عقيدة أهل السنة والجماعة حيث يثبتون أن الله ينصب الميزان يوم القيامة لوزن حسنات وسيئات العباد إظهاراً للعدل وهذه بعض أقوالهم.

١ ـ قال الإمام أحمد: والميزان حق توزن به الحسنات والسيئات كما شاء أن توزن[٣].

٢ ـ عقد الآجري باباً في كتابه الشريعة بعنوان الإيمان بالميزان وأنه حق يوزن به الحسنات والسيئات ثم ساق عدداً كبيراً من الأحاديث والآثار التي تثبت الإيمان بالميزان[٤].

---

(١) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ٥٢٢.
(٢) لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ١٨٤.
(٣) طبقات الحنابلة ١/ ٢٧.
(٤) الشريعة للآجري ٣٨٢.

٣ ـ قال ابن بطة العكبري: وقد اتفق أهل العلم بالأخبار والعلماء والزهاد والعباد في جميع الأمصار أن الإيمان بذلك واجب لازم[١].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات الميزان بما يلي:

أولاً: من الكتاب الكريم:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[٢].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[٣].

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾[٤].

ووجه الاستدلال في هذه الآيات الكريمة ظاهر في إثبات الإيمان بالميزان كما قرر ذلك علماء التفسير[٥].

ثانياً: من السنة المطهرة:

١ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في**

---

(١) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، لابن بطة العكبري ٢٢٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٨، ٩.

(٤) سورة القارعة، الآية: ٦ ـ ٩.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٨/ ١٢٢ و١٧/ ٣٣.

الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»[١].

٢ ـ حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ نائماً ذات يوم ورأسه في حجري فبكيت فقطرت دموعي على خده فانتبه رسول الله ﷺ فقال: مالك؟ قلت: ذكرت القيامة وأهوالها فهل يذكر أحدٌ أحداً يومئذٍ فقال ﷺ: «**أما في ثلاثة مواطن فلا، عند الميزان حتى يعلم أيثقل ميزانه أم يخف، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أن صحيفته توضع في يمينه أو شماله وعلى الصراط**»[٢].

٣ ـ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: «**أنا فاعل**» قلت: يارسول الله فأين أطلبك؟ قال: «**اطلبني أول ما تطلبني على الصراط**»، قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: «**فاطلبني عند الميزان**»، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «**فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطيء هذه الثلاث المواطن**»[٣].

أما نوعية الموزون يوم القيامة فهذا مما اختلف فيه أهل العلم على أقوال:

الأول: أن الذي يوزن هي الأعمال نفسها وأنها توضع في

---

(١) رواه البخاري ح٦٤٠٦ ومسلم ح٢٦٩٤.

(٢) رواه أبوداود ح٤٧٥٥ والإمام أحمد في المسند ٦/ ١١٠ والحاكم ٤/ ٥٧٨ وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين.

(٣) رواه الترمذي ح٢٥٦٣ وقال عنه الألباني في صحيح الترمذي بأنه صحيح ح١٩٨١.

الميزان حيث تأتي الأعمال الحسنة على صورة حسنة، والأعمال السيئة على صورة قبيحة، ودليل أصحاب هذا القول حديث أبي هريرة الصحيح وهو قوله ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[١] وقد وردت نصوص كثيرة تدل على أن الأعمال تأتي يوم القيامة على هيئة أشكال تحاجان عن صاحبهما فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه واقرأوا الزهراوين سورة البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان**[٢] **أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة**». قال معاوية ـ يعني ابن سلام[٣] ـ بلغني أن البطلة السحرة[٤].

الثاني: أن الذي يوزن هو العامل نفسه وأن العباد يوزنون يوم القيامة فيثقلون أو يخفون بقدر إيمانهم لا بضخامة أجسامهم فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال: اقرؤا**

---

(١) رواه البخاري ح٦٤٠٦ ومسلم ح٢٦٩٤.

(٢) قال النووي: الغمامة كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغيرها قال العلماء المراد أن ثوابهما يأتي كغمامة/ شرح صحيح مسلم للنووي ٣/٣٣٨.

(٣) معاوية ابن الإمام أبي سلام الحبشي العربي الشامي وثقه النسائي وغيره وكان من أئمة الدين وقال يحيى بن معين أعده محدث أهل الشام في زمانه وقال عنه أحمد بن حنبل ثقة مات سنة ١٧٠هـ سير أعلام النبلاء ٧/٣٩٧.

(٤) رواه مسلم ح٨٠٤.

﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾[١]»[٢].

الثالث: أن الموزون صحائف الأعمال فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعةً وتسعين سجلاً كل سجل مثل مدّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ يقول: لا يارب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب، فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة ما هذه السجلات فقال: فإنك لا تظلم قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء»[٣].

وقد رجَّح القرطبي هذا القول فقال: والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة وبها تخف. قال ابن عمر: توزن صحائف الأعمال وإذا ثبت هذا فالصحف أجسام فيجعل الله تعالى رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليلاً على كثرة أعماله[٤].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٥.

(٢) رواه البخاري ح٤٧٢٩.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٢٧٣ بلفظ قريب منه ورواه الترمذي ح٢٧٨٩ وابن ماجه ح٤٣٠٠ وقال عنه الألباني بأنه حديث صحيح وله سند آخر بمعناه انظر: صحيح الترمذي للألباني ٢/ ٣٣٣.

(٤) التذكرة للقرطبي ٣١٣.

كما مال إلى هذا القول السفاريني فقال: «والحق أن الموزون صحائف الأعمال وصححه ابن عبدالبر وغيرهما وذهب إليه جمهور من المفسرين»[١].

ويمكن الجمع بين ما دلت عليه النصوص التي أوردها أصحاب كل قول بالقول بأن الذي يوزن هو العامل وعمله وصحف أعماله وهو ما رجحه الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله. بعد أن أضاف قولاً رابعاً هو بمعنى القول الأول حيث يقول:

والذي استظهر من النصوص والله أعلم أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل من ذلك ولا منافاة بينها ويدل لذلك ما رواه أحمد رحمه الله تعالى عن عبدالله بن عمرو في قصة صاحب البطاقة بلفظ قال: قال رسول الله ﷺ: توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصى عليه فيمايل به الميزان قال: فيبعث به إلى النار قال فإذا أدبر إذا صائح من عند الرحمن عزوجل يقول: لا تعجلوا فإنه قد بقي له فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل الميزان[٢] فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفة وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن ولله الحمد والمنة[٣]..

---

(١) لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ١٨٧.

(٢) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

(٣) معارج القبول لحافظ الحكمي: ٢/ ٨٤٨.

المبحث العاشر

الجنة والنار

الجنة هي الدار التي أعدَّها الله لعباده المؤمنين الخاضعين لشريعته والمتبعين لرسله وهي دار النعيم والثواب المقيم أعدَّ الله فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[(١)] ومن دخلها فقد فاز الفوز العظيم وربح الربح الذي ليس بعده خسارة، يقول عزوجل: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾[(٢)].

والنار هي الدار التي أعدَّها الله للكافرين به المكذبين لرسله المتمردين على شريعته فهي الخزي الأكبر والخسران العظيم يقول عزوجل: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾[(٣)] أعدَّ الله فيها من العذاب والنكال ما لا تتصوره العقول يقول الله عزوجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾[(٤)].

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٦٣.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٤٧.

والإيمان بالجنة والنار من أهم قضايا الإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان مما لا يتم الإيمان إلا بها.

وفيما يلي عرض لمذاهب أهل السنة والجماعة في هذه القضية:

أولاً: أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن:

وهو معتقد أهل السنة والجماعة وهذه بعض أقوال أئمتهم وعلمائهم:

١ ـ قال الإمام أحمد رحمه الله: «وأن الله خلق الجنة قبل الخلق وخلق لها أهلاً ونعيمها دائم ومن زعم أنه يبيد من الجنة شيء فهو كافر وخلق النار قبل خلق الخلق وخلق لها أهلاً وعذابها دائم»[(١)].

٢ ـ عقد الآجري كتاباً مطولاً في كتابه الشريعة بعنوان: «كتاب الإيمان والتصديق بأن الجنة والنار مخلوقتان، ثم قال: اعلموا رحمنا الله وإياكم أن القرآن شاهد على أن الله عزوجل خلق الجنة والنار قبل أن يخلق آدم عليه السلام، وخلق للجنة أهلاً وللنار أهلاً قبل أن يخرجهم إلى الدنيا لا يختلف في هذا من شمله الإسلام وذاق حلاوة طعم الإيمان دل على ذلك القرآن والسنة فنعوذ بالله ممن كذب بهذا، ثم أورد كثيراً من نصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة يثبت بها ما ذكره»[(٢)].

---

(١) رسالة الإمام أحمد التي بعثها لمسدد بن مسرهد ذكرها أبويعلى في طبقات الحنابلة ١/ ٣٤٤.

(٢) الشريعة للآجري ٣٨٧.

٣ ـ قال ابن عبدالبر عند ذكره لحديث صلاة الكسوف: «وفي الحديث أيضاً من ذكر الجنة والنار دليل على أنهما مخلوقتان وعلى ذلك جماعة أهل العلم وأنهما لا يبيدان من بين سائر المخلوقات وأهل البدع ينكرون ذلك»[١].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على ما ذهبوا إليه من القول بأن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن بالأدلة الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

أولًا: من القرآن الكريم:

١ ـ **قوله تعالى عن الجنة:** ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾[٢].

٢ ـ **قوله تعالى عن الجنة أيضاً:** ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾[٣].

٣ ـ **قوله جل جلاله عن النار:** ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾[٤].

ثانياً: من السنة المطهرة:

١ ـ حديث عائشة رضي الله عنها قالت: خسفت الشمس فقام النبي ﷺ فقرأ سورة طويلة ثم ركع فأطال ثم رفع رأسه ثم استفتح بسورة أخرى ثم ركع حتى قضاها وسجد ثم فعل ذلك في الثانية

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر ٣/ ٣٢٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٣٤، وسورة آل عمران، الآية: ١٣١.

ثم قال: «إنهما آيتان من آيات الله فإذا رأيتم ذلك فصلوا حتى يفرج عنكم لقد رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدته حتى لقد رأيتني أريد أن آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتموني جعلت أتقدم ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت ورأيت فيها عمرو بن لُحَيٍّ[١] وهو الذي سيب السوائب»[٢].

٢ ـ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف فإني أراكم من أمامي ومن خلفي ثم قال: والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً قالوا: وما رأيت يارسول الله قال: رأيت الجنة والنار»[٣].

٣ ـ حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»[٤].

ووجه الاستدلال في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ظاهر

---

(١) عمرو بن لُحيَّ بن حارثة الأزدي أول من بدل دين إسماعيل ودعى العرب إلى عبادة الأوثان كنيته أبوثمامة كان قد تولى حجابة البيت الحرام بمكة وزار بلاد الشام فوجد أهلها يعبدون الأصنام وأعجب عمرو بتلك الأصنام فأخذ عدداً منها ونصبها بمكة ودعا الناس إلى تعظيمها والاستشفاء بها/ الأعلام للزركلي ٥/ ٨٤.

(٢) رواه البخاري ح١٢١٢ ومسلم ح٩٠١.

(٣) رواه مسلم ح٤٢٦.

(٤) رواه البخاري ٦٥٤٦ ومسلم ح٢٧٣٧.

فإن الله أخبر أنه أعد الجنة وما فيها لأهل التقوى والإيمان وأعد النار وما فيها لأهل الكفر والنفاق والإعداد فيه التصريح بثبوت الشيء وتحققه وأنه مخلوق وموجود الآن كما أن الرسول ﷺ أخبر أنه رأى الجنة والنار واطلع عليهما وعلى أهلهما ومعنى هذا أنهما مخلوقتان وموجودتان الآن وهو معتقد أهل السنة والجماعة.

ثانياً: أن الجنة والنار باقيتان لا تفنيان أبداً:

وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة وهذه المسألة مما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة حيث يقولون بعدم فنائهما وإلى أنهما باقيتان أبد الآبدين وهذه بعض أقوالهم:

١ - قال الإمام أحمد رحمه الله وقد خلقت النار وما فيها وخلقت الجنة وما فيها خلقهما الله عزوجل ثم خلق الخلق لهما لا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عزوجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[1] وبنحو هذا من متشابه القرآن قيل له: كل شيء مما كتب الله عزوجل عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقهما الله للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا[2].

٢ - قال ابن عبدالبر رحمه الله: قال أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا تبيدان لأنهما إذا كانتا لا تبيدان حتى تبيد الدنيا ومعلوم أن الدنيا إذا انقرضت بقيام الساعة جاءت الاخرة

(١) سورة القصص، الآية: ٨٨.
(٢) طبقات الحنابلة ١/ ٢٨.

والآخرة غير خالية من جهنم كما أنها غير خالية من الجنة لأن الجنة رحمة الله تعالى والنار عذابه يصيب بها من يشاء من عباده[١].

٣ ـ قال ابن تيمية رحمه الله: وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك»[٢].

وقد استدل عامة أهل السنة على ما ذهبوا إليه من القول بخلود الدارين ـ أعني الجنة والنار وعدم فنائهما ـ بأدلة الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة:

أولاً: من القرآن الكريم:

١ ـ قوله تعالى في الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾[٣].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[٤].

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر ٥/ ١٠.
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٨/ ٣٠٧.
(٣) سورة النساء، الآية: ٥٧
(٤) سورة التوبة، الآية: ٢٠ ـ ٢٢.

مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾[١].

٤ ـ وقال تعالى في النار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾[٢].

٥ ـ ويقول سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾[٣].

٦ ـ ويقول جل وعلا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾[٤].

ووجه الاستدلال في تلك الآيات أن الله ذكر أن أهل النعيم يتنعمون في الجنة بصفة أبدية دائمة وأنهم لن يخرجوا منها كما أخبر عن أهل النار أنهم أيضاً يعذبون فيها بشكل دائم وبصورة متواصلة وأنهم لن يخرجوا منها.

ثانياً: من السنة المطهرة:

١ ـ حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم ياأهل النار لا موت ياأهل الجنة لا موت. خلود»**[٥].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٧ ـ ٤٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٨ ـ ١٦٩.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٧.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٦٧.
(٥) رواه البخاري ٦٥٤٤ ومسلم ح٢٨٥٠.

٢ ـ حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال ياأهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرئبون**[١] **وينظرون ويقولون نعم: هذا الموت. ويقال ياأهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون فيقولون: نعم هذا الموت. قال: فيؤمر به فيذبح ثم يقال: ياأهل الجنة خلود فلا موت وياأهل النار خلود فلا موت**». قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾[٢]»[٣].

٣ ـ حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: ينادي منادٍ إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبداً فذلك قوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾[٤][٥].

ودلالة هذه الأحاديث على بقاء الجنة والنار وبقاء أهلها بها للنعيم أو للعذاب ظاهرة ولله الحمد والمنة. هذا بالنسبة للجنة بالذات، أما بالنسبة للنار فقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن شيخ الإسلام ابن تيمية قال في أبدية النار قولان معروفان عن السلف

---

(١) يشرئبون: أي يرفعون رؤوسهم لينظروا/ النهاية لابن الأثير ٢/ ٤٥٥.
(٢) سورة مريم، الآية: ٣٩.
(٣) رواه البخاري ح٤٧٣٠ ومسلم ح٢٨٤٩.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.
(٥) رواه مسلم ح٢٨٣٧.

والخلف وأن النزاع في ذلك معروف عن التابعين ثم ساق طرق الذين قطعوا بدوام النار وخلودها وعدم فنائها، وهي:

١ ـ اعتقاد الإجماع فكثير من الناس يعتقدون أن هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين لا يختلفون فيه وأن الاختلاف حادث وهو من أقوال أهل البدع.

٢ ـ أن القرآن دل على ذلك دلالة قطعية، فإنه سبحانه أخبر أنه عذاب مقيم، وأنه لا يفتر، عنهم وأنه لن يزيدهم إلا عذاباً وأنهم خالدون فيها أبداً، وما هم بخارجين من النار، وما هم منها بمخرجين، وأن الله حرم الجنة على الكافرين، وأنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، وأنهم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها، وأن عذابها كان غراماً أي مقيماً لازماً قالوا: وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره.

٣ ـ أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان دون الكفار وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة بخروج عصاة الموحدين من النار وأن هذا حكم مختص بهم فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

٤ ـ أن الرسول ﷺ وقفنا على ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلى نقل معين كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها.

٥ ـ أن عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان

وأنهما لا يفنيان بل هما دائمتان وإنما يذكرون فنائها عن أهل البدع.

٦ ـ أن العقل يقضي بخلود الكفار في النار لأن النفوس البشرية باقية واعتقاداتها وصفاتها لازمة لها لا تفارقها وإن ندمت عليها لما رأت العذاب فلم تندم عليها لقبحها أو كراهة ربها لها بل لو فارقها العذاب لرجعت كما كانت يقول عزوجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾[1] فهؤلاء قد ذاقوا العذاب وباشروه ولم يزل سببه ومقتضيه من نفوسهم بل خبثها وكفرها قائم بها لم يفارقها بحيث لو ردوا لعادوا كفاراً كما كانوا وهذا يدل على أن دوام تعذيبهم يقضي به العقل كما جاء به السمع[2].

ثم ذكر بعد ذلك جواب القائلين بفناء النار على هذه الأدلة بما لا إقناع فيه مع صراحة الأدلة التي تضمنها الكتاب الكريم والسنة المطهرة مما سبق إيراده ولا مجال للعقل في الخوض فيه مادام الله عزوجل ورسوله ﷺ قد أخبرا بشكل صريح وواضح إلى خلود الدارين وخلود أهلهما وعدم فنائهما.

ويلاحظ أن ابن القيم رحمه الله لم يرجح أي القولين أولى بالصواب حيث قال: فهذه نهاية أقدام الفريقين في هذه المسألة

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) حادي الأرواح لابن القيم ٢٥٤ بتصرف يسير وشفاء العليل ٥١٨ بأسلوب قريب منه.

ولعلك لا تظفر به في غير هذا الكتاب فإن قيل فإلى أين انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة قيل إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾[1] وإلى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء وقال ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء[2].

ورغم أن كلامه في كتابه شفاء العليل يوحي بميله إلى رأي

---

(١) سورة هود، الآية: ١٠٧.

(٢) حادي الأرواح ٢٧٤.

وفي شفاء العليل إضافة إلى ذلك قوله رحمه الله: وأنا في هذه المسألة على قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ووصف ذلك أحسن صفة ثم قال: ويفعل الله بعد ذلك في خلقه ما يشاء. وعلى مذهب عبدالله بن عباس رضي الله عنهما حيث يقول: (لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً) وذكر ذلك في تفسير قوله: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الأنعام: ١٢٨. وعلى مذهب أبي سعيد الخدري حيث يقول: (انتهى القرآن كله إلى هذه الآية ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾ هود: ١٠٧. وعلى مذهب قتادة حيث يقول في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ الله أعلم بتبيينه على ما وقعت.

وعلى مذهب ابن زيد حيث يقول (أخبرنا الله الذي يشاء لأهل الجنة فقال ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾ هود ١٠٨ ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار).

والقول بأن النار وعذابها دائم بدوام الله خبر عن الله بما يفعله فإن لم يكن مطابقاً لخبره عن نفسه بذلك وإلا كان قولاً عليه بغير علم والنصوص لا تفهم ذلك والله أعلم). شفاء العليل لابن القيم ٥٢٢.

القائلين بفناء النار وعدم أبديتها[١] فإنه قد صرح بأن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع حيث يقول: «والمقصود أن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة السلف والذين قالوه إنما تلقوه من قياس فاسد كما اشتبه أصله على كثير من الناس فاعتقدوه حقًا»[٢].

ويقول في الوابل الصيب: «ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب يشينه خبث وخبث لا طيب فيه وآخرون فيهم خبث وطيب كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض وهاتان الداران لا تفنيان ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبث المحض»[٣].

ومثل ذلك موجود في كثير من مؤلفاته[٤] وهو ما يتفق مع منهجه في الاستدلال باعتباره من أئمة أهل السنة والجماعة ومن أكابر الدعاة إليها رحمه الله رحمة واسعة.

وقد حاول بعض الباحثين المعاصرين تبرئة الشيخين أعني ابن

---

(١) انظر: شفاء العليل لابن القيم ٥٠٦ ـ ٥١٨.

(٢) حادي الأرواح ٢٤٧.

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم ٣٣.

(٤) انظر: زاد المعاد ١/٦٦، واجتماع الجيوش الإسلامية، ٩١ وطريق الهجرتين ٢٥٤.

تيمية وابن القيم مما نسب إليهما أو فُهِمَ من كلامهما ومنهم... الدكتور بكر أبوزيد في كتابه «ابن القيم حياته وآثاره» ص١٤٨ والدكتور عبدالله محمد جار النبي في كتابه «ابن القيم وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف» ص٥٦٧ والله أعلم.

ثالثا: أن الجنة الموعودة هي الجنة التي كان فيها آدم وحواء:

وهذه المسألة محل نزاع بين أهل السنة والجماعة رحمهم الله وقد ذكر ابن القيم أن للعلماء فيها قولين مشهورين:

الأول: أن الجنة التي أسكنها آدم وحواء ثم إهبطا منها هي جنة الخلد.

الثاني: أنها جنة أخرى غيرها في موضع عالٍ من الأرض ثم ساق حجج الفريقين فقال:

«حجج من اختار أنها جنة الخلد التي يدخلها الناس يوم القيامة.

١ - قالوا: قولنا هذا هو الذي فطر الله عليه الناس صغيرهم وكبيرهم لم يخطر بقلوبهم سواه وأكثرهم لا يعلم في ذلك نزاعاً.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾[١] فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة إلى الأرض من وجهين:

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٥، ٣٦.

أ ـ من لفظه اهبطوا فإنه نزول من علو إلى سفل.
ب ـ قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ عقب قوله: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ قد دلَّ على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض.

٣ ـ لو كانت تلك الجنة في الدنيا لعلم آدم كذب إبليس في قوله: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾[1] فإن آدم كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية وأن ملكها يبلى.

٤ ـ أن الجنة جاءت معرفة بلام التعريف في جميع المواضع كقوله تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[2] ونظائره ولا جنة يعهدها المخاطبون ويعرفونها إلا جنة الخلد التي وعد الرحمن عباده بالغيب فقد صار هذا الإسم علماً عليها بالكلية كالمدينة والنجم والبيت والكتاب ونظائرها فحيث ورد لفظها معرفاً انصرف إلى الجنة المعهودة المعلومة في قلوب المؤمنين.

ثم ساق حجج القائلين بأنها ليست جنة الخلد وإنما هي جنة في الأرض فقال:

١ ـ قد أخبر الله سبحانه على لسان جميع رسله أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد. وأنها دار المقامة وأن من دخلها أقام بها وأن لها صفات ليست في الجنة التي دخلها آدم من كونها دار خلد ودار ثواب لا دار تكليف ودار سلامة لا دار ابتلاء ودار لا يعصى الله بها. وأنها

---

(١) سورة طه، الآية: ١٢٠.
(٢) سورة البقرة: الآية٣٥.

دار قرار ولم يستقر بها الأبوان وليست دار خوف ولا حزن، وقد حصل للأبوين فيها من الحزن والخوف ما حصل ودار سلام ولم يسلم فيها الأبوان من الفتنة وأنه لا لغو فيها ولا تأثيم ولا كذب وقد سمع فيها آدم من إبليس اللغو والإثم والكذب.

٢ ـ أن الله خلق آدم في الأرض ولم يذكر في موضع واحد أصلاً أنه نقله إلى السماء بعد ذلك ولو كان قد نقله بعد ذلك إلى السماء لكان هذا أولى بالذكر. لأنه من أعظم الآيات ومن أعظم النعم عليه.

٣ ـ أن الله أخبر ملائكته أنه جاعل في الأرض خليفة أي آدم فكيف يسكنه دار الخلد التي من دخلها خلد فيها ولا يخرج منها.

٤ ـ من المعلوم الذي لا ينازع فيه مسلم أن الله سبحانه خلق آدم عليه السلام من تربة هذه الأرض وأن ما فوق السموات ليس بمكان للطين الأرضي.

بعد ذلك أورد جواب أرباب القول الثاني على حجج أصحاب القول الأول. فقال:

١ ـ أما قولكم أن قولنا هو الذي فطر الله عليه عباده بحيث لا يعرفون سواه فالمسألة سمعية لا تعرف إلا بإخبار الرسل ونحن وأنتم إنما تلقينا هذا من القرآن لا من المعقول ولا من الفطرة. فالمتبع فيه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ونحن نطالبكم بصاحب واحد أو تابع أو أثر صحيح أو حسن بأنها جنة الخلد.

٢ ـ أما استدلالكم بقوله تعالى: ﴿وقلنا اهبطوا﴾ عقيب إخراجهم من الجنة فلفظ الهبوط لا يستلزم النزول من السماء إلى الأرض

وغايته أن يدل على النزول من مكان عال إلى أسفل منه وهذا غير منكر فإن كانت جنة في أعلى الأرض فاهبطوا منها إلى الأرض وأما قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ فهذا لا يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض فإن الأرض اسم جنس وكانوا في أعلاها وأطيبها وأفضلها لا يدركهم فيه جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا ضحى فاهبطوا إلى أرض يعرض فيها ذلك كله.

٣ ـ أما قولكم أن آدم كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية فلو كانت الجنة فيها لعلم كذب إبليس في قوله هل أدلك على شجرة الخلد فجوابه من وجهين:

أ ـ أن اللفظ إنما يدل على الخلد وهو أعم من الدوام وهو في اللغة المكث الطويل.

ب ـ أن العلم بانقطاع الدنيا ومجيء الآخرة إنما يعلم بالوحي ولم يتقدم لآدم عليه السلام نبوة يعلم بها ذلك.

٤ ـ وأما قولكم أن الجنة وردت معرفة باللام التي للعهد فقد وردت معرفة باللام غير مراد بها جنة الخلد قطعاً كقوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾[(١)].

وفي نهاية المحاكمة ساق ردود أصحاب القول الأول على استدلالات أصحاب القول الثاني القائلين بأنها ليست جنة الخلد فقال:

١ ـ أما قولكم أن الله سبحانه أخبر أن جنة الخلد إنما يقع الدخول

(١) سورة القلم، الآية: ١٧.

إليها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد. فهذا حق في الدخول المطلق الذي هو دخول استقرار أما الدخول العارض فيقع قبل يوم القيامة فقد دخل النبي ﷺ الجنة ليلة الإسراء وأخبر أن أرواح المؤمنين والشهداء في البرزخ في الجنة وهذا غير الدخول الذي أخبر الله به يوم القيامة وما ذكرتموه من الصفات التي توجد في الجنة وأنها لا توجد في جنة آدم من العري والنصب والحزن والكذب فهذا حق ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة.

٢ ـ وأما استدلالكم بكون آدم خلق من الأرض فمن أيد لكم أنه كمَّل خلقه فيها مع أن قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[١] دليل على أنه كان معهم في السماء حيث أنبأهم بتلك الأسماء وإلا فهم لم ينزلوا كلهم إلى الأرض حتى سمعوا منه ذلك ولو كان خلقه قد كمل في الأرض لم يمتنع أن يصعده سبحانه على السماء لأمر دبَّره وقدَّره فقد أصعد المسيح عليه السلام إلى السماء وقد أسري ببدن رسول الله ﷺ وروحه إلى السماء[٢].

هذا ملخص حجج الفريقين وكم كنا نود أن ابن القيم رحمه الله بعد ذلك رجَّح أي القولين أقرب إلى الصواب ولكنه توقف في ذلك لقوة أدلة كل فريق ونحن نتوقف في ذلك كما توقف ونكل علم ذلك إلى علام الغيوب ونستغفر الله من كل ذنب ونتوب.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣١.

(٢) حادي الأرواح لابن القيم ص(١٩).

الباب الحادي عشر
الصوفية

وفيه مباحث:

المبحث الأول: **تعريف التصوف**

المبحث الثاني: **نشأة التصوف.**

المبحث الثالث: **مراحل التصوف**

المبحث الرابع: **الآداب عند الصوفية**

المبحث الخامس: **السماع عند الصوفية**

المبحث السادس: **الولاية والكرامة عند أهل السنة والصوفية والمتكلمين**

المبحث الأول
تعريف التصوف

التصوّف لغة: تباينت أقوال العلماء في الاشتقاق اللغوي لكلمة التصوف وهل هي مأخوذة من الصفاء أو الصوف أو من الصُفَّة أو الصفِّ أو غير ذلك.

فالذين قالوا إنها مشتقة من الصفاء الروحي والشفافية النفسية يعللون هذا القول بأن الصوفية تعني تلك المعاني السامية والمبادىء الرفيعة

إلاَّ أن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يرد هذا الاشتقاق لعدم صحته لغوياً، «إذ اشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة، وكان حقه أن يقال صفائية أو صفوية»[١].

ومن الصوفية من ينسبها إلى الصفَّة وهي المكان الذي كان يقيم فيه بعض فقراء المهاجرين بمسجد رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة، ممن لم يكن لهم أهل ولا دور ينزلون بها والذين كانوا قد فرَّغوا أنفسهم لطلب العلم والتعبد.

غير أن القشيري[٢] لا يسلِّم بصحة هذه النسبة بقوله: «فالنسبة

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٣٦٩).

(٢) عبدالكريم بن هوازن القشيري الصوفي، صاحب كتاب الرسالة، المصنف في الكلام على الصوفية وأحوالهم وأخلاقهم. ولد سنة ٣٧٥هـ، وكان عديم النظير في السلوك والتذكير، لطيف العبارة، طيب الأخلاق، ويعتبر من شيوخ =

إلى الصفة لا تجيء على نحو صوفي»[١].

وقال بعضهم: إنها منسوبة إلى الصف الذي من معانيه الصف الأول في الصلاة، والصف المقدم بين يدي الله في عموم الطاعات والقربات.

ولكن القشيري يعترض ـ أيضاً ـ على ذلك لغوياً رغم تسليمه بصحة المعنى الدال على أنهم كأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة مع الله تعالى فيقول: «ومن قال نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله قيل له كان حقه أن يقال صَفِّيَة»[٢].

ثم يرجِّح أنه لا يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق وأنه كاللقب[٣].

إلاَّ أن شيخ الإسلام ابن تيمية يرجح أن التصوّف منسوب إلى لبس الصوف فيقول:

«وكان السلف يسمون أهل الدين والعلم: القُرَّاء، فيدخل فيهم العلماء والنُسَّاك، ثم حدث بعد ذلك اسم الصوفية الفقراء واسم الصوفية هو نسبة إلى لباس الصوف هذا هو الصحيح.

وقد قيل أنه نسبة إلى صفوة الفقهاء.

وقيل إلى صوفة بن أدّ بن طابخة قبيلة من العرب كانوا يعرفون

= التصوف في خراسان. مات سنة (٤٦٥هـ).
سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٢٧).

(١) الرسالة للقشيري (٢/ ٥٥٠).

(٢) الرسالة للقشيري (٢/ ٥٥٠).

(٣) الرسالة للقشيري (٢/ ٥٥٠).

بالنسك. وقيل إلى أهل الصفة، وقيل إلى الصفا وقيل إلى الصفوة، وقيل إلى الصف المقدم بين يدي الله تعالى. وهذه أقوال ضعيفة فإنه لو كان كذلك لقيل صُفِّي وصفائيٍّ أو صَفَوِيٍّ أو صفِّي ولم يقل صوفي[(١)].

ومع التسليم برجحان هذه النسبة إلاَّ أن القشيري كعادته يعترض على ذلك بأن الصوفية ليسوا وحدهم الذين يلبسون الصوف بل يشاركهم غيرهم فما الداعي لتخصيص الصوفية بهذه النسبة دون غيرهم[(٢)].

وممن تصدى للرد على هذا الاعتراض ابن خلدون[(٣)] من طريقين:

الأول: أنه لو استعرضنا طوائف الناس كالصناع والزراع والعمال لا نجد أن طائفة منهم يغلب على أفرادها لبس الصوف كما غلب على طائفة الصوفية.

الثاني: أن هذه الطائفة كانت تلبس الصوف زهداً وتورعاً عن لبس فاخر الثياب، أما سائر الناس من غيرهم فيلبسونه لا لهذا

---

(١) فتاوى ابن تيمية (١١/ ١٩٥).

(٢) الرسالة للقشيري (٢/ ٥٥٠).

(٣) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الفيلسوف المؤرخ العالم الاجتماعي البحاثة، ولد سنة ٧٣٢هـ، وكان فصيحاً جميل الصورة عاقلاً صادق اللهجة، عزوفاً عن الضيم، طموحاً للمراتب العالية، له عدة مصنفات من أشهرها العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر وهو سبعة مجلدات أولها المقدمة الذي يعتبر من أصول علم الاجتماع مات سنة (٨٠٨هـ). الأعلام للزركلي (٣/ ٣٣٠).

الغرض الذي ينشده الصوفي وحينئذ يكون تميزهم بلبس الصوف أمراً واضحاً»[١].

التصوف اصطلاحاً:

من الصعب تعريف التصوف بعبارة جامعة مانعة لكثرة التعاريف التي وردت على ألسنة كثير من العلماء وبعض كبار المتصوفة والتي لا تخرج في عمومها عن أنه وصف حال الإنسان المنقطع للعبادة الزاهد في الدنيا المعرض عن زخارف الحياة. وهذا بعض أقوالهم:

١ـ يُعرِّف شيخ الإسلام ابن تيمية التصوف بأنه: «نوع من الصديقية فهو أي الصوفي الصدِّيق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي اجتهدوا فيه فكان الصدِّيق من أهل هذه الطريق كما يقال صدِّيقوا العلماء وصدِّيقوا الأمراء فهو أخصّ من الصدِّيق المطلق ودون الصدِّيق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم»[٢].

٢ـ يُعرِّف ابن خلدون أصل التصوف بأنه: «العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يُقْبِل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد للخلوة في العبادة»[٣].

---

(١) مقدمة ابن خلدون (٣٣٤).
(٢) فتاوى ابن تيمية (١١/١٧).
(٣) مقدمة ابن خلدون (٣٣٣).

٣ـ سهل بن عبدالله التستري[١] يُعرِّف الصوفي بأنه: «من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع إلى الله عن البشر واستوى عنده الذهب والمدر»[٢].

وكما هو واضح فإن تعريفات المتصوفة يكتنفها الغموض وتطغى عليها الإشارات العامة والعبارات المنمقة.

---

(١) سهل بن عبدالله التستري: شيخ العارفين الصوفي الزاهد له كلمات نافعة ومواعظ حسنة، وقدم راسخ في الطريق كان يحث على طلب العلم، وعندما سئل إلى متى يكتب الرجل الحديث قال: حتى يموت ويصب باقي حبره في قبره، ومن كلامه: أصولنا ستة: التمسك بالقرآن، والاقتداء بالسنة، وأكل الحلال، وكف الأذى، والتوبة، وأداء الحقوق. مات سنة (٢٨٣هـ). سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٠). وشذرات الذهب (٢/ ١٨٢). وطبقات الشعراني (١/ ٦٦).

(٢) التعرف للكلاباذي (ص٩).

المبحث الثاني
نشأة التصوف

من الخطأ الواضح أن يفسر سلوك بعض العبَّاد في القرنين الأول والثاني والمتمثل في نزعتي الزهد والتقشف وكثرة العبادة والإقبال على الأعمال الصالحة بأن هذا السلوك هو الأساس التاريخي لظاهرة التصوف وإذا كان قد وجد في القرون المفضلة من اختط لنفسه هذا المنهج صقلاً لنفسه وتطهيراً لروحه فإن ذلك لم يكن إلاَّ استجابة للدعوة التي تضمنتها رسالة الإسلام الخالدة في الترغيب في الآخرة والتزهيد في الدنيا بالمفهوم الشرعي للزهد.

وقد اختلفت آراء الباحثين في نشأة التصوف وفي البيئة التي نبتت فيها بذرته الأولى ويمكن حصر هذه الآراء في رأيين اثنين:

الأول: أن التصوف إسلامي النشأة وأن أصوله العقائدية والسلوكية مستمدة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة وفعل السلف ويتزعم أصحاب هذا القول ابن خلدون حيث يقول في مقدمته:

«هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف فلما فشى الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى

مخالطة الدنيا: اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة»[١].

وقد استدل أصحاب هذا الرأي بأن الأصول التي يبني عليها المتصوفة مذهبهم من أحوال ومقامات ومجاهدات كالتوبة والورع والزهد والذكر والصبر والمراقبة كلها أمور أمر الله بها في كتابه وحث عليها رسوله ﷺ في سنته وطبّقها وعمل بها صحابته رضوان الله عليهم وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون ـ رضي الله عنهم ـ حتى جعل الشعراني في طبقاته الخلفاء الراشدين أول رجال طبقات الصوفية[٢].

وسبب ذلك هو الخلط بين مفهوم الزهد والورع والمراقبة، والتي هي خلق الأنبياء وعباد الله الصالحين الذين يؤثرون ما عند الله على التنعم والتلذذ والاشتغال بالمباحات والتي يخشون أن تجرهم إلى الوقوع في المخالفات فكانوا يتركون ما لا بأس به مخافة الوقوع فيما به بأس وهذا لكمال علمهم بالله عز وجل ورغبتهم فيما عنده، وبين التصوف بمناهجه وفلسفته وهواتفه وأحواله.

الثاني: أن الإسلام حين جاء كانت الصوفية منتشرة في كل البلاد التي دخلها فكانت منتشرة في جزيرة العرب باسم الكهانة وفي الهند وبلاد فارس لأن ديانتهم تقوم على أساس الرياضة والرؤى والمكاشفات، وكانت منتشرة في النصرانية التي كانت تسيطر على مصر والشام والعراق واليمن. وكذلك اليهودية وكان يطلق على

---

(١) مقدمة ابن خلدون (٣٣٣).

(٢) الطبقات للشعراني (١/ ١٥ـ٢٣).

الشيخ اسم الكاهن أو العارف أو العرَّاف أو ما يرادفها في اللغات الأخرى.

ولما جاء الإسلام اختبأت وراء الأسوار حتى استطاع كهانها أن يجدوا لها صيغة ملائمة أظهروها بها أمام أعين الناس ثم دعوهم إليها.

وقد عرف هذه الحقيقة بعض علماء الصوفية القدامى مثل شهاب الدين السهروردي[١] الذي يقول:

«وأما أنوار السلوك في هذه الأزمنة القريبة فخميرة الفيثاغوريين رفعت إلى أخي أحميم (أي ذا النون المصري)[٢] ومنه نزلت إلى سيار تستر أي (سهل التستري) وشيعته وأما خميرة الخسروانيين في السلوك فهي نازلة إلى سيار بسطام (أبويزيد البسطامي)[٣]. ومن

---

(١) الفيلسوف شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي كان يتوقد ذكاءً، إلاَّ أنه قليل الدين، وكان بارعاً في أصول الفقه مفرطاً في الذكاء، ولم يناظر أحداً إلاَّ أربى عليه. قال عنه الذهبي: «كان أحمق طياشاً منحلاً». قتل سنة (٥٨٧هـ). سير أعلام النبلاء (٢١/ ٢٠٧).

(٢) ذا النون المصري: شيخ الديار المصرية ثوبان بن إبراهيم كان لا يتقن الحديث، وكان واعظاً فصيحاً عالماً حكيماً، وقد رمي بالزندقة. مات سنة (٢٤٦هـ). سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٣٢). وطبقات الشعراني (١/ ٥٩).

(٣) أبويزيد طيفور بن عيسى البسطامي: كان يقول: «لو نظرت إلى من أعطي من الكرامات حتى يطير فلا تغتروا به حتى تروا كيف هو عند الأمر والنهي وحفظ حدود الشرع» ونقل عنه أشياء مشكلة لا مساغ لها ولكن كما يقول الذهبي: الشأن في ثبوتها عنه فتطوى ولا تروى إذ ظاهرها إلحاد مثل سبحاني، وما في الجبة إلاَّ الله، وماالمحدثون إن خاطبهم رجل عن رجل فقد خاطبنا القلب عن=

بعده إلى فتى بيضاء (الحلاج)[١] ومن بعده إلى سيار آمل وخرقان (أبي الحسن الخراقاني)[٢]»[٣].

وخلاصة هذا الرأي أن التصوف ليس إسلامي النشأة وإنما هو مزيج من العبادات الفارسية واليونانية والنصرانية واليهودية ودليل أصحاب هذا الرأي بالإضافة إلى ما ذكرنا أن علماء الصوفية إنما نشأوا في بلاد فارس وأن هناك أوجه شبه كثيرة بين الصوفية وبين أهل تلك البلدان في اعتقاداتهم وعباداتهم وخاصة في عقائد الرمز والظاهر والباطن والتأويل وغيرها. ويؤيد هذا الرأي ما ذهب إليه أبونصر السراج[٤] من أن منشأ التصوف كان في الجاهلية قبل الإسلام[٥].

= الرب. توفي سنة (٢٦١هـ). سير أعلام النبلاء (١٣/ ٨٦). وطبقات الشعراني (١/ ٦٥).

(١) الحلاج هو الحسين بن منصور الصوفي كان جده مجوسياً صحب سهل التستري والجنيد وأكثر الترحال، وقد تبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ لسوء سيرته ونسبوه إلى الحلول والزندقة، قتل مصلُوباً بعد أن قطعت يداه ورجلاه وضرب ألف سوط وأحرقت جثته ونثر رمادها في نهر دجلة سنة (٣٠٩هـ). سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣١٣). وطبقات الشعراني (١/ ٩٢).

(٢) لم أجدله ترجمة في كتب السير والتراجم ولا في طبقات الصوفية.

(٣) ولاية الله والطريق إليها لإبراهيم هلال (١٧١).

(٤) عبدالله بن علي الطوسي أبونصر السراج: زاهد كان شيخ الصوفية على طريقة السنة، له كتاب اللمع في التصوف. مات سنة (٣٧٨هـ). شذرات الذهب (٣/ ٩١). الأعلام للزركلي (٤/ ١٠٤).

(٥) اللمع لأبي نصر السراج (٤٢).

وبالتأمل والنظر في كلا الرأيين نجد أن المبالغة قد طغت على أصحاب كل رأي.

فالرأي الأول بالغ أصحابه فيه حين جعلوا التصوف إسلامي النشأة ووصفوا جميع الصحابة وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون بأنهم من المتصوفة.

وأصحاب الرأي الثاني بالغوا أيضاً حين جعلوا أصول التصوف مستنبطة من الديانات القديمة ومن المذاهب والفلسفات اليونانية وإن كان أصحاب هذا الرأي على حق إذا ما عنوا به التصوف المنحرف الذي وصل بأصحابه إلى القول بالحلول ووحدة الوجود.

وأعدل الأقوال في نشأة التصوف هو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يذهب إلى أن بداية نشأته كانت في أوائل القرن الثاني لكنه لم يشتهر إلاَّ في القرن الثالث فيقول:

«أول ما ظهرت الصوفية من البصرة وأول من بنى دويرة الصوفية أصحاب عبدالواحد بن زيد[(١)] وعبدالواحد من أصحاب الحسن، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة ونحو ذلك ما لم يكن في سائر الأمصار ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة

(١) عبدالواحد بن زيد الزاهد: كان ممن غلب عليه العبادة حتى غفل عن الإتقان فكثرت المناكير في حديثه حتى قال عنه النسائي: متروك الحديث. أصيب بالفالج فدعا الله أن يطلقه وقت الوضوء، فكان إذا أراد أن يتوضأ انطلق، فإذا رجع إلى سريره فلج، وكان ذا وعظ مؤثر لدرجة أن بعض الجالسين في مواعظه يموتون. قال عنه الذهبي: رمي بالقدر وهو من كبار الزهاد والكمال عزيز. مات سنة (١٧٧)هـ). سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٤٩).

بصرية».

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ:

«ولهذا كان غالب ما يحكى من المبالغة في هذا الباب إنما هو عن عبَّاد أهل البصرة»[١].

وقد حرَّر الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ نبذة مختصرة عظيمة الفائدة عن نشأة التصوف وكيف بدأ ثم كيف انتهى به الحال إلى أن أصبح رسوماً وإشارات وبدعاً وضلالات. يقول ـ رحمه الله ـ:

«والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص فمال إليهم طلَّاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب».

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ:

«وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة حاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الأخرى.

وعلى هذا كان أوائل القوم فلبَّس إبليس عليهم في أشياء ثم لبَّس على من بعدهم من تابعيهم كلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن.

---

(١) فتاوى ابن تيمية (١١/٦ـ٧).

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود هو العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة، فرفضوا ما يصلح أبدانهم وشبَّهوا المال بالعقارب ونسوا أنه خُلِقَ للمصالح وبالغوا في الحمل على النفوس حتى إنه كان فيهم من لا يضطجع وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري. . .» الخ.[١]

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص(١٩٩) وما بعدها.

المبحث الثالث
مراحل التصوف وتطوره

لقد بدأ التصوف كما رأينا بالزهدوالعبادة في البصرة ثم تطور إلى طرق صوفية منظمة ثم إلى انحرافات عقدية لا تمت إلى الإسلام بصلة وعليه يمكن تقسيم التصوف إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

مرحلة العبَّاد والزهَّاد والذي كان يغلب على أصحابها العزلة والبعد عن الناس والزهد في الدنيا مع التزامهم في الغالب بآداب الشريعة مع تغليب جانب الخوف الشديد والبكاء المستمر.

ومن أبرز رجال هذه المرحلة عامر بن عبدالله بن الزبير الذي كان يواصل الصيام ويكثر من العبادة حتى قال له والده الصحابي الجليل عبدالله بن الزبير: «يا بني لقد رأيت أبابكر وعمر ولم يكونا هكذا»[١].

ومنهم طلق بن حبيب[٢] الذي كان من الزهاد الكبار ومن

(١) عامر بن عبدالله بن الزبير: الإمام الرباني أحد العُباد. اشترى نفسه من الله ست مرات، يعني تصدق بديته ست مرات، سمع الأذان وهو يحتضر فقال: خذوا بيدي. فقيل: إنك عليل. فقال: أسمع داعي الله ولا أجيبه. فأخذوا بيده حتى دخل مع الإمام في صلاة المغرب، فركع ركعة ثم مات. قال عنه الإمام مالك: كان عامر ربما انصرف من العتمة فيعرض له الدعاء فلايزال يدعو إلى الفجر. سير أعلام النبلاء (٥/ ٢١٩).

(٢) طلق بن حبيب العنزي: كان طيب الصوت بالقرآن برًّا بوالديه ممن يخشى الله،=

العلماء العاملين، ومنهم بشر الحافي[١] الذي كان رأساً في الإخلاص والورع، والجنيد بن محمد بن الجنيد الذي كان يقول: «علمنا مضبوط بالكتاب والسنة ومن لم يحفظ الكتاب ولم يكتب الحديث ولم يتفقه فلا يقتدي به»[٢].

وغيرهم كثير ممن كانت مقاصدهم حسنة ولكن ربما وقع بعضهم في بعض التجاوزات إما لقلة علمهم أو لأنهم عملوا بما وقعت عليه أيديهم من الأحاديث الضعيفة وهم لا يدرون. وهؤلاء يعتبرون من أوائل الصوفية في مراحلها الأولى حيث جمعوا بين الزهد والتشدد في الدين والتعمق في الخطرات مما لم يكن معهوداً

= لما كانت فتنة ابن الأشعث قال طلق للناس: اتقوها بالتقوى، فقيل له: صف لنا التقوى؟ فقال: العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله، وترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله. وكان يقول: إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد وإن نعم الله أكثر من أن تحصى ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين. قال عنه أبوحاتم: طلق صدوق يرى الإرجاء. سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠١).

(١) بشر بن الحارث بن عبدالرحمن المشهور بالحافي: الإمام الزاهد ولد سنة (١٥٢هـ) ورحل في طلب العلم وكان يقول: لا أعلم أفضل من طلب الحديث لمن اتقى الله وحسنت فيه نيته، وأما أنا فأستغفر الله من طلبه ومن كل خطوة خطوت فيه. قال عنه إبراهيم الحربي: ما أخرجت بغداد أتم عقلاً منه ولا أحفظ للسانه. كان في كل شعرة منه عقل وما عرف له غيبة لمسلم. مات سنة (٢٢٧هـ). سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٦٩). وشذرات الذهب (٢/ ٦٠).

(٢) الرسالة للقشيري (١/ ١١٨).

عند السلف.

وقد استحدث في هذه المرحلة الاستماع إلى القصائد الزهدية التي تلقى بالألحان المطربة. ولعل أبرز سمات هذه المرحلة ما يلي:

١ـ **التمسك بالسنة في الغالب عدا بعض التجاوزات**[١].

٢ـ احترام العلم والعلماء.

٣ـ قلة الفقه في الدين وعدم الاهتمام بالحديث[٢].

٤ـ الاهتمام بالوعظ والإكثار من القصص المأخوذة من أهل الكتاب والأمم السالفة[٣].

٥ـ تغليب جانب الخوف والحزن ومواصلة الصوم والاضطراب والصعق والغشي عند سماع القرآن[٤].

٦ـ البعد عن مجالس العلم والقعود عن الكسب[٥].

وهذه السمات لم تكن لها مناهج محددة وإنما كانت سمات شخصية تقع من بعض الأفراد وتنتج غالباً عن الجهل والغفلة.

المرحلة الثانية:

مرحلة طلائع الصوفية وما صاحبها من ظهور الطرق والمصطلحات الصوفية الغامضة ونزعات الأهواء والبدع وعلم

---

(١) المصدر السابق (١/ ١١٨).

(٢) الطبقات للشعراني (١/ ٥٣). واصطلاحات الصوفية للكاشاني (٤٥).

(٣) الطبقات للشعراني (١/ ١٨٦).

(٤) الطبقات للشعراني (١/ ٥٢، ٥٥).

(٥) الطبقات للشعراني (١/ ٥١).

الإشارات والمكاشفات والذوق إلى غير ذلك.

وفي هذه المرحلة نشأ مايسمى بعلم الظاهر والباطن وإعلان سقوط التكاليف الشرعية عن الأولياء بزعمهم أنهم اطلعوا على علم الحقيقة عن طريق الكشف «الإلهام»[١].

وأقطاب هذه المرحلة هم مشايخ الطرق الصوفية المشهورون مثل:

١ـ أبي الحسن الشاذلي[٢] شيخ الطائفة الشاذلية الذي يصفه الشعراني في طبقاته بقوله: كان كبير المقدار عالي المنار له عبارات فيها رموز وكان قطب الزمان والحامل في وقته لواء أهل العيان حجة الصوفية وعَلَمُ المهتدين وزين العارفين أستاذ الأكابر وزمزم الأسرار ومعدن الأنوار»[٣].

وبالرغم من أنه كان يقول: إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة»[٤].

(١) انظر: فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٤١٧)ـ ٤٣٩).
(٢) علي بن عبدالله بن عبدالجبار الشاذلي: شيخ الطائفة الشاذلية الضرير الزاهد نزيل الأسكندرية، مات بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج سنة (٦٥٦هـ). الطبقات للشعراني (٢/ ٤).
(٣) الطبقات للشعراني (٢/ ٤).
(٤) الطبقات للشعراني (٢/ ٤).

إلاَّ أنه لم يتقيد بهذا المبدأ فقد نقل عنه الشعراني أيضاً قوله وقد سئل عن شيخه فقال:

«كنت أنتسب إلى عبدالسلام بن مشيش وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد بل أعوم في عشرة أبحر محمد وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وجبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل والروح الأكبر»[(١)].

ومن العجيب جدًّا أن يصنف شيخ الجامع الأزهر السابق عبدالحليم محمود كتاباً يمجد فيه الشاذلي ويثني علي طريقته وينقل أن النبي ﷺ كلَّم الشاذلي من داخل حجرته الشريفة فيقول:

«فلما قدم المدينة زادها الله تشريفاً وتعظيماً وقف على باب الحرم من أول النهار إلى نصفه عريان الرأس حافي القدمين يستأذن على رسول الله ﷺ تسليماً فسئل عن ذلك فقال: حتى يؤذن لي فسمع النداء من داخل الروضة الشريفة يا علي أدخل»[(٢)].

ولست بحاجة إلى التعليق على هذه الخرافة الباطلة فإن أفضل الأمة وخير القرون أصحاب رسول الله ﷺ من اختارهم الله لصحبة نبيه ولنصرة دينه ما كانوا يفعلون هذا الفعل المبتدع وما كانوا يقفون على باب مسجده ﷺ حاسري الرؤوس حفاة الأقدام ينتظرون الإذن لهم بالدخول إلى المسجدثم كيف استطاع الشاذلي أن يسمع صوت النبي ﷺ وقد مات صلوات الله وسلامه عليه بنص قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾[(٣)] وغير ذلك من الآيات.

---

(١) الطبقات للشعراني (٢/ ٦).

(٢) المدرسة الشاذلية الحديثة للدكتور عبدالحليم محمود (ص٣٢).

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

٢ـ ومن أقطاب هذه المرحلة أيضاً: أحمد الرفاعي[١] الذي يزعم أتباعه أنه «لما حج سنة ٥٥٥هـ وقف تجاه الحجرة النبوية وقال: السلام عليكم يا جدي. فقال له عليه أفضل الصلاة والسلام: عليك السلام يا ولدي. وسمع ذلك كل من في المسجد النبوي ومدَّ له رسول الله يده الشريفة من قبره فقبَّلها في ملأ يقرب من تسعين ألف رجل ثم قالوا: وإنكار هذه الكرامة كفر»[٢].

بل تصديق هذه الخرافة جهل ونقص عقل إذ كيف خرجت يده ﷺ من قبره وهو قد فارق الحياة ويعيش فترة البرزخ كأكمل حياة الشهداء.

وقد وقعت بين الرفاعية وبين شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مناظرة عظيمة أمام أمير دمشق حين زعموا أن بإمكانهم دخول النار والخروج منها سالمين فتحداهم شيخ الإسلام بأن يدخل معهم النار شريطة أن يغتسلوا بالماء الحار والخل لإزالة ما كانوا يطلون به أجسامهم من الأدوية التي كان يضعونها من دهن الضفادع وباطن قشر النارنج فمن أحرقته النار فعليه لعنة الله وكان مغلوباً، وقد أظفره الله عليهم وطلبوا التوبة وقد ذكر شيخ الإسلام القصة كاملة في الفتاوى[٣].

---

(١) أحمد بن علي: بن يحيى الرفاعي الزاهد مؤسس الطريقة الرفاعية وتسمى الأحمدية، والبطائحية، ولد بالعراق وتفقه وتصوف فانضم إليه خلق كثير وهو مغربي الأصل. مات سنة (٥٧٨هـ). سير أعلام النبلاء (٢١/ ٧٧). وشذرات الذهب (٤/ ٢٥٩).

(٢) قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر (ص١٠٤).

(٣) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٤٤٥).

ويمكن حصر السمات البارزة لهذه المرحلة فيما يلي:

١ـ ظهور مشايخ الطرق الصوفية ووضع الأصول والمناهج العامة لها.

٢ـ الإكثار من دعوى الإلتزام بالكتاب والسنة ونهج السلف ثم وجود المفارقات لهذا الشعار عند التطبيق[١].

٣ـ وجود بعض الشطحات في الألفاظ والسلوك والتصرفات مما أنكره عليهم علماء السلف ووصفوهم به بالضلال[٢].

٤ـ ظهور القصائد الصوفية وتطور مفهوم السماع وما يرافقه من السكر والوجد والرقص[٣].

٥ـ ظهور المصطلحات الصوفية مثل الكشف والحقائق والأسرار والفناء والمشاهدة وغيرها[٤].

المرحلة الثالثة:

تعد هذه المرحلة من أخطر مراحل التصوف فقد بدأت الانحرافات في الظهور بعد تسرب الفلسفة اليونانية والاتجاهات الفارسية والمجوسية والتأثر بالديانات اليهودية والنصرانية وأبرز سمات هذه المرحلة يمكن حصرها فيما يلي:

١ـ تكوين أصول الصوفية ومدى تأثرها بالنصرانية وقولها بالاتحاد والحلول وبالمجوسية وتقديسها للأشخاص وبالهندية وقولها

---

(١) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٥٨٥).

(٢) قوت القلوب لأبي طالب المكي (٢/ ٧٠، ٧٤، ٧٥).

(٣) الرسالة للقشيري (٢/ ٦٤٥).

(٤) دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير (٢٣٥).

بالفناء والتناسخ وبالفلسفة اليونانية وإلحادها وزندقتها والقول بوحدة الوجود(١).

٢ـ دعوى العلم اللدني والتلقي عن الله مباشرة كقول البسطامي أخذتم دينكم ميِّت عن ميِّت أما نحن فنأخذ عن الحي الذي لا يموت(٢) وقول ابن عربي: «والله ما كتبت في الفتوحات المكية حرفاً إلاَّ عن إملاء إلهي أو إلقاء رباني أو نفث روحاني أو روح كياني»(٣). وأنا أقول بل إيحاء شيطاني.

٣ـ وقوعهم في الكثير من البدع الاعتقادية كالتشيع والتجهم والإرجاء والقدر لبعدهم عن مناهج التلقي الصحيحة وهي الكتاب والسنة(٤).

٤ـ وقوع بعضهم في الفواحش والرذائل وزعمهم أنها من باب الكرامات(٥).

وبعد فهذه ملامح رئيسة عرضت بعضها بإيجاز للدلالة على المراحل التي مرت بها الصوفية وكيف بدأت زاوية الانحراف بسيطة ثم اتسعت كلما ابتعدوا عن الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح حتى آل بهم الحال إلى الإلحاد والقول بالاتحاد ووحدة الوجود والحلول والتحلل من الشرائع نعوذ بالله من ذلك.

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٥/ ٨٢). وتلبيس إبليس لابن الجوزي (٣٤٥).
(٢) الطبقات للشعراني (١/ ٥).
(٣) الفتوحات المكية لابن عربي (٣/ ٤٥٦).
(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٥/ ٧).
(٥) انظر: طبقات الشعراني (١/ ٤٦، ٢/ ٤٣، ٢/ ١٢٩).

المبحث الرابع
الآداب عند الصوفية

تعريف الأدب: الأدب عند الصوفية ليس فقط بمدلوله العام أي الأدب الظاهر إذ ربما يكون رياءً أو نفاقاً أو مجاملة واسترضاءً وإنما الأدب عندهم هو الأدب الباطني الذى يرجى منه كنس القلب من جميع الآفات وما يسيطر عليه من الرغبات والشهوات[١].

وحقيقته اجتماع جميع خصال الخير فالأديب هو الذي اجتمع فيه خصال الخير ومنه أخذت المأدبة[٢].

والشيخ عند الصوفية: يعني الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة البالغ إلى حد الكمال فيها لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها ومعرفته بذواتها وقدرته على شفائها والقيام بهداها إن استعدت ووفقت لاهتدائها[٣].

أما المريد: ويعرفه المتصوفة:

«بأنه المقبل على الله عز وجل وطاعته المُولِّي عن غيره وإجابته يسمع من ربه عز وجل فيعمل بما في الكتاب والسنة ويصمُّ عما سوى ذلك ويُبْصرِ بنور الله عز وجل فلا يرى إلاَّ فعله فيه وفي غيره من سائر الخلائق ويعمى عن غيره. ينصح نفسه أبداً فلا يجيبها

(١) معجم ألفاظ الصوفية، د حسن شرقاوي: (٣٥).
(٢) الرسالة لقشيري: (٢/٥٥٨).
(٣) معجم اصطلاحات الصوفية، عبدالرزاق الكاشاني: (١٧٢).

إلى محبوبها ولذاتها وينصح عباد الله ويأنس بالخلوة مع الله ويصبر عن معاصي الله ويرضى بقضاء الله ويختار أمر الله ويستحيي من نظر الله ويبذل مجهوده في محاب الله ويتعرض أبداً لكل سبب يوصله إلى الله»(١).

وكلمة المريد يبدو أنها مصطلح تعارف عليه الناس آنذاك وأطلقوه على الشاب إذا استقام على أمر الله وتمسك بطاعته. كما أطلق الناس في زماننا مصطلح الالتزام على الشباب الذين يعودون إلى الله ويتمسكون بطاعته. إلاَّ أن هذا الاصطلاح تطوّر وخرج عن مدلوله وأصبح لقباً يطلق على من ينتسب إلى التصوف في بداية تصوفه.

ومن ضرورات السلوك عند الصوفية أن يكون لكل مريد شيخ يدله على الطريق ويهديه سواء السبيل

ومعنى هذا أن الشيخ هو الأساس في التربية الصوفية وهذا شيء غير مسلَّم به عند علماء أهل السنة والجماعة فرغم أنهم يرون أن كل طالب علم لابدَّ له من معلم يتلقى عنه ذلك العلم فهم يرون أيضاً أنه بالإمكان للطالب إذا كان ممن يملك القدرة على القراءة والفهم والتمييز وكان لديه مصادر للعلم أن يحصله دون الحاجة إلى شيخ. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«وأما انتساب الطائفة إلى شيخ معين فلا ريب أن الناس يحتاجون من يتلقون عنه الإيمان والقرآن كما تلقى الصحابة ذلك عن النبي ﷺ وتلقاه عنهم التابعون وبذلك يحصل اتباع السابقين الأولين

(١) الغنية للجيلاني: (٢/١٥٨).

بإحسان فكما أن المرء له من يعلمه القرآن ونحوه فكذلك له من يعلمه الدين الباطن والظاهر ولا يتعين ذلك في شخص معين ولا يحتاج الإنسان في ذلك أن ينتسب إلى شيخ معين فكل من أفاد غيره إفادة دينية فهو شيخه فيها وكل ميت وصل إلى الإنسان من أقواله وأعماله وآثاره ما انتفع به في دينه فهو شيخه من هذه الجهة فسلف الأمة شيوخ الخلفاء قرناً بعد قرن وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالي على متابعته ويعادي على ذلك بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الإيمان ومن عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم. ولا يُخص أحدٌ بمزيد موالاة إلاَّ إذا ظهر له مزيد إيمان وتقوىٰ، فيُقَدَّم من قدَّم الله تعالى ورسوله ويُفَضَّل من فضَّله الله ورسوله قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾[1]»[2].

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (١١/ ٥١١).

المبحث الخامس
السماع عند الصوفية

السماع في اللغة: الغناء وقيل الذكر المسموع الحسن الجميل، وكل ما التذذته الأذن من صوت حسن سماع[١].

وفي اصطلاح المتصوفة يعرفه ذو النون المصري بأنه: «وارد حق يزعج القلوب إلى الحق فمن أصغى إليه بحق تحقق ومن أصغى إليه بنفس تزندق»[٢].

وبالغ فيه بعضهم فعدَّ مجالسه من مجالس نزول الرحمة يقول الجنيد: «تنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن، عند السماع فإنهم لا يسمعون إلاَّ عن حق ولا يقولون إلاَّ عن وَجْدٍ وعند أكل الطعام فإنهم لا يأكلون إلاَّ عن فاقة، وعند مجاراة العلم فإنهم لا يذكرون إلاَّ صفات الأولياء»[٣].

أما موقف السلف من أهل السنة والجماعة من مسألة السماع هذه فقد حرَّره شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وأوضح السماع المشروع من السماع المبتدع فقال:

«السماع الذي أمر الله به ورسوله واتفق عليه سلف الأمة ومشايخ الطريق هو سماع القرآن، فإنه سماع النبيين وسماع العالمين وسماع العارفين، وسماع المؤمنين. قال سبحانه وتعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) لسان العرب لابن منظور: (٨/ ١٦٥).

(٢) اللمع للطوسي: (٣٤٢).

(٣) الرسالة للقشيري: (٢/ ٦٤٥).

ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾(٤)».

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «وكما أثنى الله على هذا السماع فقد ذم المعرضين عنه وساق بعض الآيات القرآنية الدالة على الوعيد الشديد لمن أعرض عن سماع القرآن الكريم ثم قال:

وهذا كثير في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين يمدحون من يقبل على هذا السماع ويحبه ويرغب فيه ويذمون من يعرض عنه ويبغضه».

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «وهذا سماع له آثار إيمانية من

(١) سورة مريم، الآية: ٥٨.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٠٧،١٠٩.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٨٣.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٢، ٤.

المعارف القدسية والأحوال الزكية يطول شرحها، ووصفها، وله في الجسد آثار محمودة من خشوع القلب، ودموع العين، وإقشعرار الجلد، وقد ذكر الله هذه الثلاثة في القرآن، وكانت موجودة في أصحاب رسول الله ﷺ الذين أثنىٰ عليهم في القرآن، ووجد بعدهم في التابعين آثار ثلاثة الاضطراب، والاختلاج والإغماء، أو الموت والهيام، وأنكر بض السلف ذلك إما لبدعتهم وإما لحبهم.

وأما جمهور الأئمة والسلف فلا ينكرون ذلك فإن السبب إذا لم يكن محظوراً كان صاحبه فيما تولَّد عنه معذوراً لكن سبب ذلك قوة الوارد على قلوبهم وضعف قلوبهم عن حمله فلو لم يؤثر السماع لقسوتهم كانوا مذمومين كما ذمَّ الله الذين قال فيهم: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾[1] وقال ـ عز وجل ـ: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾[2] ولو أثَّر فيهم آثاراً محمودة لم يجذبهم عن حدِّ العقل لكانوا كمن أخرجهم إلى حدِّ الغلبة كانوا محمودين أيضاً ومعذورين.

فأما سماع القاصدين لصلاح القلوب في الاجتماع على ذلك: إما نشيد مجرد نظير الغبار وإما بالتصفيق ونحو ذلك، فهو السماع المحدث في الإسلام فإنه أحدث بعد ذهاب القرون الثلاثة الذين أثنىٰ عليهم النبي ﷺ حيث قال: «**خير القرون القرن الذي بعثت فيه**

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٤.
(٢) سورة الحديد، الآية: ١٦.

ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[١]. وقد كرهه أعيان الأمة ولم يحضره أكابر المشايخ.

وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ: «خلفت ببغداد شيئاً أحدثه الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن»[٢].

وسئل عنه الإمام أحمد بن حنبل فقال: «هو محدث أكرهه قيل له: إنه يرق عليه القلب. فقال: لا تجلسوا معهم. قيل له: أيهجرون؟ فقال: لا يبلغ بهم هذا كله»[٣]. فبيَّن أنه بدعة لم يفعلها القرون الفاضلة لا في الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا في مصر ولا في العراق ولا خراسان ولو كان للمسلمين به منفعة في دينهم لفعله السلف ولم يحضره مثل إبراهيم بن أدهم[٤] ولا الفضيل بن عياض ولا معروف الكرخي[٥]، ولا السري السقطي[٦]، ولا

(١) رواه البخاري ح: (٣٦٥٠).

(٢) الفكر الصوفي، عبد الرحمن عبد الخالق: (٦٨٤).

(٣) طبقات الحنابلة لأبي يعلى: (١/٣٩٦) بمعناه.

(٤) إبراهيم بن أدهم بن منصور: الإمام العارف سيد الزهاد أبوإسحاق العجلي نزيل الشام، قال عنه النسائي: هو ثقة مأمون أحد الزهاد. كان يقول: الزهد الفرض هوالزهدفي الحرام وزهد السلامة وهوالزهد في الشبهات،وزهد الفضل وهو الزهد في الحلال. مات سنة (١٦٢هـ).سير أعلام النبلاء(٧/٣٨٧).

(٥) معروف بن فيروز الكرخي: عَلَم الزهاد. من كلامه: «إذا أراد الله بعبد شرًّا أغلق عنه باب العمل وفتح عليه باب الجدل» وكان مجاب الدعوة، مات سنة (٢٠٠هـ) رحمة الله عليه. سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٣٩).

(٦) هناد بن مصعب بن أبي بكر السري: الإمام الحجة القدوة زين العابدين صاحب كتاب الزهد، ولد سنة (١٥٢هـ). قال عنه أبوحاتم: صدوق. وقال =

أبوسليمان الداراني[١]، ولا مثل الشيخ عبدالقادر والشيخ عدي[٢] والشيخ أبي البيان[٣]، ولا الشيخ حياة[٤]، وغيرهم بل في كلام طائفة من هؤلاء كالشيخ عبدالقادر وغيره النهي عنه وكذلك أعيان المشايخ».

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ:

«وبالجملة فعلى المؤمن أن يعلم أن النبي ﷺ لم يترك شيئاً يقرب إلى الجنة إلاَّ وقد حدَّث به ولا شيئاً يبعد عن النار إلاَّ وقد حدَّث به وإن هذا السماع لو كان مصلحة لشرعه الله ورسوله فإن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٥]. وإذا وجد فيه منفعة لقلبه ولم يجدشاهد ذلك لا من الكتاب ولا من السنة لم يلتفت إليه»[٦].

= النسائي: ثقة. مات سنة (٢٤٣هـ). سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٦٥).

(١) أبوسليمان الداراني: الإمام الكبير الزاهد عبدالرحمن بن أحمد ولد سنة (١٤٠هـ) من كلامه: «من وثق بالله في رزقه زاد في حسن خلقه وأعقبه الحلم، وسخت نفسه وقلَّت وساوسه في صلاته» مات سنة (٢٠٥هـ). سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٢). وشذرات الذهب (٢/ ١٣).

(٢) عدي بن مسافر الأموي: أحد أركان التصوف وأعلى العارفين بها كان الشيخ عبدالقادر ينوه بذكره ويثني عليه وله مجاهدات عظيمة. مات سنة(٥٥٨هـ). الطبقات للشعراني (١/ ١١٨).

(٣) لم أعثر له على ترجمة لعدم وضوح اسمه.

(٤) حياة بن قيس الحراني من أجلاء المشايخ وعظماء العارفين صاحب الكرامات والمقامات، مات سنة (٥٨١هـ). الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١٣٢).

(٥) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٦) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٥٨٧ ـ ٥٩٥).

المبحث السادس
الولاية عند أهل السنة وعند المتصوفة

أولاً: الولاية عند أهل السنة والجماعة :

الولاية لغة: مصدر ولي يلية ولاية: «إذا دنا منه وقرب أو قام به وملك أمره أو نصره وأحبه»(١).

وفي الاصطلاح: عند أهل السنة والجماعة لا يختلف عنه في المعنى اللغوي فهو يدور على القرب والحب والنصرة.

وولاية الله لعبده هدايته إلى طاعته ومحبته ونصرة دينه، وولاية العبد لله تقتضي الإيمان به سبحانه والتقرب إليه بطاعته وترك مساخطه وخشيته ومراقبته قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤﴾(٢).

وهناك فرق بين ولاية الله سبحانه للعبد وبين ولاية العبد لربه - عز وجل - وهو أن الله تعالى لا يوالي عبده لافتقار أو حاجة إليه وإنما يواليه إكراماً له وتفضلاً عليه لغناه عمن سواه وافتقار كل ما عداه إليه.

فأما العبد فإنه يوالي ربه لفقره وحاجته إليه إذ هو دائماً في

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور: (٤٠٧/١٥)

(٢) سورة يونس، الآية: ٦٢، ٦٤

حاجة ماسة إلى معونة ربه ونصرته وإدنائه وتقريبه فالمنة لله تعالى على عبده حين يواليه ويقبله ولا منة للعبد بحال من الأحوال»[١].

وبالجملة فإن كل من أكرمه الله بالهداية فآمن بالله واتقاه وتقرب إليه بفعل طاعته وترك معصيته ووالى من يواليه وعادى من يعاديه فهو ولي الله سبحانه، ولذا كان كل من عادى وليًّا لله عز وجل فكأنما ناصب الله العداء، كما في الحديث القدسي الذي يرويه رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل أنه يقول:

«من عادىٰ لي وليًّا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إلي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»[٢].

وعلى هذا يكون معنى أولياء الله أنهم خلَّص المؤمنين الذين قرَّبهم الله منه بسبب طاعتهم له وتركهم لمعصيته والذين يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾[٣].

والولي عند أهل السنة غير معصوم بل هو عرضة للخطأ، يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:

«وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوما لا يغلط ولا

---

(١) عقيدة المؤمن للجزائري: (١٧٣).
(٢) رواه البخاري ح: (٦٥٠٢).
(٣) سورة يونس، الآية: ٦٣

يخطىء بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به وتكون مما نهى الله عنه ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى وتكون من الشيطان لبَّسها عليه لنقص درجته ولا يعرف أنها من الشيطان وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى فإن الله سبحانه وتعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان؛ فقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾(١).

وثبت في الصحيح أن الله سبحانه استجاب هذا الدعاء وقال: قد فعلت.

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ قال: دخل في قلوبهم منها شيء لم يدخلها قبل ذلك شيء أشد منه فقال النبي ﷺ: قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا﴾ إلى قوله: ﴿أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ قال الله: قد فعلت ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥، ٢٨٦.

بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ قال: قد فعلت.[(١)]

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ﴾[(٢)].

وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة وعمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً أنه قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر»[(٣)].

فلم يؤثم المجتهد المخطىء بل جعل له أجراً على اجتهاده وجعل خطأه مغفوراً له. ولكن المجتهد المصيب له أجران فهو أفضل منه.

ولهذا لما كان ولي الله يجوز أن يغلط لم يجب على الناس الايمان بجميع ما يقوله من هو ولي الله إلاَّ أن يكون نبيًّا، بل ولا يجُوز لولي لله أن يعتمد على ما يلقى إليه في قلبه وعلى ما يقع له مما يراه إلهاماً[(٤)] أو محادثة[(٥)] وخطاباً من الحق بل يجب عليه أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد ﷺ فإن وافقه قبله، وإن

---

(١) رواه مسلم ح: (١٢٦).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥.

(٣) رواه البخاري ح: (٦٩١٩)، ومسلم ح: : (١٧١٦).

(٤) الإلهام ما يلقى في الروح بطريق الفيض وقيل: الإلهام هو ما وقع القلب من علم وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة وهو ليس بحجة عند العلماء إلاَّ عند الصوفية. التعريفات للجرجاني: (٥١).

(٥) المحادثة في اصطلاح الصوفية: خطاب الحق للعارفين من عالم الملك والشهادة كالنداء من الشجرة لموسى ـ عليه السلام ـ المرجع السابق.

خالفه لم يقبله، وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف توقف عنه.

والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف طرفان ووسط.

منهم: من إذا اعتقد في شخص أنه ولي الله وافقه في كل ما يظن أنه حدَّثه به قلبه عن ربه وسلَّم إليه جميع ما يفعله.

ومنهم: من إذا رآه قد قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية الله بالكلية وإن كان مجتهداً مخطئاً.

وخير الأمور أوسطها وهو أن لا يجعل معصوماً ولا مأثوماً إذا كان مجتهداً مخطئاً فلا يتبع في كل ما يقوله ولا يحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده»[١].

ولما كان من الجائز على الولي أن يخطىء باعتباره غير معصوم، فإن معنى ذلك أن طاعته غير واجبة، ومتابعته غير لازمة إلاَّ فيما وافق الكتاب والسنة، كما لا يجب تصديقه في أخباره وأقواله حتى تعرض على الكتاب والسنة فإن وافقهما وجب قبولها وإن خالفهما وجب طرحها وردها مهما كان قائلها. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«وقد اتفق سلف الأئمة وأئمتها على أن كل واحد يؤخذ من قوله ويترك إلاَّ رسول الله ﷺ، وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم. فإن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه يجب لهم الإيمان بجميع ما يخبرون به عن الله عز وجل، وتجب طاعتهم فيما يأمرون به بخلاف الأولياء فإنه لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به، بل يعرض أمرهم وخبرهم على

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (١١/ ٢٠١).

الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله، وما خالف الكتاب والسنة كان مردوداً، وإن كان صاحبه من أولياء الله وكان مجتهداً معذوراً فيما قاله وله أجر على اجتهاده»[١].

هذا هو مفهوم الولاية عند أهل السنة والجماعة على الإجمال إلاَّ أنه ينبغي الإشارة إلى أنه بالرغم من أن كل مؤمن يعتبر وليًّا لله عز وجل إلاَّ أن الولاية تتفاوت بحسب تفاوت الإيمان والتقوى والعمل الصالح. وكلما ازداد يقين العبد وترقَّى في درجات الكمال والصلاح واتصف بالتقوى كان أعظم ولاية عند الله سبحانه وتعالى.

ثانيًا: الولاية عند المتصوفة:

يعرف المتصوفة الولاية بأنها «قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه وذلك بتولي الحق إياه حتى يبلغه غاية مقام القرب التمكين»[٢].

والولي عندهم «من تولَّى الحق أمره وحفظه من العصيان ولم يُخَلِّه ونفسه بالخذلان حتى يبلغه في الكمال مبلغ الرجال قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾[٣]»[٤].

ويبدو أن تأثير الشيعة كان واضحاً على الصوفية في إطلاق لفظ الولاية على الشيخ والعالم فإن الرافضة هم أول من أطلق الولي على أئمتهم ابتداءً بعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ثم بقية

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٢٠٨/١١).

(٢) اصطلاحات الصوفية للكاشاني: (٧٩).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٦.

(٤) اصطلاحات الصوفية للكاشاني: (٧٩).

الأئمة من بعده وقد أضافوا إليها دعوى العلم اللدني والعصمة وسرت عدواها إلى الصوفية فقالوا بأن أولياءهم يتلقون عن الله مباشرة وأنهم معصومون من الخطأ(١).

وقد لا يصرح المتصوفة بدعوى عصمة أوليائهم ولكنهم يطلقون عليهم كلمة الحفظ ومجمل أحوالهم وعباراتهم توحي بأن معنى الحفظ أي العصمة. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«والغالية في المشايخ يقولون أن الولي محفوظ والنبي معصوم وكثير منهم إن لم يقل ذلك بلسانه فحاله حال من يرى أن الشيخ أو الولي لا يخطىء ولا يذنب»(٢).

وإنما ذهبوا إلى كلمة الحفظ دون العصمة لإيهام الناس بأن تصوفهم يعتمد على الكتاب والسنة.

ومن تعريف الصوفية للولاية نلاحظ أن لها معنى آخر يختلف عن معانها عند أهل السنة والجماعة فليس من شروط الولاية عندهم أية صفات للإيمان أو التقوى والعمل الصالح إذ الولاية عندهم تُوهَبُ من الله عز وجل دون سبب في العبد وهذا واضح من التعريف السابق من قولهم بأن الولي من تولى الحق أمره إلخ. . .

وقد ترتب على هذا أن جعلوا المجاذيب والملاحدة أولياء لله عز وجل بمجرد أن ظهر على أيديهم بعض خوارق العادات كالدخول في النيران وضرب الجسم بالسهام والسكاكين واللعب

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع للشيبي: (٢/ ١٠).

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية: (١/ ٤٤).

بالعقارب والحيات وغير ذلك من أعمال السحر والكهانة والشعوذة.

كما جعلوها للمجانين والصبيان الشذاذ حتى عدوا من الأولياء من يأتي الحمارة في وضح النهار وأمام الأسماع والأبصار[١]، ومن يشرب الخمر جهاراً نهاراً ويمارس الزنا واللواط عياناً زاعمين أن الولي لا تضره معصية وأن الخمر ينقلب في بطن الولي لبناً خالصاً، وأن الزانية تصبح زوجة للولي بمجرد معاشرتها[٢] ومن يخطب الجمعة عارياً[٣].

بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك فزعموا أن الولي يتصرف في الأكوان ويقول للشيء كن فيكون.

وأن أربعة من الأولياء يمسكون بالعالم من جوانبه الأربعة ويسمون عندهم الأوتاد.[٤]

وسبعة أولياء آخرين كل منهم في واحدة من السموات السبع ويسمون الأبدال[٥].

---

(١) طبقات الشعراني: (٢/ ١٣٥)، ترجمة علي وحيش.

(٢) هذه هي الصوفية، عبدالرحمن الوكيل: (١٠٩).

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني : (٢/ ١٢٩)، ترجمة إبراهيم الريان

(٤) الأوتاد هم الرجال الأربعة الذين هم على منازل الجهات الأربع من العالم في الشرق والغرب والشمال والجنوب بهم يحفظ الله تعالى تلك الجهات لكونهم محل نظره تعالى، اصطلاحات الصوفية للكاشاني: (٥٨).

(٥) الأبدال جمع بدل إحدى المراتب في الترتيب الطبقي للأولياء عند الصوفية وهم يشاركون في حفظ نظام الكون، وترتيبهم كترتيب السماوات السبع بحيث يكون ارتباط البدل الأول بالسماء السابعة على قلب الخليل ـ عليه السلام ـ والثاني بالسماء السادسة على قلب موسى ـ عليه السلام ـ والثالث بالسماء =

وأربعين منهم مشغولون بحمل أثقال الخلق ويسمون النجباء[١].

وثلاثمائة مشرفون على بواطن الناس وخفايا الضمائر ويسمون النقباء[٢].

وفوق هؤلاء جميعاً القطب الأكبر أو الغوث الأعظم الذي يدير شأن الملك كله سمواته وأرضه»[٣].

وبعضهم يرى أن الولاية أفضل من النبوة ويلبسون على الناس فيقولون ولايته أفضل من نبوته وينشدون:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي[٤]

= الخامسة على قلب هارون والرابع بالسماء الرابعة على قلب إدريس ـ عليه السلام ـ والخامس بالسماء الثالثة على قلب يوسف ـ عليه السلام ـ والسادس بالسماء الثانية على قلب عيسى ـ عليه السلام ـ والسابع بالسماء الأولى على قلب آدم ـ عليه السلام ـ، معجم ألفاظ الصوفية للدكتور الشرقاوي: (٢٢).

وهذه ضلالات وحماقات لا أساس لها ولا دليل عليها بل هي من إيحاءات الشياطين ووساوس الأبالسة نعوذ بالله من ذلك.

(١) النجباء: هم الأربعون القائمون بإصلاح أمور الناس وحمل أثقالهم المتصرفون في حقوق الخلق. اصطلاحات الصوفية للكاشاني: (١١٤). ومعلوم فساد هذا الكلام وبطلانه إذلايقوم بإصلاح أمور الخلق ويتصرف في الكون إلاَّالله وحده.

(٢) النقباء: هم الذين تحققوا باسم الباطن فأشرفوا على بواطن الناس واستخرجوا خفاياالضمائر وهم ثلاثمائة. اصطلاحات الصوفية للكاشاني: (١١٦). وهذا أيضًا كلام باطل لا أصل له، فالله وحده هو المطلع على الغيب العالم بما تكنه الصدور وتخفيه الضمائر.

(٣) انظر: الفكر الصوفي لعبدالرحمن عبدالخالق: (٣٤٦).

(٤) الفتاوى لابن تيمية: (١١/ ٢٢٦).

هذه هي الولاية عندالمتصوفة والتي لا تمت إلى الإسلام بصلة بل هي ضلالات وجهالات نقلت عن الفلسفات الأغريقية ونظرتها إلى الآلهة القديمة، وقد ردَّ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ تلك الجهالات وأبطل تلك الضلالات فقال:

«وكذلك كل حديث يروى عن النبي ﷺ في عدد الأولياء والأبدال والنقباء والنجباء والأوتاد والأقطاب مثل أربعة أو سبعة أو اثني عشر أو أربعين أو سبعين أو ثلاثمائة أو ثلاثة عشر أو القطب الواحد فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ، ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلاَّ بلفظ الأبدال. وروي فيهم حديث أنهم أربعون رجلاً وأنهم بالشام وهو في السنن من حديث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وهو حديث منقطع ليس بثابت»[(١)].

ومعلوم أن عليًّا ومن معه من الصحابة أفضل من معاوية[(٢)] ومن معه بالشام، فلا يكون أفضل الناس في عسكر معاوية دون عسكر علي وقد أخرجا في الصحيحين عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «**تمرق مارقة من الدين على حين فرقة من المسلمين يقتلهم**

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند: (١/ ١١٢)، وقد أعل بالانقطاع لأنه من رواية شريح بن عبيد الحضرمي الذي لم يدرك عليًّا و على هذا لا يصح الحديث.

(٢) معاوية بن أبي سفيان صاحب رسول الله ﷺ، وكاتب الوحي له، يعدُّ من دهاة العرب، أسلم عام الفتح، وشهد حنينًا واليمامة، ولاَّه عمرعلى الشام، وأقرَّه عثمان، وبعد مقتل عثمان طالب بالقصاص من قتلته، ولم يبايع عليًّا، فحصلت الفتنة، ولما قتل علي اجتمع عليه الناس فصار أميرًا للمؤمنين، مات سنة: (٦٠هـ)، الإصابة: (٦/ ١١٢).

أولى الطائفتين بالحق»[١].

وهؤلاء المارقون هم الخوارج الحرورية الذين مرقوا لما حصلت الفرقة في خلافة علي فقتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه فدل هذا الحديث الصحيح على أن علي بن أبي طالب وأصحابه أولى بالحق من معاوية وأصحابه فكيف يكون الأبدال في أدنى العسكرين دون أعلاهما»[٢].

---

(١) رواه البخاري ح: (٣٦١٠)، ومسلم ح: (١٠٦٤).

(٢) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (١١/١٦٧).

الكرامة عند أهل السنة وعند المتصوفة وعند المتكلمين

أولاً: الكرامة عند أهل السنة:

الكرامة في اللغة:

قال صاحب القاموس الكَرَمَ محركة ضد اللؤم وكرَّمه عظَّمه ونزَّهه(١).

وفي الاصطلاح: هي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم»(٢).

وهي عامة وخاصة: فالعامة ما فضل الله به الإنسان على غيره من المخلوقات كاعتدال القامة والخلق في أحسن تقويم وتسخير كل ما في الكون له قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(٣)

أما الخاصة فهي ما يكرم الله به بعض عباده وما يختصهم به من هدايتهم إلى الإيمان وتوفيقهم إلى طاعته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه وهذا من أعظم الكرامات وأهلها هم أهل السعادة في الدنيا والفوز والفلاح في الآخرة يقول عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي: (١٤٨٩).

(٢) لوامع الأنوار للسفاريني: (٢/ ٣٩٢).

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾[(١)].

وأفضل منهم من يمن الله عليهم بزيادة الايمان واليقين وكثرة التقوى والورع ودقة المراقبة والخشية والاكثار من نوافل العبادات فهؤلاء في أعلى مراتب الولاية»[(٢)].

وأهل السنة والجماعة يرون إمكان وقوع الكرامة على أيدي بعض عباد الله الصالحين لكن وفق الضوابط التالية:

أولاً: أنها لا تقع إلاَّ لمن جمع الله له بين الايمان والتقوى وذلك بتصديق ما أخبر الله به من الأمور المغيبة والالتزام بما أمر الله به من الفروض والواجبات والابتعاد عما نهى الله عنه من المحرمات وأنها لا تقع إلاَّ ببركة اتباع رسول الله ﷺ والاقتداء بهديه ولحجة في الدين أو لحاجة بالمسلمين يقول شيخ الاسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«وليس لله وليٌّ إلاَّ من اتبعه باطناً وظاهراً فصدقه فيما أخبر به من الغيوب والتزم بطاعته فيما فرض على الخلق من أداء الواجبات وترك المحرمات فمن لم يكن له مصدقاً فيما أخبر ملتزماً طاعته فيما أوجب وأمر به من الأمور الباطنة التي في القلوب والأعمال الظاهرة التي على الأبدان لم يكن مؤمناً فضلاً عن أن يكون ولياً لله.

ولو حصل له من خوارق العادات ماذا عسى أن يحصل فإنه لا يكون مع تركه لفعل المأمور وترك المحظور من أداء الواجبات من الصلاة وغيرها بطهارتها وواجباتها إلاَّ من أهل الأحوال الشيطانية

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٣، ١٤.

(٢) عقيدة المؤمن للجزائري: (١٧٥)، بتصرف يسير.

المبعدة لصاحبها عن الله المقربة إلى سخطه وعذابه»[١].

ويقول ـ رحمه الله ـ في موضع آخر ـ:

فأولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد ﷺ فيفعلون ما أمر به وينتهون عما زجر عنه فيؤيدهم الله بملائكته وروح منه ويقذف الله في قلوبهم من أنواره ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين وخيار أولياء الله تكون لحجة في الدين ولحاجة بالمسلمين كما كانت معجزات نبيهم محمد ﷺ كذلك»[٢].

ثانياً: أن الكرامة لا ترقى إلى درجة المعجزة التي يؤيد الله بها أنبياءه ورسله، فلقد جرت سنة الله عز وجل أن يؤيد كل رسول يبعثه إلى الناس بمعجزة خارقة للعادة وخارجة عن مألوف الناس كدليل على أنه رسول من عند الله، وحتى يحمل المعاندين والمكابرين على الإذعان والإيمان بما جاء به من هدى ورشاد.

وهذا شيء طبيعي فكما أنهم لا يبلغون إلى درجتهم في الفضل فكذلك لا يصلون بكراماتهم إلى درجة معجزاتهم. يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:

«آيات الأنبياء مما يعلم العقلاء أنها مختصة بهم ليست مما تكون لغيرهم فيعلمون أن الله لم يخلق مثلها لغير الأنبياء، وسواء في آياتهم التي كانت في حياة قومهم وآياتهم التي فرّق الله بها بين أتباعهم وبين مكذبيهم بنجاة هؤلاء وهلاك هؤلاء وذلك مثل تغريق الله لجميع أهل الأرض إلاَّ لنوح ومن ركب معه في السفينة فهذا لم

(١) الفتاوى لابن تيمية: (١٠/ ٤٣١).
(٢) فتاوى ابن تيمية: (١١/ ٢٧٤).

يكن قط في العالم نظيره.

وكذلك إهلاك عاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، ثم أهلكوا بريح صرصر عاتية مسخرة سبع ليال وثمانية أيام حسوماً حتى صاروا كأنهم أعجاز نخل خاوية ونجَّا هوداً ومن اتبعه وهذا لم يوجد له نظير في العالم.

وكذلك قوم صالح وقوم لوط وقوم فرعون... إلخ»[١].

ويقول رحمه الله في مكان آخر:

«آيات الأنبياء التي دلت على نبوتهم هي أعلى مما يشتركون فيه هم وأتباعهم مثل الإتيان بالقرآن، ومثل الإخبار بأحوال الأنبياء المتقدمين وأممهم والإخبار بما يكون يوم القيامة وأشراط الساعة ومثل إخراج الناقة من الأرض، ومثل قلب العصا حية وشق البحر، ومثل أن يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وتسخير الجن لسليمان لم يكن مثله لغيره»[٢].

ثالثاً: أن الكرامة ليست من شروط الولاية فقد يكون الإنسان ولياً لله ومن أحبهم إليه وأكثرهم طاعة له ولا تظهر على يديه كرامة قط، وحدوثها على يد شخص لا يدل على أنه أفضل ممن لم تحدث له كرامة؛ لأن شروط الولاية التي تضمنها قول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ محصورة في شرطين فقط هما ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾. ولذا كانت

(١) النبوات لابن تيمية: (١٠٩).

(٢) النبوات لابن تيمية: (١١٦).

الكرامات في عهد الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أقل منها في العهود التي جاءت بعدهم مع كمال فضلهم وعلو منزلتهم عند الله حيث اختارهم الله لصحبة نبيه وإظهار دينه. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أو المحتاج أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنياً عن ذلك فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها لا لنقص ولايته ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدى الخلق ولحاجتهم فهؤلاء أعظم درجة»[(١)].

رابعاً: أن الكرامة قد تمنح للمشتغلين بالذكر والفكر والمجاهدة مع قلة علمهم وجهل بعضهم أكثر مما تمنح للعلماء والمحققين من أهل السنة والجماعة مع كمال علمهم وتفضيل الله لهم. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«لا ريب أن الذي أُوتي العلم والإيمان أرفع درجة من الذين أُوتوا الإيمان فقط، كما دلَّ على ذلك الكتاب والسنة والعلم الممنوح الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة هو العلم الذي ورثته الأنبياء».

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ:

«فقد يكون الرجل حافظاً لحروف القرآن وسوره ولا يكون

---

(١) فتاوى ابن تيمية: (١١/ ٢٨٣).

مؤمناً بل يكون منافقاً فالمؤمن الذي لا يحفظ حروفه وسوره خير منه وإن كان ذلك المنافق ينتفع به الغير كما ينتفع بالريحان وأما الذي أُوتي العلم والإيمان فهو مؤمن عليم فهو أفضل من المؤمن الذي ليس مثله في العلم. فهذا أصل يجب معرفته.

وههنا أصلٌ آخر وهو أنه ليس كل عمل أورث كشوفاً أو تصرفاً في الكون يكون أفضل من العمل الذي لا يورث كشفاً ولا تصرفاً فإن الكشف والتصرف إن لم يكن مما يستعان به على دين الله وإلاَّ كان من متاع الحياة الدنيا وقد يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب وإن لم يحصل لأهل الإيمان الذين هم أهل الجنة وأولئك أصحاب النار ففضائل الأعمال ودرجاتها لا تتلقى من قبل هذا وإنما تتلقى من دلالة الكتاب والسنة ولهذا كان كثير من الأعمال يحصل لصاحبه في الدنيا رئاسة ومال فأكرم الخلق عند الله أتقاهم ومن عبد الله بغير علم، فقد أفسد أكثر مما أصلح وإن حصل له كشف وتصرف وإن اقتدى به خلق كثير من العامة»[1].

بهذه الضوابط يثبت أهل السنة والجماعة الكرامات ويجوِّزون وقوعها ويستدلون على ذلك بما يلي:

أولاً القرآن الكريم:

١ـ قوله تعالى عن مريم عليها السلام: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (١١/٣٩٦).

حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾[١].

قال قتادة: «حدِّثنا أنه كانت تؤتى بفاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء فعجب من ذلك زكريا»[٢].

٢ـ قوله تعالى في قصة سارة زوجة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾[٣].

أخرج ابن أبي حاتم عن صخرة بن حبيب «أن سارة لما بشَّرها الرسل بإسحاق قال: بينما هي تمشي وتحدثهم حين أتت بالحيضة فحاضت قبل أن تحمل بإسحاق فكان من قولها للرسل حين بشروها: قد كنت شابة وكان إبراهيم شاباً فلم أحبل فحين كَبُرْتُ وكَبُرَ أألد؟! قالوا: أتعجبين من ذلك يا سارة فإن الله قد صنع بكم ما هو أعظم من ذلك إن الله قد جعل رحمته وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد»[٤].

٣ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾[٥].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.
(٢) كرامات أولياء الله للالكائي: (١٩)، قال المحقق: سنده حسن.
(٣) سورة هود، الآية: ٧١،٧٣.
(٤) الدر المنثور للسيوطي: (٤/ ٤٥٢).
(٥) سورة النمل، الآية: ٤٠.

قال سعيد بن جبير: «لما تكلم الذي عنده علم من الكتاب دخل العرش تحت الأرض فنظر إليه سليمان قد طلع بين يديه فقال: هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر»(١).

ثانياً من السنة المطهرة:

١ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**قد كان فيمن خلا من الأمم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر بن الخطاب**»(٢).

٢ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما رجل بأرض فلاة فسمع صوتاً في سحابة: إسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فانتهى إلى الحرة فإذا هي أذناب بشراج فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت الماء فتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته فقال له: يا عبدالله ما اسمك قال: فلان، الاسم الذي سمع في السحابة. فقال له: يا عبدالله لم سألتني عن اسمي؟ قال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: إسق حديقة فلان باسمك فما تصنع فيها قال: إن قلت هذا فإني أنظر إلى ما خرج منها فأتصدق بثلثه وآكل ثلثه وأرد فيها ثلثه»(٣).

٣ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: لم يكذب إبراهيم عليه السلام قط إلاَّ ثلاث كذبات اثنتين في ذات الله عز

(١) كرامات الأولياء للالكائي: (٢٢) قال المحقق سنده صحيح.
(٢) رواه البخاري ح: (٣٦٨٩)، ومسلم ح: (٢٣٩٨).
(٣) رواه مسلم ح: (٢٩٨٤).

وجل؛ قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا. وواحدة في شأن سارة، فإنه قدم أرض جبَّار ومعه سارة وكانت من أحسن الناس فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم إنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختي وإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم اليوم مسلماً غيري وغيرك، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فآتاه فقال: لقد دخل أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلاَّ لك فأرسل إليها فأتى بها، وقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة فلما أن دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها: سلي الله أن يطلق يدي ولا أضرك ففعلت فانطلقت يده فعاد فقبضت يده أشد من القبضة الأولى فقال لها: سلي الله أن يطلق يدي ولا أضرك ففعلت فانطلقت يده فدعا الذي جاء بها فقال له: إنك أنما أتيتني بشيطان ولم تأتني بإنسان فلما رآها إبراهيم قل لها مهيم قالت: خير كفَّ الله يد الفاجر وأخدمني هاجر»[١].

ثالثاً بما وقع لكثير من الصحابة من الأمور الخارقة للعادة :

١ـ تنزل الملائكة لاستماع قراءة أسيد بن حضير[٢]. ففي الصحيحين عن أسيد بن حضير ـ رضي الله عنه ـ قال: «بينما هو يقرأ من

---

(١) رواه البخاري ح: (٣٣٥٨)، ومسلم ح: (٢٣٧١).

(٢) أسيد بن حضير بن سماك الأنصاري: من السابقين إلى الإسلام وأحد النقباء ليلة العقبة، اختلف في شهوده بدرًا لكنه شهد أحدًا وما بعدها آخى النبي ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة وكان من أحسن الناس صوتًا بتلاوة القرآن: الإصابة لابن حجر: (١/٤٨).

الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت فقرأ فجالت الفرس فسكت وسكنت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه فلما اجترَّه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدَّث النبي ﷺ فقال له: اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير. قال: فأشفقت يارسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً. فرفعت رأسي فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظُّلَّة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها. قال: وتدري ما ذاك قال: لا. قال: تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصْبَحَتْ ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم»[١].

٢ـ تكثير الطعام الذي قدَّمه أبوبكر الصديق لأضيافه. ففي الصحيحين عن عبدالرحمن بن أبي بكر: أن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء وأن النبي ﷺ قال: من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث وإن أربع فخامس، أو سادس وأن أبابكر جاء بثلاثة فانطلق النبي ﷺ بعشرة قال: فهو أنا وأبي وأمي فلا أدري قال وامرأتي وخادم بيننا وبين بيت أبي بكر وإن أبابكر تعشى عند النبي ﷺ ثم لبث حيث صُلِّيَتْ العشاء ثم رجع فلبث حتى تعشى النبي ﷺ فجاء بعدما مضى من الليل ما شاء الله قالت له امرأته وما حبسك عن أضيافك أو قالت: ضيفك. قال: أوما عشيتيهم. قالت: أبَوا حتى تجيء قد عُرِضُوا فأبَوا. قال: فذهبت أنا فاختبأت فقال: يا غنثر فجدَّع وسبَّ فقال: كلوا لا هنيئاً فقال: والله لا أطعمه أبداً

(١) رواه البخاري ح: (٥٠١٨)، ومسلم ح: (٧٩٦).

وأيم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلاَّ ربا من أسفلها أكثر منها قال: يعني حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك فنظر إليها أبوبكر فإذا هي كما هي أو أكثر منها فقال لامرأته: ياأخت بني فراس ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات فأكل منها أبوبكر وقال: إنما ذلك من الشيطان - يعني يمينه - ثم أكل منها لقمة ثم حملها إلى النبي ﷺ فأصبحت عنده وكان بيننا وبين قوم عقد فمضى الأجل ففرقنا اثنا عشر رجلاً مع كل رجل منهم أناسٌ الله أعلم كم مع كل رجل فأكلوا منها أجمعون أو كما قال»[١].

٣ـ قصة خُبيب بن عدي[٢] وما جرى له مع القُرَّاء الستة ثم وقوعه في الأسر وما حدث له من الكرامة حيث وجدوه يأكل عنباً، وما في مكة من ثمر»[٣].

رابعاً بما وقع لبعض التابعين - رحمهم الله -:

١ـ ما حدث لصلة بن أشيم العدوي[٤] عندما جاءه الأسد وهو قائم

---

(١) رواه البخاري ح: (٦٠٢)، ومسلم ح: (٢٠٥٧).

(٢) خُبيب بن عدي بن مالك الأنصاري: شهد بدرًا وقتل شهيدًا حين غدر به المشركون فقتله بنو الحارث وهو أول من سنَّ صلاة ركعتين عند مقتله وله قصيدة قالها عندما أرادوا قتله منها:

ولست أُبالي حين أقتل مسلمًا ... على أي جنب كان في الله مصرعي

الإصابة: (٢/ ١٠٣).

(٣) انظر: القصة بكاملها في صحيح البخاري ح: (٣٠٤٥).

(٤) صلة بن أشيم العدوي: تابعي مشهور بالزهد والعبادة كان يصلي بالليل حتى ما يستطيع أن يأتي فراشه إلاَّ زحفًا، سير أعلام النبلاء: (٣/ ٤٩٧).

يصلي بالليل فقال له: اطلب الرزق من غير هذا الموضع فولى الأسد وله زئير[١].

٢ـ إصابة عبدالواحد بن زيد بالفالج وسؤال الله عز وجل أن يطلق له أعضاءه وقت الوضوء فكانت أعضاؤه تطلق له وقت الوضوء ثم تعود بعده[٢].

٣ـ تسبيح آنية مطرف بن عبدالله بن الشخير[٣] كلما دخل إلى بيته[٤].

---

(١) انظر: القصة في صفة الصفوة لابن الجوزي: (٣/ ١١٥)

(٢) انظر: القصة كاملة في الحلية لأبي نعيم: (٦/ ١٥٥).

(٣) مطرف بن عبدالله بن الشخير تابعي مشهور ولد في عهد النبي ﷺ وكان خير عباد البصرة وزهادهم له مناقب كثيرة قال ابن سعد: كان ثقة له فضل وورع وعقل وأدب. الإصابة: (٦/ ١٥٨).

(٤) انظر: القصة في الحلية لأبي نعيم: (٢/ ٢٠٥).

ثانيًا : الكرامة عند المتصوفة :

تحتل الكرامات مساحة كبيرة من اهتمامات المتصوفة وكتبهم مملوءة بالغرائب والعجائب من أخبارها والكثير منها يرده الشرع ويرفضه العقل وقد ذهبوا إلى ذلك كمتعلق وحيد ومستمسك واه لهم إذ ليس لديهم علم أصيل يبرزونه أو عمل صالح يظهرونه أو جهاد أو دعوة يثبتونها فجاء تركيزهم على الكرامات وبالغوا في إثباتها ثم تجاوزوا الحدود إلى نسج الأساطير واختلاق الحكايات وتناقل الخرافات ليرسخوا في أذهان عوام الناس مبدأ اللجوء إلى الأولياء والاستغاثة بهم بزعم أنهم أصحاب كرامة ولهم عند الله المنازل الرفيعة والدرجات العالية.

وقد انقسم الناس إزاء هذه الكرامات إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى: غلت في رفض تلك الكرامات وتعصبت كثيراً في إنكارها حتى وصل بها الأمر إلى الطعن في أشخاص أصحابها، ولعلَّ الذي دفعهم إلى هذا الموقف ما نقل من الكرامات الكاذبة والروايات الساقطة فاشتد نكيرهم لردها وإبطالها.

وهذا الموقف من هذه الفئة فيه نظر وذلك لما فيه من الظلم والتجني ومجانبة الحق واتباع الهوى، فقد علمنا فيما تقدم أن الكرامات مما يجوز وقوعه بالضوابط الشرعية.

الفئة الثانية: تعصبت لأصحاب الكرامات وقبلت كل ما أُثِرَ عنهم أو نُسب إليهم من خوارق العادات من غير تمحيص ولا تدقيق أو نظر أو تأمل، مما يرده الشرع وينكره العقل.

وأشهر من جمع تلك الخوراق والطوام: عبدالوهاب الشعراني

في كتابه «الطبقات الكبرى».

الفئة الثالثة: من يميل إلى الوسطية والاعتدال، فيقبلون من الكرامات ما صح وثبت نقله مما لا يتعارض مع الشرع، ويردون ماعدا ذلك، وما يمكن قبوله فهو من باب الفراسة التي قال ابن القيم رحمه الله: «أن حقيقتها خاطر يهجم على القلب ينفي ما يضاده على حسب الإيمان من كان أقوى إيماناً فهو أحد فراسة وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده يفرق به بين الحق والباطل والصادق والكاذب، وكان شاه الكرماني حاد الفراسة لا يخطىء ويقول: من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بالمراقبة وظاهره باتباع السنة وتعود أكل الحلال لم تخطىء فراسته» مدارج السالكين (٢/ ٤٨٢).

وقد نقل رحمه الله مواقف كثيرة شاهدها بنفسه من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بالغ فيها عفا الله عنه لفرط محبته وغلوه في شيخه حتى ذكر أنه كان يخبره بأشياء باطنة تختص به مما عزم عليه ولم ينطق بها لسانه وكان يخبره بحوادث كبيرة تجري في المستقبل، وقد وقع بعضها وهذا من الغلو والمبالغة المفرطة فإن مفاتح الغيب لا يعلمها إلاَّ الله وحده.

هذا ما أردت إيضاحه مع الإيجاز وإلاَّ فموضوع الكرامات وتتبعها بالنقد والتمحيص والحكم عليها بالقبول أو الرد مطلب لا يتسع له موضوع هذه الكتاب ولا يتعلق لي به غرض والله أعلم.

ثالثًا: الكرامة عند المتكلمين الأشاعرة والمعتزلة :

١ ـ عند الأشاعرة :

يتفق الأشاعرة مع أهل السنة والجماعة في إثبات جواز وقوع الكرامة ولكن بدون ضوابط أو حدود فلا يفرقون بين ما يقع من خوارق العادات للأنبياء وبين ما يقع للأولياء أو السحرة ولا فرق عندهم بينها إلاَّ دعوى النبوة من قبل الأنبياء وظهور علامات الصلاح والتقوى من قبل الأولياء.

يقول الجويني: «والمرضي عندنا تجويز خوارق العوائد في معارض الكرامات ثم لا يفرق بين الكرامة والمعجزة إلاَّ بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة»[١].

ويقول البغدادي: «اعلم أن المعجزات والكرامات متساوية في كونها ناقضة للعادات».

إلاَّ أنه يجعل الفرق بينهما من ثلاثة أوجه:

الأول: تسمية ما يدل على صدق الأنبياء معجزة وما يظهر على الأولياء كرامة.

الثاني: أن صاحب المعجزة يظهرها لإثبات صدقه لكن صاحب الكرامة يجتهد في إخفائها.

الثالث: أن صاحب المعجزة معصوم من الكفر بعد ظهور معجزته أما صاحب الكرامة فلا يؤمن تَبَدُّلْ حاله كما حدث لبلعام بن باعوراء[٢].

---

(١) انظر: الإرشاد للجويني: (٢٦٧).

(٢) أصول الدين للبغدادي بتصرف يسير: (١٧٤).

ولا شك أن أصحاب هذا القول قد جانبوا الصواب وأن التسوية بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء غير وارد لأن المعجزات التي يؤيد الله بها أنبيائه إنما كانت لإثبات نبوتهم وبالتالي حصول القناعة لدى أممهم بأنهم رسل من عند الله فيترتب على ذلك دخولهم في دين الله وحصولهم على السعادة في الدنيا والفوز بالجنة والنجاة من النار في الدار الآخرة.

أما الكرامة التي تظهر على أيدي بعض عباد الله الصالحين فإنما تقع لحاجتهم إليها أو للدلالة على فضلهم وقربهم من الله تعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم ولكن قد يشاركونهم في بعض أعمالهم»[١].

٢ ـ المعتزلة:

المعتزلة يمنعون وقوع الكرامات أو خوارق العادات لغير الأنبياء وذلك انطلاقاً من أصلهم في رد الأمور التي لا تصدقها عقولهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«فقالت طائفة لا تخرق العادة إلاَّ لنبي وكذَّبوا بما يذكر من

(١) النبوات لابن تيمية: (٤).

خوارق السحرة والكهان وبكرامات الصالحين وهذه طريقة أكثر المعتزلة وغيرهم»[١].

ولا شك في عدم صحة قولهم بعد ثبوت الكرامات بأدلة الكتاب والسنة وتواتر الوقائع والحوادث بها كما سبق أن أوضحناه عند إيراد مذهب أهل السنة والجماعة في الكرامات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«لكن هؤلاء ـ يعني المعتزلة ـ كذَّبوا بما تواتر من الخوارق لغير الأنبياء والمنازع لهم بقول هي موجودة مشهودة لمن شهدها متواترة عند كثير من الناس أعظم مما تواترت عندهم بعض معجزات الأنبياء وقد شهدها خلق كثير لم يشهدوا معجزات الأنبياء فكيف يكذبون بما شهدوه ويصدقون بما غاب عنهم ويكذبون بما تواتر عندهم أعظم مما تواتر غيره»[٢].

وبهذا التفصيل يزول اللبس والغموض ويتضح ما يكون كرامة من عند الله لبعض أوليائه وعباده الصالحين وما يكون إيحاءاً من الشياطين وتلاعباً من الأبالسة ممن سوَّلت لهم الشياطين وأملت لهم وزينت لهم سوء أعمالهم. ونعوذ بالله من ذلك.

---

(١) النبوات لابن تيمية: (٢).
(٢) النبوات لابن تيمية: (٢).

الباب الثاني عشر
أشهر الطوائف والفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة

وفيه مباحث:

المبحث الأول: **الخوارج**

المبحث الثاني: **الشيعة**

المبحث الثالث: **المعتزلة**

المبحث الرابع: **الأشاعرة**

الفرق العقائدية في الإسلام
مدخل تاريخي

منذ بزوغ فجر الإسلام ونزول الوحي على الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه كان من أولويات الدعوة إلى الله إلى جانب عقيدة التوحيد وقضايا الإيمان كان هناك تركيزًا كبيرًا ودعوة أكيدة إلى المحبة والتكالف والوحدة والاجتماع ونبذ الفرقة والخلاف والتنازع والاختلاف فيما تضمنته الآيات الكريمة والتوجيهات الربانية في مثل قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾(١) وقوله عزَّوجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾(٢) وفي مثل قوله ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»(٣)

وحين استجابت الأمة في عهدها الأول لهذه التعاليم استقام أمرها وصلح حالها ومكَّن الله لهافي الأرض ودخل الناس في دين الله أفواجًا ينعمون بالأمن والإيمان في ظل دوحته الوارفة وتعاليمه العظيمة وإذاحصل خلاف أو وقع نزاع قُضي عليه في عهده بالرجوع إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ عملاً بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾(٤) وعندما يجدون الأمر واضحًا في الكتاب

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

(٣) رواه البخاري ح: (٧٠٧٧)، ومسلم ح: (٦٥).

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٩.

والسنة يرضخون ويسلمون ولا يرون ذلك إلاَّ دليلاً على صدق إيمانهم، وقوة يقينهم مدركين قول الله عزَّوجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[١] وهكذا ظلت الأمة ردحًا من الزمن معتصمة بالله منفذة لأوامره مسترشدة بهدي نبيها صلوات الله وسلامه عليه إلى أن توفي بأبي هو وأمي إذ بدأت بوفاته بذرة الخلاف حول الخلافة بين المهاجرين والأنصار حين كان الأنصار يرون أنهم أولى بالخلافة بينما يرى المهاجرون أنهم أولى بها.

ولكن هذا الخلاف ما لبث أن قضى عليه في مهده لحداثة عهد الأمة بنبيها وقربها الزماني والمكاني من تعاليمه فاختارت الأمة أبابكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ خليفة لرسول الله ﷺ واستمر الأمر في عهده وعهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ والخليفة الثالث عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ على ما كان عليه في عهد رسول الله ﷺ، إلاَّ أنه وبعد مقتل عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ بدأت الفتن في إخراج أعناقها حين بادر بعض الصحابة إلى بيعة علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وتوليته أمر المسلمين بينما يرى بعضهم الآخر أنَّ عثمان قد قتل مظلومًا وأنه يجب القصاص من قاتليه[٢]

وهكذا اختلفت وجهات النظر ودب الخلاف بينهم رغم إيضاح علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وبيانه أنه لن يترك قتلة عثمان

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري: (٣).

ولكنه كان يرى أنَّ الأهم هو جمع كلمة المسلمين أولاً ثم المقاضاة والقصاص من القتلة ثانيًا إذ أنَّ الحدود لا تقام إلاَّ في ظل الأمن والنظام لا في ظل الفرقة والإنقسام

وقد كادوا يقتنعون برأيه ويستجيبون لدعوته لولا تحرك عناصر الفتنة وإشغالهم نار الحرب التي أدت إلى وقوع معركة الجمل وسقوط أكثر من عشرة آلاف قتيل[1] ثم معركة صفين ثم حادثة التحكيم وظهور الخوارج ووقوع الحرب بينهم وبين علي ـ رضي الله عنه ـ والتي انتهت بقتله غيلة وظهور فرقة الشيعة التي ادَّعت التعاطف مع علي وآل بيته، ونادت بحقه وحق أولاده في الخلافة كرد فعل لموقف الخوارج وبني أمية ووجدت هذه الدعوة أعني التشيع مناخًا مناسبًا في الوسط المضطرب كما وجدت جذورًا مناسبة من دعوات وصيحات مغرضة كانت تطلق هنا وهناك منذ وفاة النبي ﷺ من أنَّ علي بن أبي طالب كان هو الأولى بالخلافة بالإضافة إلى اجتهاد أعداء الإسلام والمتربصين به وحرصهم على النيل منه، فوجدوا الفرصة سانحة للانتقام منه بركوب هذه الموجه فاجتهدوا في زرع الفتنة بتزعم اليهودي اللعين عبدالله بن سبأ الذي بث عقيدة التشيع والمناصرة لأهل البيت والطعن في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ والقول برجعة علي ـ رضي الله عنه ـ إلى الدنيا إلى غير ذلك من العقائد الباطلة التي نادى بها متأثرًا بيهوديته وحقده الدفين على الإسلام والمسلمين.

وقد اعتمدوا في نشر باطلهم على تأويل الآيات القرآنية

---

(١) انظر: الفتنة وموقعة الجمل: أحمد راتب عرموش: (١٤٧).

وصرفها عن مقاصدها ومدلولاتها واختلاق الأكاذيب في سبب نزولها، كما اعتمدوا على الأحاديث الموضوعة التي وضعوها لدعم باطلهم وعلى بعض الأحاديث التي وردت لتفيد فضيلة علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ كغيره من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أصحاب الفضل والسابقة ولكنهم جعلوها أدلة تدل على إمامته لا على فضله حتى انتهوا إلى المناداة برفض ولاية أبي بكر الصديق وعمر واتهامهما بالظلم والاعتداء على حق علي ـ رضي الله عنه ـ في الخلافة ثم تطور هذا الاتجاه إلى تكفيرهما وتكفير جميع الصحابة الذين بايعوهما، وهكذا نجد أنَّ أول من فارق جماعة المسلمين هم الخوارج الذين سموا بالناصبة لمناصيتهم عليًا ـ رضي اللهعنه ـ العداء ثم ظهرت الرافضة كردة فعل وسموا بالشيعة لمناصرتهم عليًا ومشايعتهم له.

ثم ظهرت بعد ذلك مسألة القدر التي نادى بها معبد الجهني والتي تطورت حتى أصبحت فرقة من الفرق الكبيرة وقد تحدثنا عنها عند الكلام على الإيمان بالقضاء والقدر، وبعد ذلك ظهرت المرجئة ثم المعطلة والجهمية ثم المعتزلة والأشاعرة والماتريدية وسوف أتحدث عن هذه الفرق بشيء من الإيجاز وذلك رغبة في كشف باطلها وللتحذير من الوقوع في شباكها أو الاغترار ببعض أوجه الصحة فيها فإنَّ الباطل لايقبله الناس إلاَّ إذا اختفى في ظلال الحق، ورغم أنَّ بعض هذه الفرق قد اندثرت وانتهت ولم يَعُدْ لها وجود في الساحة الإسلامية إلاَّ أنَّ أفكارها لا تزال تتجدد وتلبس ثيابًا أخرى وتتسمى بمسميات جديدة لكنها في الحقيقة إنما تدعو إلى تلك

الأفكار كما أنَّ بعض هذه الفرق لا يزال يتوسع وينتشر. وحتى يكون المسلم على بينة من أمره فإنَّ معرفه الباطل من عوامل الوقاية منه وصدق الله القائل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾(١) وسأتحدث عن أبرز تلك الفرق وهي:

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٥.

المبحث الأول
الخوارج

أطلق هذا المسمى أولاً على النفر الذين خرجوا على علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بعد قبوله التحكيم عقب معركة صفين حيث اعتبروا قبوله خطيئة تؤدي إلى الكفر ومن ثم طلبوا من علي بن أبي طالب أن يعترف بالكفر ثم يتوب منه، وقد سموا أيضًا بالحرورية لانحيازهم إلى قرية بالقرب من الكوفة يقال لها حروراء، ثم أطلق هذا المسمى على كل من تبني أفكارهم واقتنع بمبادئهم ونادى بشعاراتهم، وقد ظهر بعض أفرادهم في عهد النبي ﷺ ووردت بعض الأحاديث التي توضح أوصافهم وتفيد الأمر بقتالهم.

ففي الصحيحين من حديث أبي سعيدالخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: «بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها، قال فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن حصن والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع أما علقمة بن علاثة، وإما عامر بن الطفيل فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً**» قال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار فقال: يارسول الله اتق الله فقال: «**ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله**» قال: ثم ولى الرجل فقال خالد بن الوليد: يارسول الله ألا أضرب عنقه، فقال: لعله أن يكون يصلي،

فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول اللهﷺ: «**أني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم**» قال: ثم نظر إليه وهو مُقَفٍّ وقال: «**إنه يخرج من ضئضيء هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا لايجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**» قال: أظنه قال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود»[١].

وقد ذكرت بعض المصادر أنَّ هذا الرجل هو ذو الخويصرة ويدعي حرقوص بن زهير السعدي، وكان أحد الرؤوس التي دبرت الفتنة وشاركت في المؤامرة ضد الخليفة عثمان حيث كان على رأس ثوار البصرة ثم كان على رأس الذين انشقوا على علي ـ رضي الله عنه ـ.

إلاَّ أنهم لم يظهروا كجماعة إلاَّ بعد التحكيم حين فارقوا الجماعة وانحازوا إلى حروراء وعينوا شبث بن ربعي التميمي ليكون أميرًا لهم، مما اضطر الخليفة علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ إلى قتالهم بعد أن أقام الحجة عليهم بإرسال الصحابي الجليل عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في محاولة لإقناعهم بالرجوع إلى الحق والعودة إلى الجماعة وعدم إثارة الفتنة وحين ناظرهم وردَّ على شبهاتهم عادت منهم طائفة كبيرة مما أطمع علي ـ رضي الله عنه ـ في إصلاحهم فخرج بنفسه إلى البقية الباقية منهم وذكَّرهم بأنهم هم الذين حملوه على قبول التحكيم ولكنهم رفعوا شعارهم بأنه: «لاحكم إلاَّ لله» فلما سمع ذلك قال: «كلمة حق أريد بها باطل»،

---

(١) رواه البخاري ح: (٣٣٤٤)، ومسلم ح: (١٠٦٤).

وعندما قاموا باستحلال دماء المسلمين وأموالهم وبعد أن أقدموا على قتل عبدالله بن خباب بن الأرت على شفير النهر وبقروا بطن أم ولده وأخذوا يقطعون الطرق ويعتدون على الناس، عندها لم يجد بدًّا من قتالهم في معركة النهروان التي أبيدوا فيها ولم ينج منهم إلاَّ القليل، غير أنَّ من بقي منهم عمل على إذكاء روح القتال والعنف الذي أدَّى إلى التخطيط لعملية اغتيال علي بن أبي طالب، ثم ظهور الفرق العديدة منهم وهم المحكمة الأولى، والأزارقة والنجدات، والصفرية، والعجاردة والإباضية، والثعالبة.

أما الأصول والمبادىء التي ينادون بها ويلتقون عليها فيمكن حصرها فيما يلي:

١ـ تكفير صاحب الكبيرة بناءًا على سوء فهمهم للقرآن، حيث فهموا منه مالم يدل عليه وأنزلوا الآيات التي نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين وتمسكوا بظواهر النصوص من غير اعتبار للآيات الأخرى التي تصف مرتكب الكبيرة بأنه مؤمن ومن غير اعتبار لعمل الرسول ﷺ وسنته التي تفسر القرآن وتوضحه، ولذا فقد اجتهد علي بن أبي طالب في إيضاح خطأ هذا المنهج وبيَّن لهم أنَّ فعل المعصية لا يقتضي الكفر على الإطلاق فإنَّ الرسول ﷺ أقام الحدود على الزاني والزانية، وأخبر أنهما ينغمسان في الجنة ولكن الخوارج كما يقول ابن حزم: «كانوا أعرابًا قرأوا القرآن ولم يتفقهوا في السنة ولذا نجدهم يكفر بعضهم بعضًا عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها»[١].

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم: (٤/١٥٦).

٢ـ وجوب الخروج على الأئمة إذا وقعوا في معصية باعتبارهم كفارًا انطلاقًا من تكفيرهم مرتكب الكبيرة.

٣ـ إنكارهم الشفاعة بناءً على أنَّ صاحب المعصية كافر وبالتالي لا تنفعه الشفاعة وهكذا يؤدي الوقوع في خطأ واحد في العقيدة إلى تسلسل الوقوع في أخطاء أخرى يستلزمها ذلك الخطأ.

٤ـ تكفير من رضي بالتحكيم وتكفير بعض الصحابة كعمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري وعائشة ـ رضي الله عنها ـ

لكن هذه المباديء لم تقف عند هذا الحد ولكنهم ساروا وراء الأهواء وتأثروا بكلام الجهمية حتى قالوا بخلق القرآن وإنكار رؤية الله عزَّوجل في الآخرة وانكار صفات الباريء سبحانه خصوصًا فرقة الإباضية التي لا تزال موجودة في بعض بلاد المسلمين، غيرأنَّ هناك جماعات ظهرت في العصر الحاضر تتبنى أفكار الخوارج وتعتنق مبادئهم ومن أشهرها: «جماعة التكفير والهجرة» التي ظهرت بمصر، والتي أطلقت حكم التكفير على الحكام لأنهم لا يحكمون بما أنزل الله من غير تفصيل وعلى المحكومين، لأنهم رضوا بذلك، وعلى العلماء لأنهم لم يكفروا أولئك كما أنهم يكفرون كل من لم ينضم إلى جماعتهم أما من انضم إليهم ثم تركهم فهو مرتد حلال الدم»[١].

---

(١) انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين: د/أحمد جلي: (٥١) وما بعدها والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: (٣٣٨).

المبحث الثاني
الشيعة

هذه الفرقة ظهرت كردة فعل لموقف الخوارج من علي بن أبي طالب حيث كفروه وحاربوه ثم اغتالوه ـ رضي الله عنه ـ مما كان له أكبر الأثر في ظهور هذه الفرقة التي شايعته وناصرته وأهل بيته ثم تطورت هذه المناصرة إلى القول بإمامته والطعن في خلافة أبي بكر الصديق وعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ

ويطلق عليهم الإمامية، لأنَّ الإمامة هي أبرز قضاياهم وسمُّوا بالإثني عشرية لأنهم يقولون بإمامة إثني عشر إمامًا من أهل البيت هم:

١ـ علي بن أبي طالب الملقب عندهم بالمرتضى.
٢ـ الحسن بن علي الملقب بالمجتبى.
٣ـ الحسين بن علي الملقب بالشهيد.
٤ـ علي زين العابدين بن الحسين الملقب بالسجاد.
٥ـ محمد الباقر بن علي زين العابدين الملقب بالباقر.
٦ـ جعفر الصادق بن محمد الباقر الملقب بالصادق.
٧ـ موسى الكاظم بن جعفر الملقب بالكاظم.
٨ـ علي الرضا بن موسى الكاظم الملقب بالرضا.
٩ـ محمد الجواد بن علي الرضا الملقب بالتقى.
١٠ـ علي الهادي بن محمد الجواد الملقب بالنقي.
١١ـ الحسن العسكري بن علي الهادي الملقب بالزكي.

١٢ـ محمد المهدي بن الحسن العسكري الملقب بالحجة القائم المنتظر.

ويزعمون أنَّ محمد المهدي قد دخل سردابًا بسامراء وأنه سيخرج وهم ينتظرون خروجه حتى هذه الساعة.

أما أبرز أصولهم ومعتقداتهم فهي كالتالي:

١ـ الإمامة: وهم قضيتهم الكبرى والتي تحتل جزءًا كبيرًا من اهتماماتهم ويرون أنها لاتكون إلاَّ بالنص الجلي وأنه لايمكن أن يفارق النبي ﷺ الحياة دون أن يعين إمامًا يرجع إليه الناس، وأنَّ النبي ﷺ قد نصَّ على إمامة علي بن أبي طالب نصًّا ظاهرًا جليًّا، وأنَّ عليًّا ـ رضي الله عنه ـ قد نصَّ على الحسن والحسين وأنَّ كل إمام يعين الإمام الذي يليه بوصية منه.

٢ـ العصمة: أي إنَّ الأئمة معصومون عن الخطأ والنسيان وعن اقتراف الكبائر والصغائر.

٣ـ العلم اللدني ويعني ذلك أنَّ كل إمام قد أودع العلم من لدن النبي ﷺ.

٤ـ الغيبة أي أنَّ الزمان لا يخلو من حجة لله عقلاً وشرعًا وأنَّ الإمام الثاني عشر قد غاب في سردابه.

٥ـ الرجعة: حيث يعتقدون أنَّ الإمام الثاني عشر سيعودآخر الزمان عندما يأذن له الله بالخروج ولذا فإنهم يقفون بعد صلاة المغرب على باب السرداب وقد أعدوا مركبًا ثم يهتفون باسمه ويدعونه إلى الخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينصرفون على أن يعودوا في الليلة التالية.

٦ـ التقية وهي من أصول دينهم وتركها كترك الصلاة بل يرون وجوبها إلى أن يخرج الإمام القائم وينسبون إلى الإمام محمد الباقر قوله: «التقية ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له» ومعناها إظهار خلاف ما يبطن الإنسان.

٧ـ يعتقدون أنَّ لديهم مصحفًا يسمونه مصحف فاطمة غير القرآن الذي يقرؤه المسلمون يقول الكليني في كتابه الكافي صفحة: ٥٧، طبعة: ١٢٧٨ هجرية عن أبي بصير أبي جعفر الصادق قال: «وإنَّ عندنا لمصحف فاطمة ـ عليها السلام ـ قال: قلت وما مصحف فاطمة قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه حرف واحد من قرآنكم».

٨ـ البراءة من الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وسبهم ونعتهم بأقبح الصفات زاعمين أنهم اغتصبوا الخلافة من علي بن أبي طالب، وينالون من كثير من الصحابة ويسبون أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

٩ـ الغلو في علي بن أبي طالب حتى رفعه بعضهم إلى مرتبة الألوهية كالسبئية وبعضهم قالوا: إنَّ جبريل قد أخطأ في الرسالة فنزل بها على محمد بدلاً من علي لأنه يشبهه كما يشبه الغراب الغراب وهم الغرابية.

١٠ـ إقامة العزاء والنياحة والجزع وضرب الصدور في يوم عاشوراء معتقدين أنَّ ذلك قربة إلى الله وأنه يكفر سيئاتهم»[١].

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: (٥٥) بتصرف.

المبحث الثالث

المعتزلة

فرقة نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي وقد اعتمدت في فهم العقيدة على العقل المجرد لتأثرها بالفلسفة اليونانية والهندية، التي تقدس العقل، الأمر الذي آل بهم إلى انحراف عن عقيدة أهل السنة والجماعة التي تعتمد في استدلالها على الدليل الشرعي من الكتاب والسنة وذلك لقصور العقل البشري وعجزه عن إدراك حقائق الأشياء والإحاطة بتفسير جميع الأمور:

وسبب تسميتها في أظهر التعليلات اعتزال واصل بن عطاء رأس المعتزلة لحلقة شيخه الحسن البصري، بعد قوله بأنَّ صاحب الكبيرة ليس كافرًا ولا مؤمنًا بل هو في منزلة بين المنزلتين فقال الحسن: اعتزلنا واصل، وقد برزت المعتزلة كفرقة فكرية في عهد المأمون الخليفة العباسي حيث أخذت على يديه بعدًا سياسيًا بعد اقتناعه ببعض أفكارها عن طريق بشر المريسي، وأحمد بن أبي دؤاد خصوصًا القول بخلق القرآن، إلاَّ أنَّ الخليفة المتوكل انتصر لأهل السنة وقضى على المعتزلة في عهده وكاد أن ينتهي هذا الفكر من الوجود غير أنه عاد إلى الظهور في العصر الحديث بعد أن عفى عليه الزمن على يد بعض الكتاب والمفكرين وأطلقوا عليه أسماء جديدة كالعقلانية والتنوير والتجديد، وقد قوّى هذه النزعة التأثر بالفكر الغربي المادي حيث لجؤوا إلى إخضاع النصوص الشرعية للعقل

البشري فما وافقه منها قبلوه وما عارضه فإن كان قرآنًا أولوه وإن كان حديثا أبطلوه وردوه مهما كانت درجة صحته ومعنى هذا تأليه العقل ومنحه صلاحية أكثر مما يحتمله رغم أنَّ للاجتهاد مجاله، وللعقل إمكانيته في البحث والتعليل والابتكار، ولكن في حدود النصوص الشرعية الثابتة ولو انساق الناس وراء أهوائهم وما تمليه عليهم عقولهم القاصرة فسيؤدي ذلك إلى نقض عرى الإسلام وضياع معالمه كما حصل للرسالات السابقة التي حرفت وبدلت بسبب اتباع الأهواء والآراء وتقديمها على النصوص الثابتة.

أما أصول المعتزلة فهي خمسة كالتالي:

١ـ التوحيد ومعناه عندهم نفي الصفات واستحالة رؤية الله عزَّوجل.

٢ـ العدل ويعني في نظرهم أنَّ الله لايخلق أفعال العباد وأنَّ العباد هم الذين يخلقون أفعالهم ولا علاقة لله عزَّوجل بأفعالهم وذلك لخلطهم بين إرادة الله الكونية القدرية وإرادته الدينية الشرعية.

٣ـ الوعد والوعيد أي أنَّ الله يجزي المحسن إحسانًا والمسيء إساءة ولا يغفر لمرتكب الكبيرة في الآخرة وأنه خالد مخلد في النار.

٤ـ المنزلة بين المنزلتين بمعنى أنَّ مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر وإنماهو في منزلة بينهما.

٥ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعناه وجوب الخروج على الحاكم إذا خالف وانحرف عن الحق بدون تفصيل ولا ضوابط، وقد أدى اعتمادهم الكلي على العقل إلى الوقوع في كثير من الضلالات فنفوا الصفات، وطعنوا في أكابر الصحابة، وحتى لا يتوهم أحد أنَّ الإسلام يتجاهل العقل أو يحجر عليه.

فقد حدد العلماء مجال استخدامه بعدد من الضوابط منها:

أـ ألا يتعارض مع النصوص الثابتة من الكتاب والسنة

ب ـ ألا يستخدم العقل في المسائل الغيبية التي لايمكن معرفتها إلاَّ بالوحي

ج ـ أنَّ النقل الصحيح لا يمكن أن يتعارض مع العقل الصريح وفي حالة توهم التعارض فإنه ينبغي تقديم النقل وإتهام العقل، لأنَّ العقول تتغير وتتأثر بالمؤثرات، وهكذا يتبين أنه لابد من تكامل العقل والنقل في فهم النصوص الشرعية(١).

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: (٧٥) بتصرف.

المبحث الرابع
الأشاعرة

من الفرق الكلامية التي اتخذت البراهين والدلائل العقلية الكلامية في مقارعة خصومها لإثبات حقائق الدين، وتنسب إلى أبي الحسن الأشعري الذي مرَّ في حياته الفكرية بثلاث مراحل:

الأولى: التلقي لمذهب المعتزلة عن خاله أبوعلي الجبائي حتى أصبح من رؤوس الاعتزال.

الثانية: رفض مذهب المعتزلة والبراءة منه، والبدء في تأسيس منهج الأشاعرة وذلك بإثبات سبع صفات فقط وهي الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، وتأويل جميع الصفات الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق، وهذه هي المرحلة التي لايزال الأشاعرة عليها حتى الآن مع بعض الزيادات في الأفكار والمباديء على ضوء ما سنذكره بعد قليل.

الثالثة: اتباع منهج السلف واعلان البراءة عن كل ما يتعارض معه وتأليف كتابه: «الإبانة عن أصول الديانة» الذي ضمنه عقيدة أهل السنة والجماعة.

وبعد رفض الإمام الأشعري لمذهبه قام أئمة هذه الفرقة بوضع أصوله ومبادئه التي أخذت أكثر من طور وتعددت فيه الاجتهادات وتذبذبت فيه المواقف.

أما أهم أفكارهم وأصولهم فهي:

١ـ مصدر التلقي عندهم الكتاب والسنة لكن لاعلى منهج وفهم السلف الصالح ولكن على قواعد علم الكلام، ولذلك يقدمون

العقل على النقل عند التعارض .

٢ـ عدم الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة، لأنها في زعمهم لا تفيد العلم اليقيني وهذا مخالف لمنهج السلف وإضاعة لأحكام وعقائد الإسلام فقد كان النبي ﷺ يرسل الرسل فرادى لتبليغ دين الله كإرساله معاذًا إلى اليمن وغيره.

٣ـ مخالفتهم لمذهب السلف في إثبات وجود الباري سبحانه حيث وافقوا الفلاسفة والمتكلمين في الاستدلال على وجود الله بقولهم: إنَّ الكون حادث ولا بد له من محدث قديم وأخص صفات القديم مخالفته للحوادث إلى آخر ما نسجوه من الأباطيل التي ترتب عليها إنكار بعض الصفات وغير ذلك.

٤ـ التوحيد عندهم هو إثبات الربوبية فقط والإله في نظرهم هو الخالق أو القادر على الاختراع وهذا باطل لأنَّ التوحيد يشمل توحيدالله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

٥ـ يرون أنَّ أول واجب على الإنسان عند بلوغ سن التكليف هو النظر ثم الإيمان بينما يعتقد أهل السنة والجماعة أنَّ أول واجب هو عبادة الله وحده لا شريك له.

٦ـ تأويل الصفات الذاتية «كالوجه واليدين والعين واليمين والقدم والأصابع» وبعضهم ذهب إلى تفويض معانيها وهذا باطل والحق هو إثبات كل ما أثبته الله وأثبته رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على ما وردت به النصوص من غير تأويل ولا تعطيل أو تشبيه أو تمثيل مع قطع النظر عن إدراك الكيفية[١] .

---

(١) الموسوعة الميسرة للمذاهب المعاصرة: (٨٧)، بتصرف.

الباب الثالث عشر
أشهر الديانات المخالفة للإسلام

وفيه مباحث:

المبحث الأول: **اليهودية**

المبحث الثاني: **النصرانية**

المبحث الثالث: **الهندوسية**

المبحث الرابع: **البوذية**

«مدخل تاريخي»

سبق أن تحدثت في المبحث السادس من الباب التاسع المتعلق بالإيمان بالرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وأوضحت أنَّ دين الإسلام هو الدين الذي بُعث به محمد ﷺ كما بُعث به جميع الرسل، وأنَّ الله لايقبل من العباد دينًا غيره، وقد جاءت رسالة محمد ﷺ ناسخة لجميع الرسالات السابقة، لكن المسلم مطالب بالاعتراف بتلك الرسالات وبكتبها المنزلة، كما أنزلت لا كما آلت إليه بعد أن لحقها التحريف والتلاعب، لكن أتباع تلك الديانات من اليهود والنصارى وغيرهم لم يقفوا من الإسلام موقفًا منصفًا بالاعتراف به كما اعترف هو بدينهم وكتبهم ورسلهم، وإنما اتخذوا منه موقفًا عدائيًا فلم يقبلوا الدعوة التي وجهها الله إليهم في قوله: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[1].

وبما أنَّ الإسلام دين يقوم على حقيقة وحدانية الله وعدم الغلو في الأنبياء أو القول على الله بغير الحق فقد خاطب الله أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾[١]، ولكن اليهود والنصارى لم يستجيبوا لهذا النداء الرباني الكريم، وإنما أصروا على الغلو ونسبة الولد إلى الله سبحانه ووصف النبي ﷺ بما لايليق به، ومحاربته ومعاداته وقد أخبرنا الله عزَّوجل بحقيقة موقفهم من هذا الدين بقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[٢] وبقوله عزَّوجل: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[٣] وقوله سبحانه: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾[٤] وسوف أتحدث بإيجاز عن بعض تلك الأديان في المباحث التالية:

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٧١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.
(٤) سورة النساء، الآية: ٨٩.

المبحث الأول
اليهودية

وهي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم ـ عليه السلام ـ والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذين أرسل الله إليهم موسى ـ عليه السلام ـ مؤيدًا بالتوارة ليكون لهم نبيًا وهي منسوبة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب وعممت على سبيل التغليب، وقد تربى موسى ـ عليه السلام ـ في قصر فرعون مصر بعد أن ألقته أمه في النهر داخل تابوت لخوفها عليه من فرعون الذي كان يقتل أبناء بني إسرائيل، ولما شبَّ موسى قتل رجلاً قبطيًا ثم خرج من مصر إلى مدين وهناك عمل راعيًا لدى شيخ صالح قيل إنه شعيب ـ عليه السلام ـ الذي زوجه إحدى ابنتيه على أن يعمل لديه ثماني سنين، ولما قضى موسى الأجل وفي طريق عودته إلى مصر أوحى الله إليه بالرسالة وكلفه بالذهاب إلى فرعون لدعوته، ولكن فرعون رفض الدعوة وحاربها مما اضطر موسى ومن معه إلى الخروج فما كان من فرعون إلاَّ مطاردته للقضاء عليه ولكن الله نجَّى نبيه ومن معه وأغرق فرعون ومن معه كما أوضحت ذلك العديد من الآيات القرآنية في ذكر قصة موسى ـ عليه السلام ـ.

من أهم معتقداتهم :

١ـ أنَّ الذبيح من ولد إبراهيم ـ عليه السلام ـ هو إسحاق المولود من زوجته سارة بينما الصحيح أنه إسماعيل ـ عليه السلام ـ .

٢ـ ليس في كتبهم ذكرعن البعث والجزاء والثواب والعقاب سوى

إشارات بسيطة لأنَّ تركيبة الفكر اليهودي لا تؤمن إلاَّ بالماديات.

٣ـ يرون أنَّ الثواب والعقاب إنما يكون في الدنيا فقط فالثواب هو النصر والتمكين والعقاب هو الهزيمة والذل والاستبعاد.

٤ـ يعتقدون أنهم شعب الله المختار وأنَّ أرواحهم جزء من الله، وإذا ضرب أمي إسرائيليًّا فكأنما اعتدى على الله وأنَّ الفرق بين الإنسان والحيوان هو بمقدار الفرق بين اليهودي وغير اليهودي وقد ذكر الله ذلك عنهم في القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾[1].

٥ـ يجوز لديهم غش غير اليهودي وسرقته وإقراضه بالربا الفاحش وشهادة الزور ضده وعدم البر بالقسم أمامه، ذلك لأنَّ غير اليهود في عقيدتهم كالكلاب أو الخنازير والبهائم بل يعدون فعل ذلك بغير اليهود قربة إلى الله.

٦ـ الديانة اليهودية خاصة باليهود فقط ولا يتيحون لغيرهم فرصة إعتناقها إلاَّ إذا كان من سلالة الشعب اليهودي.

٧ـ من رحم اليهودية المشوهة خرجت الصهيونية تلك الحركة السياسية العنصرية المدمرة التي هدفت إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين وخططت لذلك منذ قرن من الزمان حتى أقامتها لتحكم العالم من خلالها، ومن خلال أفكارها التي صاغتها في بروتوكولات حكماء صهيون والتي تعتمد على تخويف الآمنين واستخدام العنف والإبادة معهم، وإغراقهم في الرذائل والسيطرة

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

على العالم بأسره عن طريق المال والإعلام، والدعوة إلى الإلحاد والإباحية والفساد مع مخادعة الشعوب بالشعارات كالحرية والمساواة والإنسانية[١].

(١) انظر الموسوعة الميسرة للمذاهب المعاصرة: (٤٩٥) بتصرف.

المبحث الثاني
النصرانية

هي الرسالة التي أنزلت على عيسى - عليه السلام - مكملة لرسالة موسى - عليه السلام - ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم داعية إلى التوحيد والفضيلة غير أنها قوبلت بالمقاومة الشديدة حتى فقدت أصولها، وقد مرت بعدة مراحل، انتقلت خلالها من رسالة ربانية منزلة إلى ديانة محرفة ومبدلة، ويمكن تقسيم هذه المراحل كالتالي:

المرحلة الأولى:

لما اشتد انحراف بني إسرائيل عن شريعة موسى - عليه السلام - وطغيان التفكير المادي على عقولهم وفساد عقائدهم وأخلاقهم بعث الله إليهم عيسى بن مريم لدعوتهم إلى توحيدالله وإلى ملة إبراهيم حنيفًا وأيَّده الله بالمعجزات الخارقة للدلالة على نبوته فكان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرًا بإذن الله، ويبريء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، وأيَّده الله أيضًا بمائدة من السماء أنزلها عليه وعلى حوارييه لتكون لهم عيدًا لأولهم وآخرهم.

وقد قاوم اليهود دعوة عيسى وتآمروا على قتله مما اضطره إلى الاختفاء عن أعينهم غير أنَّ أحد أصحابه دلَّ الجند على مكانه فألقى الله عليه شبه عيسى وصورته فنفذ فيه حكم الصلب بدلاً من عيسى - عليه السلام - الذي رفعه الله إليه، على أنَّه سينزل قبل قيام الساعة

ليحكم بالإسلام ويقتل الخنزير ويكسر الصليب .

المرحلة الثانية :

وهي المسماة بالعصر الرسولي، والذي أعلن فيه بولس إيمانه بالمسيح بعد زعمه رؤيته عند عودته من دمشق وأنه عاتبه على اضطهاده لأتباعه وأمره بنشر تعاليمه بين الأمم وبالفعل قام بولس بالذهاب إلى روما وتأسيس كنائس نصرانية ونادى بعقيدة الصليب والفداء ونسخ أحكام التوراة وبذر بذور التثليث وقد استمرت المقاومة الشديد لأفكار بولس عبر القرون الثلاثة الأولى.

المرحلة الثالثة :

مرحلة الإضطهاد والتي عانت فيها الديانة النصرانية أشد المعاناة من التثليث على أيدي اليهود الذين كانت لهم السيطرة الدينية ومن الرومان الذين كانت لهم السيطرة السياسية وقد اتخذ الاضطهاد أشكالاً عديدة من القتل والنشر بالمناشير والتمشيط ما بين اللحم والعظم والإحراق بالنار.

المرحلة الرابعة :

مرحلة الفهد الذهبي: وتبدأ من تربع الأمبراطور قسطنطين على عرش الأمبراطورية الرومانية عام: ٣١٢م والذي قام باستمالة قلوب النصارى بمنحهم الحرية في الدعوة والترخيص لديانتهم كما قام بتقريب النصارى وإسناد الوظائف الكبيرة إليهم وأظهر لهم التسامح وبنى لهم الكنائس واتخذ الصليب شعارًا لدولته فنشطت الدعوة ودخل الكثير من الوثنيين إلى النصرانية.

المرحلة الخامسة :

مرحلة الانفصال السياسي ونشأة البابوية: قبل وفاة قسطنطين قسم الإمبراطورية على أولاده الثلاثة، فأعطى الغرب لقسطنطين الثاني والشرق لقسطنطيوس والجزء الأوسط من شمال أفريقيا لقنسطانس، على إثر هذا التقسيم حصل الضعف في الأمبراطورية الغربية وتم الفصل بين سلطان الدولة والكنيسة، وعلى العكس في الأمبراطورية الشرقية فقد رسخ قسطنطين مبدأ القيصرية البابوية، ومن هنا زادت سلطات أسقف روما وتحول كرسيه إلى بابوية، لها السيادة العلياء، وظهر الصراع بين كنيسة روما بمالها من تراث ديني وبين كنيسة القسطنطينية عاصمة الدولة حتى تم الانفصال المذهبي للكنيسة تحت مسمى الكنيسة الشرقية الأرثوذسكية والكنيسة الكاثوليكية . .

ومن أبرز سمات هذه المرحلة ظهور الفساد ومحاربة العلم والعلماء وممارسة صور شتى من الطغيان على جميع وسائل الحياة، مما أدى إلى قيام العديد من الحركات الإصلاحية لكن هذه الحركات قوبلت بالرفض ومن هنا انشقت كنيسة ثالثة باسم كنيسة البروتستانت لتستقر النصرانية على ثلاث كنائس رئيسية لكل منها نحلة وعقيدة مستقلة وهي الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت.

أما أهم أصول ومعتقدات النصارى فهي:

١ـ القول بالتثليث الأب، والأم، وروح القدس، وهذا محض الكفر والضلال يقول عزّوجل: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ

مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[١].

٢- اعتقاد أنَّ المسيح - عليه السلام - قد مات مصلوبًا فداءً عن الخليقة لشدة حب الله للبشر وليخلص العالم من إثم خطيئة أبيهم آدم وخطاياهم وأنه دفن بعد صلبه وبعد ثلاثة أيام قام متغلبًا على الموت ليرتفع إلى السماء وقد كذبهم الله عزَّوجل وبين حقيقة الأمر في قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾[٢].

٣- تقديسهم للصليب واعتباره شعارًا لهم وهذا من خفة عقولهم وسفاهة رأيهم إذكان الأولى أن يكرهوا الصليب لأنه أحد الأدوات التي صلب عليه إلٰههم كما يزعمون.

٤- يعتقدون أنَّ المسيح - عليه السلام - سيتولى محاسبة البشر يوم القيامة وأنَّ الله سيجلسه على يمينه في السماء، أما عباداتهم وشعائرهم فالصلاة عندهم عبارة عن ألفاظ ينويها الفرد ويكون الابتهال بها قلبيًا والصوم هو الامتناع عن الطعام الدسم، ومافيه شيء من الحيوان أو مشتقاته.

٥- الأسرار السبعة وهي التي تتم على يد الكاهن ويجب على كل نصراني ممارستها وإلاَّ أصبح ناقص الإيمان. وهذه الأسرار هي:

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٧، ١٥٨.

أـ سر التعميد أي تعميد الأطفال عقب ولادتهم بغطسهم في الماء أو الرش عليهم باسم الأب والابن وروح القدس، لإعطاء الطفل شيئًا من الحرية ولمحو آثار الخطيئة عنه.

ب ـ سر التثبيت: حيث يقوم الكاهن بمسح أعضاء الفرد في ستة وثلاثين موضعًا من الأعضاء والمفاصل بدهن الميرون المقدس.

ج ـ سر العشاء الرباني ويكون بالخمر والخبز الجاف حيث يتحول الخمر إلى دم المسيح والخبز إلى عظامه، وعليه فإنَّ من يتناوله فإنما يمتزج في تعاليمه بذلك.

د ـ سر الاعتراف وهو الإفضاء إلى رجل الدين بجميع ما يقترفه المرء من آثام وذنوب ليحصل له الغفران والتطهير من الذنب وسقوط العقوبة.

هـ ـ سر الزواج ولا يكون إلاَّ بزوجة واحدة فقط وبحضور القسيس ولا يجوز الطلاق إلاَّ في حال الزنا.

وـ سر مسحة المرضى بزعم شفاء الأمراض الجسدية المتسببة عن العلل الروحية وهي الخطيئة.

زـ سر الكهنوت وهو السر الذي ينال به الإنسان بزعمهم النعمة التي تؤهله لأن يؤدي رسالة المسيح بين البشر، ولا يتم إلاَّ بوضع يد الأسقف على رأس الشخص ثم يتلى عليه الصلوات الخاصة برسم الكهنة[١].

---

(١) الموسوعة الميسرة للمذاهب المعاصرة: (٥٧٤) بتصرف.

المبحث الثالث
الهندوسية

وهي ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند وهي مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر.

يقولون بتعدد الآلهة وأنَّ لكل طبيعة نافعة أو ضارة إلٰهًا يعبد كالماء والهواء والأنهار والجبال.

وفي القرن التاسع قبل الميلاد جمع الهندوس الآلٰهه في إلٰه واحد سموه:

١ ـ براهما من حيث هو موجود

٢ـ فشنوا من حيث هو حافظ

٣ـ سيفا من حيث هو مهلك

فمن يعبد واحد من هؤلاء الآلهة الثلاثة فقد عبدهما جميعًا ويعتقدون أنَّ آلهتهم قد حلت في إنسان اسمه كرشنا والمجتمع الهندوسي مقسم إلى طبقات:

أـ البراهمة وهم الذين خلقهم الإلٰه براهما من فمه فمنهم المعلم والكاهن والقاضي والجميع يلجأون إليهم في حالات الزواج والوفاة.

ب ـ الكاشتر: وهم الذين خلقهم الإلٰه من ذراعيه ومهمتهم حمل السلاح للدفاع.

ج ـ الويش وهم الذين خلقهم الإلٰه من فخذه وهم الذين يزرعون

ويتاجرون ويجمعون المال.

د ـ الشودر وهم الذين خلقهم الإله من رجليه وعملهم مقصور على الخدمة والقيام بالمهن الحقيرة ويشكلون طبقة المنبوذين.

والهندوس يقدسون البقرة ولها تماثيل في معابدهم ومنازلهم ولها حق الانتقال إلى أي مكان ولا يجوز أن تمس بأي أذى وإذا ماتت البقرة فإنها تدفن وفق طقوس دينية.

والبراهمة هم صفوة الخلق ولهم قداسة الآلهة ولهم أن يأخذوا من أموال عبيدهم الشودر ما يشاءون.

إذا استحق البرهمي القتل فإنه يحلق رأسه فقط.

المنبوذين عندهم أحط من البهائم وأذل من الكلاب إذا مد المنبوذ يده إلى البرهمي ليبطش به قطعت يده وإذا رفسه برجله قطعت رجله، وإذا تجرأ منبوذ بمجالسة برهمي فتكوى استه وينفي من البلاد.

من طقوسهم الدينية حرق الأجساد بعد الموت لأنَّ ذلك في زعمهم يسمح بأن تتجه الروح إلى أعلى، ولأنَّ الحرق يؤدي إلى تخليص الروح من غلاف الجسد تخليصًا تامًا.

إذا مات الرجل فلا يجوز لامرأته أن تتزوج بعده بل تعيش في شقاء دائم مما أدى إلى قيام النساء بحرق أنفسهن بعد وفاة أزواجهن لتفادي العذاب الذي ينتظرها بعده[1].

(١) الموسوعة الميسرة للمذاهب المعاصرة: (٧٣٤) بتصرف.

المبحث الرابع
البوذية

فلسفة وضعية انتحلت الصبغة الدينية لما فيها من دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير، وتعتبر منهجًا أخلاقيًا مبنيًا على نظريات فلسفية في إطار ديني، وقد طرأ عليها بعض التغيير بعد موت مؤسسها بوذا حيث تحولت إلى معتقدات باطلة ذات طابع وثني.

كان مؤسسها الملقب ببوذا أميرًا مترفًا في النعيم تزوج في التاسعة عشرة من عمره ولما بلغ السادسة والعشرين هجر زوجته وانصرف إلى الزهد والتقشف والتأمل في الكون ورياضة النفس حيث يرى أنَّ تخليص الإنسان من آلامه لا يكون إلاَّ بترك الشهوات

أما أبرز أفكارهم ومعتقداتهم فهي:

١- يعتقدون أنَّ بوذا ابن الله وأنه المخلص للبشرية من آلامها وأنَّ نجمًا في السماء قد ظهر للدلالة على ولادة بوذا، وأنه لما ولد فرحت جنود السماء ورددت الملائكة أناشيد المحبة.

٢- يعتقد البوذيون أنَّ هيئة بوذا قد تغيرت في آخر أيام حياته وقد نزل نور عظيم أحاط برأسه وأضاء من جسده فقال الذين رأوه ما هذا إلاَّ إله عظيم.

٣- يؤمنون برجعة بوذا ثانية إلى الأرض ليعيد السلام والبركة إليها.

٤- يصلي البوذيون لبوذا ويعتقدون أنه سيدخلهم الجنة.

٥- يهتم البوذيون بالجانب الأخلاقي ويدعون إلى التسامح والمحبة

والتعامل بالحسنى والتصدق على الفقراء وترك الترف وحمل النفس على التقشف والتحذير من الزواج والمال.

٦ـ يجب على البوذي التقيد بثمانية أمور حتى يستطيع أن ينتصر على نفسه ويسيطر على شهواته وهي:

أـ الاتجاه الصحيح المستقيم الخالي من سلطان الشهوات

ب ـ التفكير الصحيح المستقيم الذي لا يتأثر بالأهواء

ج ـ الإشراق الصحيح المستقيم أي ظهور الأنوار العقلية للنفوس بعد تجردها.

د ـ الاعتقاد المستقيم الذي يصحبه ارتياح واطمئنان إلى ما يقوم به

هـ ـ مطابقة اللسان لما في القلب.

وـ مطابقة السلوك للسان والقلب

زـ الحياة الصحيحة التي قوامها هجر اللذات

ح ـ الجهد الصحيح المتجه نحو استقامة الحياة على العلم والحق وترك اللذات والشهوات.

من أبرز وصايا بوذا لا تقضي على حياة حي، لاتسرق، ولا تغضب، لاتكذب، لا تتناول مسكرًا، لا تزن، لاتأكل طعامًا نضج في غير أوانه، لا ترقص، لا تحضر مرقصًا، ولا حفل غناء، لاتتخذ طيبًا، لا تقتن فراشا وثيرًا، لاتأخذ ذهبًا ولا فضَّة.

الخاتمـة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، وأشكره على جميل أفضاله ونعمه السابغات، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله الذي بعثه الله بالدلائل الواضحات والبراهين البينات، حتى أضاء الكون بنور رسالته، وأبان الحق وأقام عليه الحجج والآيات، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلاَّ هالك.

وأشكره على ما امتنَّ به عليَّ من جمع مادة هذا الكتاب، وتقرير مسائله، واستيفاء قضاياه المتعلقة بالعقيدة، حسب الطاقة والإمكان، وقد حرصت فيه على الالتزام بالمنهج الذي رسمته عند العزم على تأليف هذا الكتاب، والذي أوضحته في المقدمة.

وإنني لأرجو أن أكون وقفت في إصابة الحق وإيضاحه بدليله من كتاب الله عز وجل، ومن سنة رسوله ﷺ، ومن كلام الأئمة الأعلام.

ومع هذا فإنني لا أدعي الكمال والعصمة، فما أنا إلاَّ بشر يقع منه ما يقع من البشر من القصور والنقص والخطأ والنسيان، وحسبي أني بذلت جهدي، واستنفدت طاقتي، فإن أحسنت وأصبت فمن الله وحده، وهو صاحب الفضل والمنة، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله منه.

وأملي ممن يطلع على كتابي ألاَّ يبخل عليَّ بنصيحة خالصة، أو دعوة صالحة، وأسأل الله عز وجل أنْ يغفر لي خطئي وأن يعفو عن زللي، وأن ينفعني بما كتبت يوم فقري وحاجتي وصلى الله على نبينا محمد وآل وصحبه وسلم.

الفهرس